

في سبيل الله أيها القائد الشهيد

مجلة أنصار النبي ﷺ

تصدر عن



الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

International Organization Of Sopporters Of The Prophet

أهداف الهيئة

تضع الهيئة هدفها الرئيسي على هذا النحو:

«أن يكون جناب النبي ﷺ مصوناً محترماً، وأن تكون الإساءة إليه مجرمة قانوناً في سائر أنحاء العالم» وهو الهدف الكبير الذي يحتاج إلى عمل ضخم ودؤوب على كافة المستويات.

وقبل الوصول إليه لا بد من إنجاز مراحل مهمة في التعريف بالنبي ﷺ، كذلك لا بد من إنجاز مراحل مهمة في حشد الجهود مع المسلمين والعقلاء من غير المسلمين لتجريم الإساءة إلى النبي ﷺ قانونياً في البلدان المختلفة، وهو الأمر الذي يتطلب خبرات متنوعة عالية المستوى.

السياسة العامة لعمل الهيئة

إن قضية نصرة النبي ﷺ قضية كبيرة لا يمكن أن تنهض بها جهة واحدة مهما بلغت من القدرات والإمكانيات، وكذلك فإن «الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ» اختطَّت لنفسها سياسة عامة تقوم على تفعيل الطاقات الإسلامية واستثمارها والتنسيق بينها، بحيث تبلغ المجهودات المبذولة في نصرة النبي ﷺ أقصى نتائج ممكنة.

تضع الهيئة نفسها في موضع التنسيق والتنظيم بين المؤسسات الإسلامية المختلفة لتأدية واجب نصرة النبي ﷺ، فهي تعمل -على سبيل المثال- على استثمار طاقة الجاليات الإسلامية المقيمة في البلاد المختلفة لحصر أهم الشبهات والقضايا المثارة عن النبي ﷺ والتي تحتاج مجهودا علميا وفكريا لتفنيدها، ثم تعمل على حث طاقة المؤسسات العلمية من الجامعات الإسلامية والمعاهد والأكاديميات والروابط العلمائية على معالجة هذه الشبهات، ثم تعمل على تحويل هذا المجهود الفكري والعلمي إلى معالجات فنية متنوعة: مقروءة ومسموعة ومرئية قريبة إلى لغة العصر والمزاج العام السائد لدى الرأي العام المعاصر، وذلك عبر حث الطاقات القائمة في مجال الإعلام والإنتاج الفني لدى المؤسسات الإسلامية على معالجة هذه الأفكار. تستثمر هذه الأطراف جميعها طاقاتها الموجودة فعلاً في تسويق المنتجات النهائية.

وبهذا تتوجه المجهودات والطاقات القائمة نحو هدف نصرة النبي ﷺ بطريقة فعالة ومنسقة، حيث تؤدي كل جهة دورها الذي تحسنه.

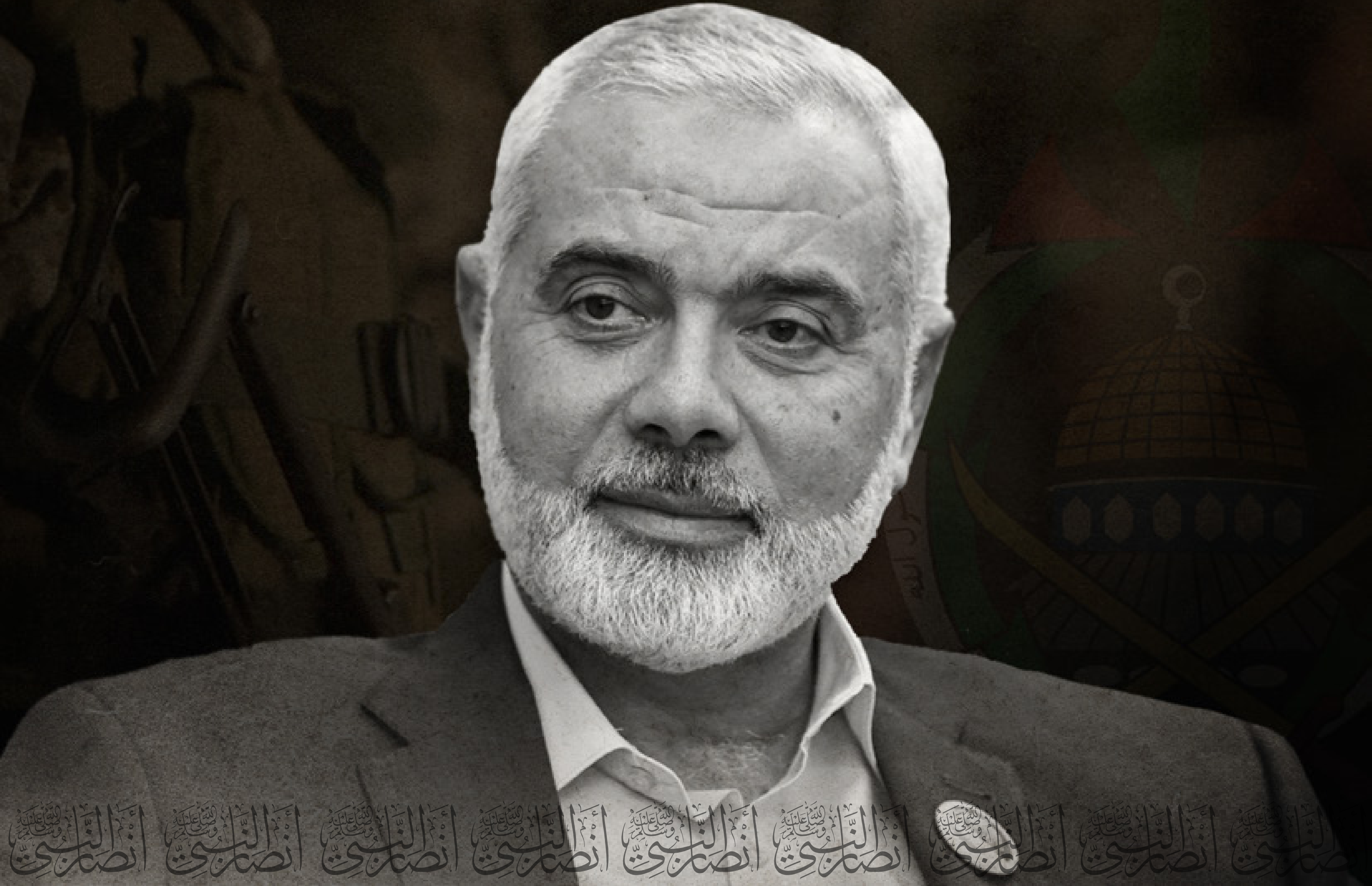
تتقدم مجلة أنصار النبي ﷺ

بأبلغ المراثي وأحر التعازي إلى حركة المقاومة الإسلامية حماس، وسائر المجاهدين، وإلى جميع الأمة الإسلامية، في وفاة القائد الشهيد:

أبي العبد إسماعيل هنية

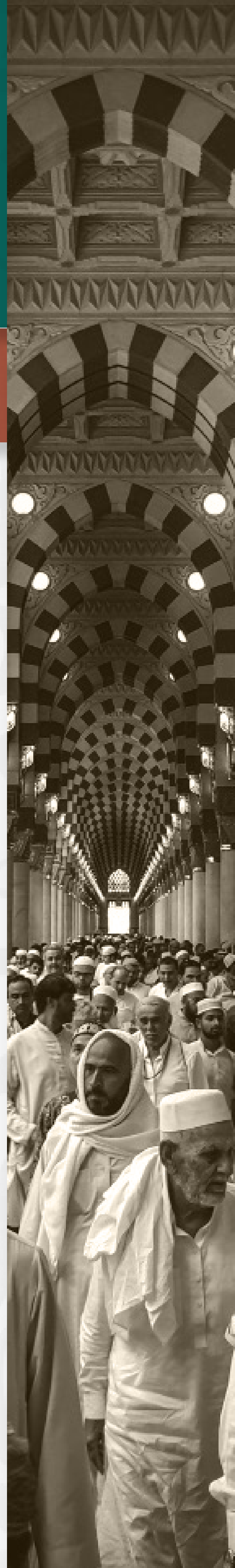
الذي اغتالته يد الشر والغدر الصهيونية. وليس في الأمر ما يستغرب، فمن قام مقام الرجال نال رفيع الدرجات، ومن عاش مجاهداً ختم الله له بالصالحات، وقد بلغ الرجل أسمى ما يتمنى وما يتمناه الصادقون: رتبة الشهادة في سبيل الله.

رحم الله القائد الشهيد، وعوض الأمة خيراً منه.



أنصار النبي صلى الله عليه وسلم
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

محتويات العدد





أئمة الهدى

«من تراث العلماء والدعاة والشهداء الراحلين»

الصادعون بالحق

«من تراث العلماء والدعاة الأسرى»

رئيس الهيئة د. محمد الصغير
رئيس التحرير محمد إلهامي

@ ansarunaby@gmail.com

ترحب مجلة « أنصار النبي ﷺ » بمشاركات السادة القراء الكرام على هذا النحو:

١ كتابة المقال، وأن يكون مقالاً لا تنقصه الرصانة العلمية ولا العاطفة الدعوية، على ألا يتجاوز في أقصى الأحوال ١٥٠٠ كلمة، مذيلاً بالاسم الحقيقي لصاحبه.. ويتعلق بموضوع المجلة عن التعريف بالنبي ﷺ وشمائله وفضائله وأخلاقه ورحمته بأمته والتذكير بحقه وواجبات الأمة نحوه، والدفاع عن سنته ومحبة آل بيته وصحابته، ورد الشبهات عنه.

٢ ترشيح مادة كتبها عالم من العلماء الراحلين، أو من المؤسسات الإسلامية العريقة كالأزهر في مصر وهيئة كبار العلماء في الجزيرة وندوة العلماء في الهند تتعلق بموضوعات المجلة.. مع التوثيق الدقيق لهذه المادة: في أي كتاب أو مجلة نشرت بالصفحة وتاريخ الطبعة، أو رابط المادة على الانترنت.

٣ أو ترشيح مادة كتبها أحد العلماء والدعاة الأسرى فيما يتعلق بموضوع المجلة، مع التوثيق الدقيق لمصدرها.

- تفريغ مادة صوتية لأحد العلماء -الراحلين أو الأسرى- مع توثيق مصدرها.

- ولا نستغني أبداً عن مجهود القراء ومساعدتهم في نشر المجلة أو في ترجمتها إلى لغات أخرى أو في طباعتها وتوزيعها في بلدانهم، فحقوق الطبع والتوزيع محفوظة لكل مسلم.

ترسل المشاركات على البريد الإلكتروني التالي : ansarunaby@gmail.com



أكاديمية أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY



أكاديمية علمية ودعوية عالمية، منبثقة عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام، تعتمد التقنيات والأساليب الحديثة في التعليم، تنظم وتقدم برامج ودورات علمية، ودبلومات شرعية وفنية ومهارية في مختلف مجالات النصرة النبوية، وتقوم على تخريج وتأهيل متخصصين في فقه نصرة النبي صلى الله عليه وسلم علميا وعمليا، وتعمل على تمكين الشباب المسلم من المشاركة الواعية الفعالة في مجالات النصرة المتعددة.

الشيخ د. محمد الصغير
رئيس الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

الشيخ د.عبدالحي يوسف
عميد أكاديمية أنصار النبي ﷺ

+90 536 491 13 74

@ansaracademy_









د. محمد الصغير
رئيس الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

•• الافتتاحية ••

تبّت أيديكم!

ارتقى الشهيد القائد إسماعيل هنية إلى جوار ربه بعد حياة عزيزة معبقة بالجهاد والفداء والتضحية، فقد كان صاحباً ورفيقاً للقائد المؤسس الكبير الشهيد أحمد ياسين، وكان من بعده صاحباً لنائبه الشهيد عبد العزيز الرنتيسي. ولما أجريت الانتخابات في فلسطين لأول مرة كان إسماعيل هنية هو رئيس الحكومة في الانتخابات الوحيدة النزيهة التي جرت في تاريخ فلسطين، ثم اختاره إخوانه في حركة المقاومة الإسلامية حماس ليكون قائدها العام بعد صاحبه: أبو الوليد خالد مشعل.

لم يبقَ في حياة شريفة ناصعة كهذه إلا مكان واحد، سطر الخاتمة.. سطر يكتب خبر الشهادة في سبيل الله!

ولم يكن أبو العبد لا أول ولا آخر الجرائم التي اقترفتها أيدي الصهاينة، تبت أياديهم، بل لقد أعلنت وزارة الصحة في قطاع غزة في ١٠ يوليو ٢٠٢٤م، أن عدد الشهداء الفلسطينيين جراء حرب الإبادة الصهيونية ارتفع إلى ٣٨٢٩٥ فلسطينياً، و٨٨٢٤١ مصاباً منذ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م، وأن عدد الأطفال من بين هؤلاء أكثر من عشرة آلاف، ومع ذلك ادّعى الكاذب الفاجر بنيامين (نتن ياهو) أنه لم يقتل طفلاً واحداً، واستقبل الكونجرس الأمريكي مجرم هذه الحرب بحفاوة بالغة، حتى أنهم صفقوا لكلمته عشرات المرات وقوفاً، فرحاً بجرائمه وشداً من أزره لارتكاب المزيد.

كانت الرسالة واضحة من راعية حقوق الإنسان وحامية الديمقراطية في العالم زورًا وبهتاناً، إذ أكدت على حق «نتن ياهو» في ممارسة الإبادة الجماعية في غزة، وفرشت له البساط الأحمر وما زالت دماء الأطفال والنساء تقطر من يديه.

إن كل يد صفقت للسفاح القاتل شريكة له، وملوثة كيدَيه، وتبّت أيدي الجميع، إذ كان الأَولى اعتقاله كمجرم حرب، وتسليمه لمحكمة الجنايات الدولية، بدلاً من إعطائه فرصة لتلميع وجهه القبيح، والتغطية على عمليات التطهير العرقي التي أثبتتها كل التقارير الحقوقية والإنسانية والدولية، وأكّدت على ارتكاب جيش الاحتلال عمليات قتل جماعي وتطهير



عرقي في غزة، لم تشهده الحروب العالمية المعاصرة، مع استخدام سلاح التجويع، ومنْع وصول الأدوية وكل مقومات الحياة، واحتلال وتدمير معبر رفح البري، وقتْل العديد من العاملين في المجال الطبي والإنساني.



إن واشنطن بمواصلتها تقديم كل سبل الدعم السياسي والعسكري للاحتلال، ومنح حكومة الإرهابيين الصهاينة الغطاء اللازم للإفلات من العقاب، وإتاحتها منبر الكونجرس لغسل أيدي مجرمي الحرب الفاشيين من دماء الأطفال الأبرياء، بدلاً من محاسبتهم على جرائمهم ضد الإنسانية، إنما تؤكّد شراكتها الكاملة في الانتهاكات البشعة التي تُرتكب في قطاع غزة، من حرب إبادةٍ وتجويعٍ وتدميرٍ لكل مناحي الحياة، على مرأى ومسمع من العالم أجمع.

وإزاء مسرحية الكذب المفضوحة التي مثلها (نتن ياهو)، وقبول الأمريكان لها وتسويقها، كان لزاماً لاعتدال الكِفة ونصب الميزان، أن يُدعى القائد إسماعيل هنية في برلمان دولة عربية أو إسلامية، ليفند أباطيل الاحتلال ويكشف أكاذيب (نتن ياهو).

وكانت المبادرة الأولى من حزب الهدى التركي، صاحب التوجه الإسلامي، حيث طالب نائب ولاية غازي عنتاب بذلك، وتبنت الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ الحملة، ودعت الجميع للكتابة تحت وسم #هنية_في_البرلمان، ووجهت الهيئة نداءات خاصة بلغات مختلفة، ولكن المنافسة السياسية دخلت على

الخط فأفسدت الجو العام، حيث طالبت بعض الأحزاب الإسلامية المعارضة باستدعاء محمود عباس، لكنه رفض الدعوة ولم يكلف نفسه الاعتذار، ومع شدة ردة الفعل التركية، أعلن سفير فلسطين في أنقره عن قبول عباس للدعوة، مع أنه لا يمثل غزة، ولا هو من مطالب محبي المقاومة، وكانت الجماهير التي علقت آمالها على تركيا أو جعلتها في المقدمة، تنتظر منها دعوة إسماعيل هنية لأنه المعبّر عن آلام غزة وآمالها.

وبعيداً عن اختيار تركيا للشخص الخطأ، لأن عباس في الجهة المقابلة للمقاومة، وكل خطاباته من بداية طوفان الأقصى تصب في مصلحة الصهاينة، وفيها عدائية مخلوطة بغوغائية قصدها النَّيل من المجاهدين والمرابطين، بل إني أزعم أن عباس لو قُدمت له الدعوة من أمريكا للحضور مع (نتن ياهو) ما تأخر، ومع ذلك فإن الفرصة ما زالت سانحة أمام أي دولة تريد أن تثقل موازينها، أو تخفف أثقالها وتبيّض صفحتها باستقبال رموز المقاومة.



وتبقى صورة المقابلة والمقارنة بين الدعم الغربي السخي، بكل صوره، وعلى جميع الأصعدة لعصابة الصهاينة، ومنع مجرد التعاطف مع الضحايا من المدنيين الأبرياء، أو حتى نشر صورة السهم الأحمر الذي اشتُهرت به عمليات المقاومة!



كل ذلك يؤكد أن الأمة قد بلغت حالة من الضعف والخوف، جعلتها لا تملك قرارها في الانحياز للحق أو تبني قضايا المسلمين، وبلغت سيطرة الباطل درجة التحكم في أعمال القلوب، ناهيك عن خرس الألسنة وتكبيل الجوارح، وأصبحنا نرى واقعنا في مرآة حديث رسول الله ﷺ:

«إذا رأيْتَ أُمَّتي تَهابُ الظالِمَ أنْ تقولَ له: إنَّكَ ظالِمٌ، فقد تُوُدِّعَ منهم»[1].

إن مشروع تحرير القدس وفلسطين بدأ مع طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر المنصرم، وستستمر أمواج الطوفان حتى يحقق غايته ويبلغ منتهاه بإذن الله، وإن قضية القدس خافضة رافعة، وأهل فلسطين كما وصفهم النبي الكريم ﷺ: «لا يضرهم مَن خالفهم أو خذلهم».

والمخذول الحقيقي هو كل من يملك شيئاً لإعانتهم أو التخفيف من معانتهم وينكل عن ذلك، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٨٣].

١ رواه أحمد.



محمد إلهامي (رئيس التحرير)
عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

انحطاط النظام العالمي

قبل ساعات من صدور هذا العدد جاء الخبر باستشهاد القائد الكبير: إسماعيل هنية، ليكون ذلك دليلاً جديداً صارخاً على انحطاط النظام العالمي، وأنه يأكل آلهته، ويشرب عليها خمراً!

وإن عادة الآلهة المصنوعة أن تؤكل وأن تُهان، فما صنع هؤلاء الجاهليون آلهتهم إلا ليأكلوا بها غيرهم، فإذا كانت أغراضهم في خلافها فهم أول آكليها.. وما تغير شيء منها إلا أسماءها، وهذه الأسماء قد سموها هم وآباؤهم وما أنزل الله بها من سلطان.. كانت بالأمس الأصنام والأوثان واللات والعزى، واليوم يسمونها القوانين الدولية وسيادة الدول!

ولا تزال الأيام تأتينا بما نضيفه دليلا في انحطاط النظام العالمي، ثم نضيفه دليلاً في حاجة العالم إلى الإسلام.

مثل أسوأ الديكتاتوريات في العالم، كان الكونجرس الأمريكي يهب في كل دقيقة واقفاً ومصفقاً للسفاح مجرم الحرب بنيامين نتنياهو، وهو الأمر الذي لا يحظى به الرئيس الأمريكي نفسه في هذا الكونجرس، ولا يحظى به نتنياهو نفسه في برلمانه هو! وذلك مشهد شديد الكثافة والفجاجة يرى فيه المرء طبيعة هذا النظام العالمي الذي تقوده أمريكا! فهذا النظام نفسه، وعبر أحد مؤسساته، وهي: محكمة العدل الدولية، قد أصدر بيان إدانة واعتقال لهذا المجرم السفاح! فإذا به يُستقبل خطيباً في هذا الكونجرس، بل إن هذا الكونجرس نفسه قد ردَّ على قرار المحكمة بفرض عقوبات عليها وعلى قضاتها!

ولقد صرح كريم خان المدعي العام للمحكمة نفسه بأن مسؤولاً غربياً قد صرَّح له، بأن هذه المحكمة إنما أنشئت لمعاقبة مجرمي الحرب في إفريقيا أو المارقين مثل بوتين، ولم تُصنع لمعاقبة حلفائنا مثل نتنياهو!



كريم خان

وهذا مع أن هذه المحكمة ساوت بين القاتل والقتيل، بين المحتل ومن يقاومه، فأدانت الطرفين وأصدرت قراراً لاعتقال قائدين من إسرائيل وقائدين من حماس! مع أن مدّعيها العام هذا نفسه زار إسرائيل ولم يزُر غزة! ولم يغير هذا من الواقع شيئاً!

ثم إن هذا مع أن الأمر لا يحتاج إلى محاكمة ونظر ووثائق، فإن العدسات تنقل ما يحدث إلى جميع أنحاء العالم مباشرة بلا واسطة، وإن قوماً قُتِل منهم أربعون ألفاً، وأصيب منهم نحو مائة ألف، ومُحيت بلدهم، لا يحتاجون في فهم ما يحصل إلى وثائق وقضايا وشهود.. ولكن الجاهلية تحب الأوراق والوثائق والإجراءات! ومع هذا طاشت المشاهد، ثم طاشت بعدها الأوراق والوثائق والإجراءات، وصارت المحكمة هي المنبوذة! وصار السفاح هو ضيف الشرف المحتفى به!!!

وهكذا تأكل الجاهلية المعاصرة أصنامها التي صنعتها بأيديها، وبقي أن يتعامل الجميع مع هذا القانون الدولي ومؤسساته بكل ازدراء واحتقار.

إن هذا الإجرام يُذَكِّرنا بعظمة ديننا، وعظمة النموذج الذي أثمره، وعظمة ما كان في هذا العالم يوم كان المسلمون هم سادته وملوكه وأصحاب الكلمة العليا فيه.



وإن الحكايات كثيرة، ولكن نأخذ منها واحدة أو اثنتيْن فحسب:

روى الطبري أن عمر بن الخطاب لما قُتِل، ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر أنه رأى قاتل عمر أبا لؤلؤة المجوسي يتناجى مع فارسي آخر كان أسيراً في المدينة وهو الهرمزان ومعه آخر نصراني اسمه جفينة، فلما رأوْه اضطربوا، وسقط من أيديهم خنجر له نصلان. وهذا حقاً هو وصف الخنجر الذي قُتِل به عمر، فثارت أعصاب عبيد الله بن عمر، وانطلق إلى بيت الهرمزان فقتله وقتل جفينة، إذ هم قتلة أبيه المتآمرون على ذلك!

 لحبس المسلمون عبيد الله بن عمر، ولما تولى عثمان بن عفان الخلافة كانت أول القضايا التي يُنظر فيها هي قضية عبيد الله بن عمر، فاستشار عثمان الصحابة فيه، فبعضهم رأى أن يُقتل قصاصاً، إذ هو قد قتل فارسياً ونصرانياً دون ثبوت التهمة. وبعضهم استعظم أن يُقتل عمر بالأمس ويُقتل ولده اليوم! وحاول البعض أن يجد مخرجاً شرعياً بأن القتل كان في زمن فوضى لا إمام فيه (بين فترة قتل عمر وتولي عثمان)، فلم يكن قتلُ عبيد الله هؤلاء افتياتاً على السلطان الإمام!

فماذا فعل المسلمون؟ وعلام استقر الأمر؟



 ثمة روايتان هنا، وكلاهما عند الطبري، تقول الأولى: بأن عثمان لما رأى أن القتلى لا أهل لهم بالمدينة يُسَلَّم القاتل إليهم، صار أمر القتلى إلى الخليفة إذ هو وليُّ من لا وليّ له، فاختار دفع الدية ودفعها من ماله! وهذا حلٌّ شرعيٌّ يراعي في الوقت نفسه مشاعر المسلمين الذين فُجِعوا بخليفتهم ويكادون أن يفجعوا بولده، والمقتول أصلاً رجل مغموز في دينه متَّهمٌ والشبهة حوله قوية! غير أن هذا الحل لم يُرْضِ بعض المسلمين، ورأَوْا فيه نوعاً من المجاملة والمحاباة، واعتبروا أن هذا هو «أول فتق في الإسلام»، يعني: أول انحراف وقع في تاريخ الإسلام.

 وتقول الرواية الثانية بأن عثمان جاء بابن الهرمزان، واسمه القماذبان، فأعطاه عبيد الله بن عمر ليقتله قصاصاً بأبيه، قائلاً: «يا بني هذا قاتل أبيك، وأنت أولى به منا، فاذهب فاقتله»، فأخذه، وسار

معه الناس، يتشفعون ويطلبون منه أن يعفو، حتى قال لهم: «ألي قتله؟ (أي: أليس من حقي قتله؟) قالوا: نعم. وسَبُّوا عبيد الله. فقال: أَفَلَكُم أن تمنعوه؟ (أي: هل من حقكم أن تمنعوني من ذلك؟) قالوا: لا. وسَبُّوه فتركته لله ولهم، فاحتملوني، فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤوس الرجال وأكفهم». أي أنه عفا، ففرح الناس بذلك واحتفوا به حتى أعادوه إلى بيته محمولاً على الأعناق.

هذا فِعل المسلمين في رجل مجوسي متَّهم في إسلامه ومتهم في قتله خليفتهم الكبير، ثاني وزراء رسولهم الأعظم ﷺ!

وقبل ذلك سطر المسلمون ما لم يشهد التاريخ مثله، وذلك حين اقتضت ظروف الحرب أن ينسحب المسلمون من مدن فتحوها في الشام، وأخذوا من أهلها الجزية بالفعل.. فماذا كان؟! أعاد المسلمون الجزية التي أخذوها إلى أهل البلد مرة أخرى.. هذا وهم مُقدمون على حرب يحتاجون فيها إلى المال. فدُهِش النصارى لذلك، ودعوا للمسلمين بالنصر على الروم!



نقول هذا الآن لا لكي نبكي على مجدنا الغابر، وهو مجد يستحق البكاء عليه، ولكن لنرى كيف أن الشريعة العادلة حين نفذها قوم مؤمنون كانوا يقولون ويقومون بالحق ولو على أنفسهم! ففي ظل نظام إسلامي عالمي ما كان يمكن للمذابح أن تحصل لو كان للمسلمين قوة على منعها، لا بيدهم هم ولا بأيدي

غيرهم! ولن يقبل المسلمون بالإجرام والقتل والظلم لا على إخوانهم المسلمين ولا على غيرهم من الكافرين. وهم حين يفعلون ذلك لا يرون أنهم يفعلونه تفضلاً ولا منة، بل يرون أنهم يفعلونه ديناً وإيماناً واحتساباً!

ولمثل هذا حافظ المسلمون في بلادهم على الأقليات الكثيرة المتنوعة التي كانت قبل عهد المسلمين وبعده عرضة للاضطهاد، بل كانت عرضة للإبادة والإفناء.

ثم ما لبثت أيام بعد خطاب السفاح في الكونجرس حتى جاءتنا فرنسا بحفل الافتتاح للألعاب الأولمبية التي تقام في باريس لهذه السنة! وإذا به حفلٌ قد انزعج منه كثير من النصارى أنفسهم حتى اضطر الحساب الرسمي للأولمبياد على منصة يوتيوب أن يحذف هذا الفيديو!



لئن كان خطاب نتنياهو في الكونجرس دليلاً ساطعاً على ما في هذا النظام العالمي من الظلم والقتل والإجرام والطغيان، فإن هذا الحفل الافتتاحي للأوليمبياد كان دليلاً ساطعاً على ما في هذا النظام العالمي من الكفر والفسوق والانحلال والعصيان. إن الذين رسموا صورة الحفل وخططوا له قصدوا عن عمد إلى تحقير الأديان وازدرائها، وإلى مناكفتها ومعاندتها، وفي المقابل فقد عمدوا إلى تعظيم أهل الإباحية وعمل قوم لوط والافتخار بالذين يغيرون خلق الله ممن يسمونهم المتحولين من ذكر إلى أنثى أو من أنثى إلى ذكر. وقد مزج هؤلاء بين معاداة الدين والمباهاة بالفاجرين المنحلين ليجعلوا رسالة الحفل الواضحة أن هؤلاء الآخرين قد أسقطوا الأولين وارتقوا في مكانهم، فهم الآن يُذلونهم ويهينونهم ويسخرون منهم.

لقد كان حفلاً، كأنما كان الذي خطط له ودبر، وأشرف عليه هو الشيطان نفسه! ولا يحتاج المرء إلا إلى قليل من الصور المنشورة لكي يرى فيه قول الله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]، وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣].

وإن في هذا الحفل من الإسراف والتبذير والمباهاة ما هو مصداق قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨]، وقد وصف الله المبذرين بقوله: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].

بل كأنما كان هذا الحفل تطبيقاً عملياً لخطة الشيطان التي وضعها لإضلال الناس وإدخالهم النار، تلك الخطة التي ذكر لنا ربنا بنودها في القرآن الكريم، ومنها:

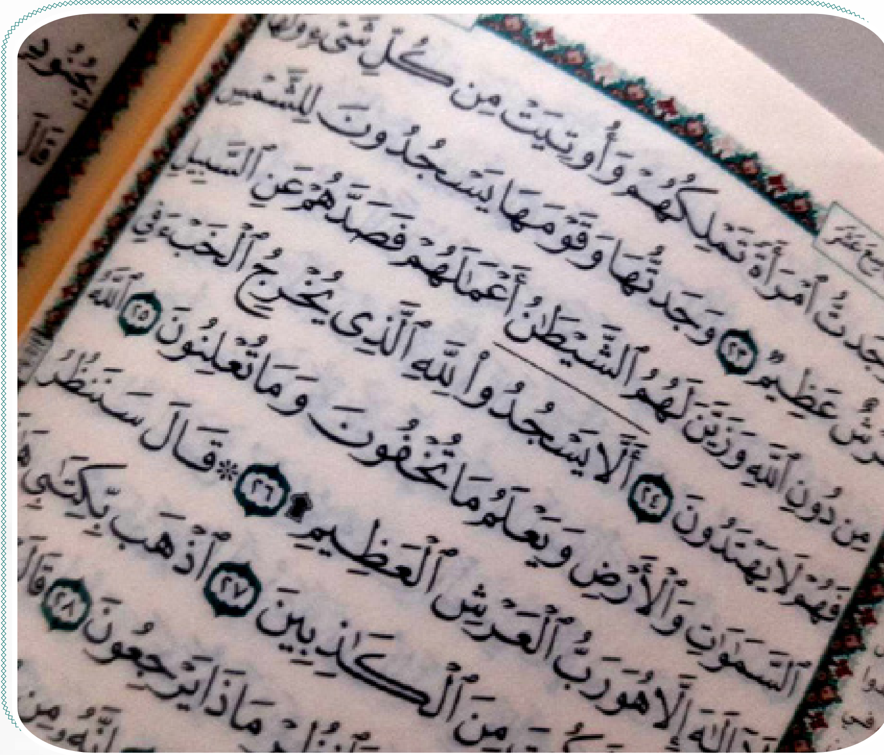
١ **الأمر بالفحشاء والمنكر:** ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١].

٢ **تزيين التعري والانحلال:** ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٠]، وقد حذرنا الله من ذلك فقال: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٧].

٣ **الحث على تغيير خلق الله:** ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا * وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٨، ١١٩].

٤ **الدأب والإصرار والدخول على النفس من كل الجهات:** ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

٥ تزييف المعاني وقلب الحقائق واختراع الألفاظ المزخرفة للمعاني الفاحشة الفاسدة، فإذا هذا الفساد كله والسواد كله يسمى بالحضارة والتقدم والتنوير والمساواة... إلخ! وقد قال ربنا جل وعلا: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤]، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨]، ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].



وقد رأيت من تعليقات بعض النصارى تعليقا هزَّني من الأعماق حقاً، وهو قول أحدهم: «المكان الوحيد الذي لا يُستهزأ فيه بالمسيح عليه السلام هو بلاد المسلمين»!!

أي والله، نعم! وهو ذا!!

 إن بلاد المسلمين أولى بالمسيح منهم، وأكثر تعظيماً للمسيح منهم، ولئن كانت علمانيتهم تسمح للواحد منهم أن يرتدي قميصاً كتب عليه: «المسيح شاذ جنسياً» (استغفر الله العظيم، وحاشا لله ولنبيه! وناقل الكفر ليس بكافر!).. لئن كانت علمانيتهم تسمح بهذا، فإن ديننا نحن المسلمين لا يسمح لنا بأدنى الإساءة إلى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام!

ومن عجائب هذا الحفل، وهو من مشاهد إشراف الشيطان عليه، أن الرئيس الفرنسي رحب بحضور نتنياهو فيه، ليكتمل مشهد الكفر والفسوق والعصيان!

لذلك كله، فإن النظام الإسلامي العالمي هو إنقاذ لا للمسلمين المستضعفين فحسب، بل إنقاذ للعالمين، إنقاذ لهم من قبضة الشيطان التي تستولي على بيوتهم وأبنائهم وأرواحهم، فتقلب ما كان مقدساً إلى مستهان مستباح، وتقلب ما كان مُجَرَّماً إلى مقدَّس مُصان!

إنه مهما قيل، مهما قيل، من مساوئ كانت في ظلال الحكم الإسلامي، من استبداد هنا أو فسوق هناك أو عصيان هنالك، فإن هذا كله لا يساوي أبداً أبداً شيئاً مما يجري في هذا النظام العالمي المعاصر الذي أسس للقتل، وشرعن الفسوق، وجعل المعاصي حقوقاً من حقوق الإنسان!!

 ولئن كان بعض المفكرين والفلاسفة من الغربيين ومن غير المسلمين ينادي على الغرب أن يستفيدوا من تجربة الإسلام الروحية والأخلاقية من بعد ما رأوا وذاقوا ما في المادية العلمانية من القسوة والتوحش، فإن هذا كله ما يلبث أن يعض الجميع بنابه حتى ما يجدون لهم ملجأ ولا سبيلاً إلا الإسلام، شرط أن نستطيع نحن تحرير بلادنا، وإقامة نظامنا، ونشر دعوتنا! وعندئذ يقبل الناس إلى دين الله أفواجاً، لنحقق بالعمل لا بالنظر وحده قول ربنا تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].



د. الحسن بن علي الكتاني

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

خصائص الأسرة في الإسلام (٢/١)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومَن والاه، أما بعد:

فإن الإسلام قد أولى الأسرة أهمية كبرى، وشرع لها شرائع، وحدّ لها حدوداً، بل وأوحى أحكاماً كثيرة خاصة بها في سور قرآنية كريمة. والسبب في ذلك هو شدة أهمية الأسرة في المجتمع؛ لأنها نواته الصلبة، ومنها يتكون، فإن صلحت صلح المجتمع كله، وإن فسدت فسد المجتمع كله وضاع. وهي مهد الطفل ومرعاه الأول، منها تنطلق مسيرته لبناء شخصيته في جميع مراحل عمره، وفي رحابها يكتسب أخلاقه وعقيدته وتربيته.

قال الله جلّ ذكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. وقال تقدست كلماته: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].



فمع وجود الإنسان وُجِدَت الأسرة، تلك الرابطة العميقة التي هي ليست قانونًا ولا نظامًا صارمًا تضعه الدول، الإنسان حينما خلقه الله لم يوجد معه دولة، أو يوجد معه حزب أو يوجد معه قبيلة، بل أوجد معه أسرة؛ لأن كل تلك الروابط، هي روابط مِن وَضْع البشر، أما رابطة الأسرة فرابطة فطرية معجونة بخلق الإنسان لا يمكن الانفكاك عنها، حتى الغرب اليوم الذي ينادي بالحريات ويفكك أكثر الروابط، لم يستطع أن ينفك عن رابطة الأسرة، وإذا قلنا: إن الإنسان مدنيّ بالطبع، فهذا يعني أنه جُبِل على الأسرة.

فلو ذهبت إلى الصين في مشارق الأرض تجد الأسرة، ولو ذهبت إلى أدغال إفريقيا وغابات الهند وضفاف الأمازون تجد الأسرة، على أنه من المعلوم أن الأسر تختلف في مكوناتها وأسسها وهويتها من حضارة إلى حضارة ومن عِرْق إلى عرق، لكنَّ الإيمان بالأسرة أمر فطري؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [الحجرات: ١٣]؛ فجعل الله مادة خلق الإنسان من الذكر والأنثى اللذين هما قوام الأسرة.

ولذلك فقد اجتهد أعداء الإسلام على هدم الأسرة، وإفسادها بإفساد المرأة، التي تكون الرقم الصعب فيها، فهي كما قال الشاعر أحمد شوقي، رحمه الله:

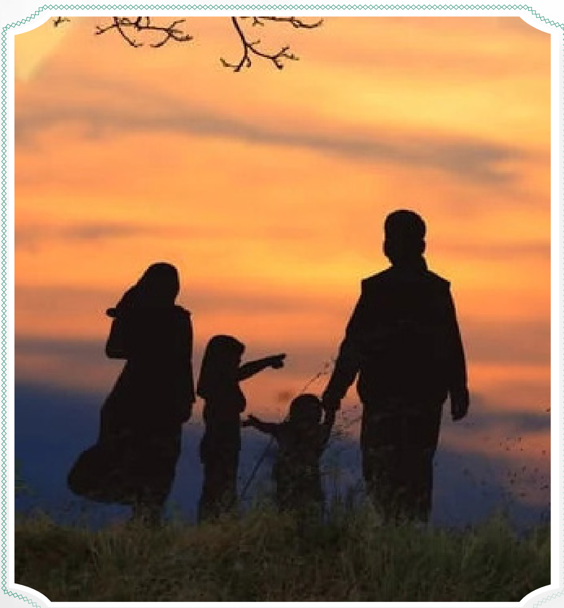
الأم مدرسة إذا أعددتها ●● أعددت شعباً طيب الأعراق

للأسف يدفع المجتمع اليوم إلى تفكيك هذه الروابط عبر وسائل الإعلام المختلفة، تحت شعارات وهمية وشعارات برّاقة، كالحرية وإسقاط الولاية والمناداة بالمساوة، بل حتى -والعياذ بالله- تزيين المثلية والشذوذ.

والإسلام دين سماوي، نزل من عند الله تعالى، الذي خلق الناس وهو الأعلم بطبيعتهم، وبما يصلح لهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، فإنه ينظر إلى الرجل والمرأة نظرة عميقة ومستقرة، لا تجاري الرغبات التلقائية لدى دعاة العدالة، بإراحة ضمائرهم المثقلة بإرث تاريخي من الشعور بالذنب تجاه المرأة، التي كثيراً ما ظلمت في غالب العصور والأقطار، عن طريق دعوتها إلى المساواة غير المدروسة بين الجنسين.

ولذلك فقد تميز النظام الإسلامي الأسري بعدة مزايا لا تختلف في الجوهر وإن اختلفت بحسب الأماكن والأوقات في بعض المظاهر.

ومعنى هذا أن الأسر رغم ما نجد بينها من تلاق في بعض المظاهر الطبيعية أو الاجتماعية، فإنها في إطارها العام لها وحدة تختلف عن غيرها اختلافاً بيناً، نلمسه في كل أجزاء الأسرة عندما نربط الجزء بالكل والكل بالجزء.



وبالتخصيص تتضح المسألة أكثر إذا تأملنا الأسر غير المسلمة التي تنطبع بطوابع مختلفة من بيئة إلى أخرى ومن شعب إلى آخر، ومن أمة إلى أمة.. فالأسر الجاهلية يأخذ بينها الاختلاف مأخذه، حتى لا تبدو بينها روابط تربطها، أو قاسم مشترك تشترك فيه. بل الأسرة الواحدة في المجتمع الواحد، قد تتطور تطوراً يخرجها على ميزتها الأولى ويلبسها لباساً جديداً ويكسيها بكساء جديد.

وهذا يدلّ دلالة واضحة ميدانياً وتاريخياً على اهتزاز أو اختلال التوازن الأسري الذي يحفظ للأسرة شخصيتها ويعطيها ميزتها وطابعها الاجتماعي التاريخي الحضاري.. فبقدر الاستمرار الحضاري التاريخي لشخصية الأسرة تظهر الدلالة القاطعة على توازنها وبالتالي واقعيتها وصلاحيتها.

هذه الظاهرة نجدها في الأسرة الإسلامية التي تنطبع بطابع واحد: عام، شامل، ثابت، دائم، في كل بيئة، وكل شعب. ولذلك ينبغي علينا معرفة ميزات الأسرة المسلمة، وذلك بتلخيصها في النقاط التالية:



١. عموم الأسرة

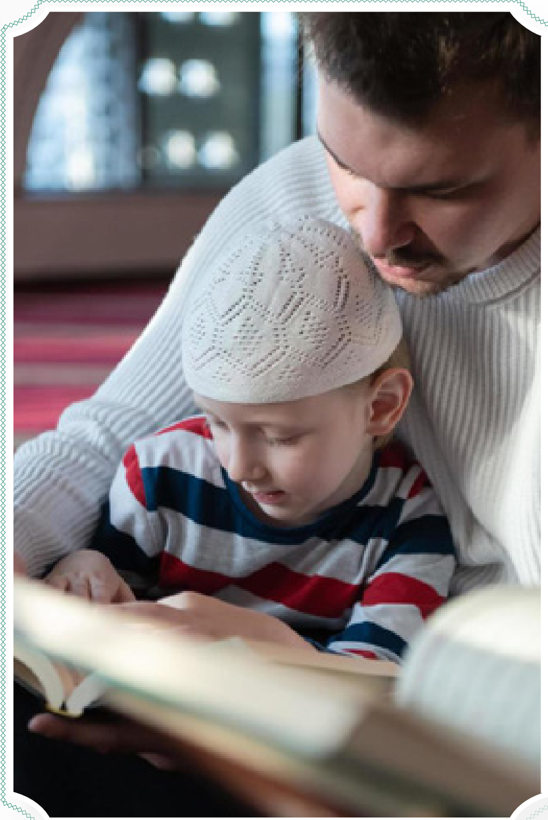
ونقصد بذلك أن الأسرة الإسلامية رغم وجودها في بيئات وظروف متباينة، وشعوب مختلفة، فإن مظاهرها ومميزاتها عامة. مميزاتها واحدة ومظاهرها واحدة، وطابعها واحد؛ فقد أكد الإسلام على بداية التكوين الأسري ووحدة

البناء الاجتماعي في قوله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

- **وأكّد القرآن الكريم على أهمية الأسرة من خلال عرضه للعلاقات الأسرية: حيث نبّه إلى العلاقة الأسرية الوالدية من خلال التوصية بالإحسان إلى الوالدين:** ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

- **كما نبّه إلى العلاقة الأسرية الأخوية من خلال قصة كليم الله موسى مع أخيه هارون عليهما السلام:** ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى * هَٰرُونَ أَخِى * ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى * وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى * كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٢٩-٣٥].

- **كما نبّه إلى أهمية الأسرة من خلال العلاقة الأسرية الزوجية:** حيث وصف الزواج بالميثاق الغليظ في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]، ليبين قداسة عقد الزواج الذي يتمخض عنه تأسيس أسرة. كما جعل أهم مقصد للزواج تحقيق السكن النفسي الوجداني والمودة والرحمة بين الزوجين، مما ينتج عنه أسرة مستقيمة يسودها الاستقرار والطمأنينة والسكينة، ومن ثم تلقي بظلالها على المجتمع كله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].



- **كما نبّه القرآن الكريم إلى أهمية الأسرة من خلال العلاقة الولدية (البنوة) في قوله جلّ شأنه:** ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِابْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ* وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَٰبُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَٰبُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٣-١٩].

وفي قوله عز من قائل: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢].

- كما نبّه على العلاقة الأسرية الممتدة التي تشمل الآباء والإخوة والأعمام والعمات والأخوال والخالات والأصدقاء، في قوله جلّ ذكره: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى

الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور: ٦١].

٢. شمولية الأسرة

ونقصد بها أن شمولية الأبعاد والمميزات والمظاهر في الأسرة ببقعة معينة، هي نفس الشمولية، الأولى تدل على الانتشار في المكان رغم اختلاف البيئة والأقوام، والثانية تدل على الانتشار من حيث نطاق الأسرة فحسب.



وتبدأ الأسرة بذلك الرباط الوثيق والميثاق الغليظ بين الرجل والمرأة عن طريق الزواج الشرعي، و«الأسرة في الإسلام لا تقتصر على الزوجين والأولاد فقط، وإنما تمتد إلى شبكة واسعة من ذوي القربى من الأجداد والجدات والإخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات، وغيرهم ممن تجمعهم رابطة النسب والمصاهرة أو الرضاع أينما كان مكانهم، وتتسع حتى تشمل المجتمع كله»[١].

---

١ ميثاق الأسرة في الإسلام، اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفولة بالمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، ص٣٠.

وتتخذ الأسرة أشكالًا متنوعة يمكن إجمالها في الآتي:

- الأسرة النواة: وتضم الزوج والزوجة والأبناء، وتضم جيلين، وتنتهي باستقلال الأبناء ووفاة الأبوين.
- والأسرة الممتدة: هي الأسرة التي تقوم على عدة وحدات أسرية تجمعها الإقامة المشتركة والقرابة الدموية، وتضم الأجداد والأبناء والأحفاد وزوجاتهم، ومن لهم علاقة بهم من الأعمام وأبنائهم والأصهار وغيرهم.. وهي تعتبر وحدة اجتماعية مستمرة لما لا نهاية حيث تتكون من ثلاثة أجيال وأكثر.
- والأسرة المشتركة: هي الأسرة التي تقوم على عدة وحدات أسرية ترتبط من خلال خط الأب أو الأم أو الأخ والأخت، وتجمعهم الإقامة المشتركة والالتزامات الاجتماعية والاقتصادية.
- أسرة المجتمع المسلم: وتشمل كل الأسر المسلمة المكونة للمجتمع المسلم، ويجمعها رابط واحد هو دين الإسلام، تتعاون فيما بينها على البر والتقوى والخير والفضيلة والقيم الخلقية، والتكامل الاجتماعي...
- أسرة الإنسانية: وتشمل كل المجتمعات بمختلف معتقداتها وانتماءاتها وتوجهاتها، ويجمعها: خالق واحد، وأصل واحد أبوهم آدم والأم حواء... تتعاون فيما بينها لتحقيق الأمن والأمان والطمأنينة والسلام.

٠٣ دوام الأسرة

ونقصد بها استمرارها التاريخي، اجتماعياً وحضارياً.. فالأسرة الإسلامية تحمل في عمرها أربعة عشر قرناً، وذلك ليس متجلياً في مرور الزمن المجرد فحسب، بل وفي الاستمرار الاجتماعي والحضاري للإسلام.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ [النساء: ٣].



فبهذه الآية الكريمة تحدد شكل الزواج الإسلامي، وتقررت للأسرة الإسلامية ميزة أولية دائمة لا تتغير ولا تتبدل على مر الزمان، فقد أصبحت شرعة نافذة. لكن القال والقيل كثر حول تعدد الزوجات في الإسلام بغية الفساد في الأرض، فقام مدافعون يبررون هذا التعدد ويحصرونه في ظروف ثانوية اجتماعية قد تتعرض لها الأمة. ثم يبرزون شكل الزواج الثنائي (أي واحدية الزوج والزوجة) ويجعلونه الشكل الإسلامي للزواج، وهم يفعلون ذلك تحت تأثير المستشرقين وما آلت إليه الأسرة في الغرب، بجانب أن أغلبية الأسر الإسلامية الحديثة قد اتخذت شكل الزواج الثنائي لسبب من الأسباب.. إلا أن هذا ليس كافياً ليعكس شكل الزواج الإسلامي المرن الذي يحد بواحدة فعلاً ويمتد إلى أربعة أو ما ملكت اليمين.

وهذا ما يبدو من ظاهر الآية الكريمة. أما أشكال الزواج في المجتمعات الجاهلية فقد تعددت كما يُثبت ذلك علم الاجتماع، ولم تنضبط جميعها في قانون، ولم تتوحد في شكل قار، فالجاهلية تاهت في ذلك عبر الزمان، فمرّة تجعل الزواج شيوعية جنسية حيث الرجال في مجتمع ما حق مشاع لنسائه دون قيود زواجية، ومرة تجعله زواجاً جمعياً يتيح لعدد من الرجال أن يتزوجوا عدداً من النساء، وذلك كالزواج الأخوي الذي بمقتضاه يتعاشر الإخوة والأخوات معاشرة زواجية في نطاق الأسرة، وكزواج الأقارب وبمقتضاه يتعاشر بعض الأقارب بطائفة من أقاربهن، ومرة تجعله وحدانية الزوجة مع تعدد الأزواج، ومرة تجعله وحدانية الزوج مع تعدد الزوجات، ومرة تجعله وحدانية الزوج والزوجة.

(يُستكمل في العدد القادم إن شاء الله تعالى).



د. علي محمد الصلَّابي

الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

أسس المواطنة العادلة في النظام القانوني الإسلامي

يُعد موضوع المواطنة جزءاً من مشكلة الهُوية والمفاهيم المختلف فيها، والتي ارتبطت منذ بدء الاحتكاك الفكري والثقافي والسياسي والعسكري للأمة الإسلامية مع الحضارة الغربية في القرن الماضي، وإذا كانت المسألة قد حُسمت على صعيد الواقع منذ أن تمزقت الدولة العثمانية وتحولت أشلاؤها العربية وغيرها إلى دول وحكومات قومية وإقليمية، فإن المسألة لم تنتهِ على المستوى الفكري والثقافي، بل ظلّت سؤالاً كبيراً يُطرح بشكل أو آخر.

جاءت شريعة الإسلام شاملة لجميع أبعاد الحياة البشرية بكل دقائقها وتفصيلاتها، ابتداءً من سلوك الإنسان كفرد مع غيرهم من الأفراد وضمن مجتمعه، حتى تنظيم علاقات الدول، بما في ذلك الفَهم الإسلامي للمضمون السياسي الذي يعني إصلاح شؤون الناس الدينية والدنيوية، وإبعادهم عن الفساد، وتوجيههم نحو الحق والعدالة وجميع وجوه الخير.



إن خطاب الإسلام خطاب عام لبني الإنسان، وفي تأكيد واضح للحقوق والقيم التي تنظم الحياة البشرية، ومنها المساواة التي تُعد منطلقاً أساسياً لممارسة الحقوق واستقامتها والالتزام بكل الواجبات.

أولاً: المواطنة في الخطاب الإسلامي

المواطنة هي تمتُّع الشخص بالحقوق المقررة والتزامه بالواجبات المفروضة، وممارستها في بقعة جغرافية معينة.

لقد عبر النبي ﷺ عن حب الوطن والارتباط به في قوله لما هم بالخروج من مكة: «والله إنك أحب البلاد إليّ، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت»[1].

وفي ذلك دلالة نبوية على جواز الارتباط الشعوري بالوطن وأهميته بالنسبة للإنسان، بل إن الإسلام عدّ إخراج الإنسان من دياره معادلاً للقتل، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا﴾ [النساء: ٦٦].

١ أخرجه الترمذي برقم (٣٩٢٥).

المواطنة في القرآن الكريم

من خلال دراسة القرآن الكريم نجد أن مصدر الحقوق والواجبات في الإسلام هو الله وحده، وليس بشراً أياً كان هذا البشر، نبياً أو غير نبي، وهذا ما يظهر واضحاً من خلال قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].



وبذلك يقوم الإسلام في مجال الحقوق والواجبات على أساس وحدة المشرّع وأبدية التشريع، إذ أن من المسلّم به أن حق التشريع لله عز وجل وحده، في الوقت الذي تتعدد وتتباين منابع التشريع عند أصحاب الأديان والعقائد الأخرى، ومنها التشريع الغربي المعاصر، وليس من شك أن وحدة المصدر الإلهي التشريعي هو السر وراء خلود الأحكام الشرعية وصلاحيتها المطلقة للتطبيق في كل زمان ومكان، حيث يُعد التبديل والتغيير آفة التشريعات والقوانين الوضعية المتغيرة دائماً، والتي تتبدل فيها أوضاع ومراكز وحقوق المخاطبين بها دونما استقرار أو ثبات.

المواطنة في السنة النبوية

تشكل السنة مصدراً ثانياً للمواطنة في الإسلام، وهي تُعد مصدراً مفسراً وموضحاً لما جاء في القرآن الكريم من أحكام، وقد بيّنت السنة النبوية الشريفة مجموعة من الحقوق والواجبات للإنسان عامةً، والتي تتعلق تعلقاً مباشراً أو غير مباشر بحقوق المواطنة، ومنها:

أ. الحق في الحياة

إن النبي ﷺ أكّد في تطبيقاته وأحاديثه على وجوب الحفاظ على حياة الإنسان، كونها أمانة وهبها الله له وأنعم عليه بها، وعليه فليس للإنسان أياً كان حق التنازل عنها، وليس حراً في هدر حياته أو إلغاءها، ولهذا حذّر النبي ﷺ تحذيراً بالغ الشدة وأنذر ببيان بالغ القسوة الذين تبلغ بهم هموم الحياة مبلغ اليأس منها، فقال ﷺ: «لا يتمنينّ أحدكم الموت من ضر أصابه». وفي رواية أخرى: «لا يتمنينّ أحدكم الموت، إما محسناً فلعله يزداد خيراً وإما مسيئاً فلعله يستعتب»[٢].

ب. التقدير القيمي والأخلاقي للإنسان

من أجل حماية قدسية حياة الإنسان، دعا الإسلام وضمن العديد من القيم والأخلاق التي تصون حياته وتحفظ حقوقه، وتهدف هذه القيم للحفاظ على التوازن بين الحقوق والواجبات، لأن لكل فرد حقوقاً من زاوية، ويترتب عليه واجبات من زاوية أخرى تجاه أخيه الإنسان، ولذا وجه النبي ﷺ المسلم إلى منع لسانه ويده من الاعتداء على الآخرين، فقال: «المسلم من سلِم المسلمون من لسانه ويده»[٣].

ثانياً: المواطنة في وثيقة المدينة

تمثّل صحيفة المدينة أو دستور المدينة، والذي جاء مقنناً على شكل مواد قابلة للتطبيق، ولها قابلية المرجعية القانونية، كونها مثّلت عقداً سياسياً واجتماعياً، صيغ بروح المبادئ الكلية النصيّة في القرآن الكريم، وتوافقت عليها معظم أطراف القوى الفاعلة داخل المجتمع المدني المتعدد قبلياً ودينياً، ولقد حددت وثيقة المدينة المعالم الرئيسية لكيفية التعامل والتعاقد والشراكة والتكافل والتعارف والتوافق مع الآخر».

---

٢ ابن حجر.

٣ أخرجه البخاري، ١٠



وتكمن أهمية الوثيقة في محاولة تحويل الناس القاطنين في المدينة تحويلاً قانونياً من رعايا إلى مواطنين، وتنقلهم من إطار القبيلة والقبليّة إلى رحاب الدولة والأمة، ولم يلغ الرسول ﷺ دور القبيلة؛ بل عدل دورها وسحب بساط التحكم من يديها، فبعد أن كانت القبيلة هي الأمة والدولة، غدتْ لبنة في كيان الدولة الجديدة والأمة الوليدة.

وبعد أن كان الفرد مغيباً تماماً في القبيلة، وكانت قبيلته تتحمل مسؤولية خطئه، جاءت الوثيقة لتبرز ذاتية الفرد الذي يتحمل مسؤولية أفعاله خيراً وشراً، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، فأكدت الوثيقة شخصية العقوبة، أي أن المواطن يتحمل الآثار القانونية للجريمة التي يرتكبها، ولا شأن للأبرياء الآخرين من عشيرته أو سلالته، وقد ورد في الوثيقة ما نصه: «إلا من ظلم أو أثم فإنه لا يوقع إلا نفسه، ولا ثم امرؤ بحليفه».

أكّدت الصحيفة على أن المجتمع اليهودي جزء من المجتمع السياسي، أي جزء من الجماعة السياسية، تلتزم بحكم رئيس الدولة، لا بوصفه نبياً، بل لمشروعيته السياسية المستمدة من الاتفاق نفسه، إن قبول الوثيقة من قِبل اليهود لم يفضِ إلى اعتقادهم بنبوة محمد ﷺ، بل بقبول مشروعيته السياسية كقائد وحاكم لتلك الدولة.

لقد كان أساس المواطنة عند الرسول ﷺ هو الانتماء إلى الوطن «المدينة» فمن أراد الانتماء وأن يكون مواطناً في مجتمع المدينة فعليه أن يهاجر إليها، وقد وُجدت رابطتان أساسيتان في المدينة، هما رابطة الدين (الإيمان) ورابطة الوطن (الولاء لنظام الدولة).

ثالثاً: الأسس العامة للمواطنة في الإسلام

١ العدل والمساواة

العدل سور يحمي المجتمع من التفتت والتشرذم، وينأى به عن العداوة والبغضاء، ويشدّ من تعاضد الناس وتعاون بعضهم مع بعض، ويستوي في محيطه القوي والضعيف، والغني والفقير، والقريب والبعيد، والمسلم وغير المسلم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].



وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]. وفي الالتزام بهذا الأمر والعمل به وتحقيقه على أرض الواقع البشري، عبادةٌ لله تعالى وطاعة لأوامره جل شأنه، وفي مخالفته معصية كبيرة يعاقَب عليها في الدنيا والآخرة، وإقامة العدل بين الناس حق إنساني يشترك فيه الناس جميعاً؛ لأن أصل البشر واحد.

وقد جاء في خطبة الوداع: «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وإن الله عليم خبير، وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى».

ومقتضى ذلك: أن يكون جميع المواطنين طائفة واحدة بلا تمييز لأحدهم على الآخر في تطبيق القانون، وفي النظام الإسلامي القانون هو الكتاب والسنة، وما بني عليهما من أحكام، والكتاب والسنة ليس فيهما محاباة لطبقة على طبقة، ولا جنس على جنس، ولا لون على لون، فالأجير والأمير، والأسود والأبيض، والرئيس والمرؤوس، والغني والفقير، كلهم سواسية، فقد هدم الإسلام كل تلك الصفات، ولم يجعلها سبباً لامتياز وتفوق ما، وأقام التفاضل بين الناس على التقوى ونافع الأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

١ الحرية

انطلاقاً من مبدأ حرية العقيدة الذي قرره الإسلام، فعلى الدولة الحديثة المسلمة والمسلمين جميعاً واجب التسامح الديني إزاء سائر أهل الملل والنحل، والتسامح الديني ليس معناه بالطبع اتخاذ المواقف المتأرجحة من الأديان أو القول بأن الكل سواء، فهو إما جهل أو نفاق، فللتسامح الديني مقومات من أهمها:

- رسوخ الإيمان، وقوة الاقتناع بأن الإسلام وحده هو الدين الحق، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وبهذا المنطق الإيماني يحب المسلم الخير لجميع الناس، ويتقدم المسلم بعرض دينه أمام الجميع، ويدعوهم إليه دون فرضه على أحد، بل ولابد من ترك الناس أحراراً في أن ينظروا في أمرهم، ويختاروا أي دين أو معتقد يميلون إليه.



ويجب على المسلم رعاية شعور غير المسلمين وخاطرهم بعدم إيذائهم بالقول أو الفعل، فمن المنهي عنه سب معتقداتهم، أو الاستهزاء بما يدينون به سداً للذريعة، كذلك من المحظور التضييق عليهم عند ممارسة دينهم، بل ينبغي تمكينهم من ممارسة شعائر دينهم، وإعطائهم الحرية الكافية في ذلك، مع مراعاة النظام والشعور العام.

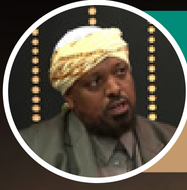


وكذلك فإن كفالة الله في القرآن الكريم للناس في حرية الاعتقاد عامة، وهي تقتضي تقرير حرية الرأي والتعبير؛ لأن حرية الاعتقاد لن تتم إلا بجعل العقل حراً طليقاً، للتفكير والتدبر في الكون والإنسان، وليصل الإنسان (برأيه) وقناعته إلى الإيمان أو الكفر أو حتى الحيادية. وتبرز حرية التعبير من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

الخاتمة

إن المبادئ العامة للمواطنة الحديثة (الحرية والمساواة والعدالة والمشاركة) موجودة بنسقها العام في الإسلام وحقوق المواطنة الإسلامية، وتكتسب شرعيتها من أن الله تعالى هو مصدر إقرار تلك الحقوق، وهي أيضاً واجبة فالتنازل عنها إثم، فالجهاد ما شرع في الإسلام إلا لأجل حمايتها، وتتعمق هذه الشرعية بكون الإنسان خليفة الله في الأرض، وكون الإنسان غاية والدين وسيلة.





الشيخ برهان بن سعيد الجبرتي
الأمين العام لرابطة علماء إرتريا

العلماء العاملون والحكام العادلون

يتأسس المجتمع الإسلامي أول ما يتأسس على أربعة أركان أساسية، هي: حاكمية الشريعة الإسلامية، بما تعنيه من صفاء العقيدة، وسماحة القيم، ثم مرجعية العلماء العاملين بها، وسلطة الحكام العادلين في تطبيقها، وبيعة من المجتمع على التزامها، ولا بيعة إلا بمشاورة «والمعروف عن عمر، أنه أمر بقتل من أراد أن ينفرد عن المسلمين ببيعة، بلا مشاورة»[١].

وبتوافق هذه الأركان واجتماعها، يكون ضمان أمن هذا المجتمع، من الضلال العقدي، والانهيار الأخلاقي، والانحراف السياسي.

والعلاقة بينها، تقوم على المناصحة في إقامة العدل، ونصرة الحق، وطاعة السلطان بالمعروف، ومعارضته بالإحسان في العصيان.

---

١ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية، تحقيق محمد رشاد سالم، ج٦ ص١٨٠.

وقد أبان ذلك أبو بكر رضي الله عنه في أول خطبة سياسية له، يوم تولَّى الخلافة، إذ قال: «أيها الناس، إني قد ولّيت عليكم، ولست بخيركم، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم، القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق، والضعيف قوي عندي حتى آخذ له الحق».



وهو ما قرره الرسول ﷺ بقوله -كما في صحيح مسلم-: «الدين النصيحة». قلنا: لمن؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم».

والنصيحة هي توجيه يقوم به أفراد المجتمع نحو بعضهم بما يصلح حالهم، ويقوِّم اعوجاجهم، ولها آدابها ومنهجها، حتى تحقق غايتها التصويبية، ومقصودها الإصلاحي، بانتفاع المنصوح والناصح معاً.

بذلوا أنفسهم في سبيل الحق ومناصحة الحكّام

وعلى هذا الفَهم للنصيحة، نشأ مجتمع النبوة وتربى، وكانت الشورى المتداولة بينه أهم وأوضح سبيل في تفعيل هذه النصيحة، وإعمالها في واقع الحياة، بشتى صنوفها وأحوالها، وهو ما تحفظه لنا مسيرته التدافعية، وتوثّقه سيرته الدعوية، وأيُّ منا لا يذكر تنازل الرسول ﷺ لرأي أصحابه في عهد أراد أبرامه مع قبيلة غطفان، على أن يعطيها تمر المدينة لمدة عام، مقابل أن تخرج من الحلف الذي هي فيه مع قريش، ضد المجتمع المسلم، في غزوة الأحزاب.

وساعتها سألوه: أوحيٌ أوحيَ إليه؟ (حتى لا يتجاوزوه) أم أنها الحرب والمكيدة؟ (فيكون لهم فيه رأي)، فقال لهم: «إنها الحرب والمكيدة، رأيت العرب رمتكم عن قوس واحد، فأردت أن أخذّل عنكم».



وحينها لم يترددوا من أن يعبّروا عن رأيهم المخالف بقولهم: ما كنا نعطيهم في جاهليتنا، فكيف نعطيهم في إسلامنا؟ وبهذا مضى ما ارتأوه، ومضى معهم رسول الله ﷺ فيما مضوا فيه، فالأمر شورى، والتناصح دين.

وعلى ذلك كانت حياتهم السياسية، بعد رحيله ﷺ وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، تاركاً إياهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، اختاروا أبا بكر الصديق رضي الله عنه خليفة عن تشاور بينهم لا تنازُع، وناصحوه وتناصحوا معه في حرب المرتدين، وفي جيش أسامة، وجادلهم وجادلوه، وشرح الله صدر مَن خالفه حتى وافقه، فاستقام أمر الأمة، واستقر حالها السياسي، فأمِنت من خوف، وتبارك اقتصادها، فأطعمت من جوعٍ، ومكّن الله لها في الأرض، ففتحت أرضاً لم تطأها من قبل، حتى توسعت رقعة الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وعظم شأن الأمة، وتحقق وعد الله فيها:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وجاء الخليفة الثاني، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان حميد السيرة، قوي العزيمة، نافذ البصيرة، يستشير ويستنصح، يوجه، ويُوجه، وكان علي رضي الله عنه من ألصق الصحابة به، يناقشه في تطبيق العقوبة الجنائية على من تُدرأ عنه بشبهة، فيأخذ بفقهه، ويثني عليه، ويحمده، ويراجعه فيما يعزم عليه من شؤون الحكم والسياسة، حتى لما هَم بتصدر جيشه في حرب فارس، أشار عليه علي رضي الله عنه بالبقاء في المدينة، فإن هذا آمن لظهر المسلمين، فاستحسن رأيه.

وما تضجر أبداً وضاقت نفسه عندما احتد الجدال والنقاش بينه وبين بلال ومَن معه -رضي الله عنهم جميعاً- بشأن سواد العراق، حيث كان يرى عدم تقسيمها على الفاتحين، برؤية اقتصادية تثبت فيها حقاً للجيل القادم من ذراري المسلمين، مخالفاً بذلك ما دعا إليه بلال ومن معه، وكان بلال شديداً عليه، حتى قال عمر: «اللهم اكفني بلالاً ومن معه».

ولم يتردد بلال ومَن معه في قول ما يرونه حقاً، ولأن كل ذلك كان منضبطاً بسلوك الإسلام وأخلاقياته في العلاقة بين العلماء العاملين والحكام العادلين، والفقه الراشد لمعنى الشريعة، وواجب البيعة عليها.. لم يشهد مجتمع الإسلام حينها شرخاً ولا شقاقاً، بل ظل على وفاق عميق، يتصدى لخصوم الإسلام بصلابة وإصرار، ويحمي دار الإسلام من أن تكون لهم نهباً، حتى كان استشهاد عمر رضي الله عنه بطعنة خنجر مسموم، من مجوسي يُدعى أبا لؤلؤة.



وثم كانت الشورى في المفاضلة بين مَن يخلف عمر بن الخطاب، علي بن أبي طالب أم عثمان بن عفان؟ رضي الله عنهم جميعاً، فكان الرأي الغالب في اختيار عثمان بن عفان، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، ساس الرعية على هدى وبصيرة، فعمّها الخير، ولكن شابها معه بعض الشر، من جيل فتنته النعم ولبّس عليه الشيطان، وليس هو جيل الصحابة، ولم يحظَ بتربيتهم.



وهنا خرجت خارجة من الغوغاء الهوجاء، تزعُم أن عثمان حاد عن الطريق، وما صدقوا أبداً، ولكن ضلوا سواء السبيل، حين فجَّروا مشكلة سياسية، وتنكبوا منهج الإصلاح القويم لما ظنوه انحرافاً، فحاصروا دار الخليفة، وأبى هو أن تُهراق الدماء دفاعاً عنه حين عرض عليه الصحابة ذلك، وعلى رأسهم علي وابناه الحسن والحسين رضي الله عنهم؛ فلقى ربه شهيداً.

وآل أمر الأمة إلى علي بن أبي طالب، الخليفة الراشد، ولكن على فتق حدث، انتهى باغتيال عليّ من شقي يُدعى عبد الرحمن بن ملجم الخارجي، وهو من فئة مارقة، لا فقه لها في الدين ولا علم، تقرأ القرآن، ولا يجاوز حناجرها.

ولكن اجتمعت الأمة على معاوية، بصلح من الحسن بن علي، رضي الله عنهم جميعاً، به أعاد شأن الأمة إلى الاستقرار ثانية، وما فِعله هذا إلا من فعل العلماء العاملين، الحريصين على وحدة الأمة، وهو مَن قال فيه جده -كما في رواية البخاري-: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين».

وما أن نال معاوية ثقة المجتمع المسلم ببيعته خليفة للمسلمين، كان استتباب الأمن، وكانت الفتوحات، وكانت الانتصارات، وكان من علماء الصحابة والتابعين المراقبة والنصح، وكان من معاوية رحابة الصدر، وحسن السياسة، وجميل الإصغاء إلى الناصحين، إذ دخل أبو مسلم الخولاني على معاوية رضي الله عنه فقال: السلام عليك أيها الأجير، فقال الناس: الأمير يا أبا مسلم! ثم قال: السلام عليك أيها الأجير[٢].



وقام ذات مرة، ومعاوية رضي الله عنه على المنبر يخطب، فقال له: «يا معاوية لا تحسب أن الخلافة جمع المال وتفريقه، إنما الخلافة القول بالحق، والعمل بالـمَعْدَلَةِ، وأَخْذ الناس في ذات الله... يا معاوية وإياك أن تميل على قبيلة من العرب، فيذهب حيفك بعدلك...». فقال له معاوية: «يرحمك الله يا أبا مسلم، يرحمك الله يا أبا مسلم»[٣].

ولما طغى الحجاج، وأسرف في الكبت والقتل، وعلى يده قُتل عبد الله بن الزبير، فما كان من والدته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما إلا أن عنّفته، ووصفته بما هو أهل له من الفظاظة والغلظة، إذ قالت له حين

---

٢ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، بيروت، دار ابن حزم، ط الأولى، ٢٠٠٣م، ص١٧، وابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ط، ١٩٩٥م، ج ٢٧ ص ٢٢٣ والذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ هـ، ج٤ ص١٣.

٣ ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج٢٧ ص٢٢٣.

دخل عليها مبديةً تضامنها مع ابنها في خروجه عليه، ومندِدة بسياساته الظالمة وجبروته القمعي: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: يخرج في ثقيف كذاب ومُبِير، فأما الكذاب فقد رأيناه [تعني مختار الثقفي] وأما المُبِيرُ فأنت»[٤].

وقال الذهبي في ترجمته للحجاج مبيناً إسرافه في الدماء واستهتاره بها، داعياً إلى سبه وبغضه في الله: «أهلكه الله في رمضان سنة خمس وتسعين كهلاً، وكان ظلوماً، جباراً، ناصبياً خبيثاً، سفاكاً للدماء، وكان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء، وفصاحة وبلاغة، وتعظيم للقرآن. قد سُقت من سوء سيرته في تاريخي الكبير، وحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله، فَنَسُبُّهُ ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان»[٥].

وهذه نماذج من علماء السلف، ولولا أن المقام لا يسمح بالتوسع، لأوردت الكثير من غير هؤلاء، كالإمام أحمد بن حنبل، وعبد الله بن المبارك، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والعز بن عبد السلام، ممن بذل نفسه في قول الحق، ونصرة المظلوم، ومناصحة الحاكم المنحرف، والقبول بسجنه، وجلده، ومجاهدة الغازي المعتدي، في ساحة الجهاد، وتحريض الناس على مواجهته، كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية، في مقاتلة التتار.

العلماء وحكام عصرنا

ولا تزال هذه السيرة باقية في العلماء العاملين، ومنهم صاحب كتاب (الإسلام بين العلماء والحكام) الشيخ عبد العزيز البدري، وقتله البعثيون في العراق، والداعية الشهيد حسن البنا، وقد تخلص منه الأعداء

---

٤ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج٢ ص٢٩٤.

٥ المصدر نفسه، ج٤ ص٣٤٣.

اغتيالاً، بعد أن رأوا أنه داعية الجهاد في سبيل الله، وتحرير الأقصى من الصهاينة، والعودة بالأمة إلى وحدة جامعة، في ظل قيادة سياسية راشدة، ثم من بعده كان إعدام الأديب الداعية، الشهيد سيد قطب رحمه الله وإخوانه الذين رافقوه إلى حبل المشنقة.

وفيه كتب الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز فقال: «سيد قطب رحمه الله نفذ في المذكور حكم الإعدام، في يوم الاثنين ١٣/٥/١٣٨٦هـ، فرحمة الله عليه، وعلى سائر علماء المسلمين، ونرجو أن يكون من الشهداء الأبرار، وقد قُتل معه في هذا اليوم الشيخ عبد الفتاح إسماعيل، والشيخ محمد إبراهيم هراس [الصواب محمد يوسف هواش] غفر الله للجميع، وكتب الشهادة لهم، والمذكور له مؤلفات كثيرة مفيدة، أشهرها وأهمها تفسيره: في ظلال القرآن»[٦].



وفي هذا نرى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله يكتب إلى جمال عبد الناصر، منذراً إياه بوعيد الله لمن قتل مؤمناً بغير حق، منكراً عليه إعدام الشهيد سيد قطب رحمه الله؛ إذ كتب إليه ما نصه: «من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى الرئيس جمال عبد الناصر، السلام على مَن اتبع الهدى، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]».

٦ ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، تحفة الإخوان في تراجم بعض الأعيان، ترتيب واعتناء عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، الرياض، دار أصالة الحاضر، ط الأولى ٢٠٠٩م، ص٣٩.

وأرسل برقية باسمه، عن المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، موجهة لحافظ الأسد، الرئيس السوري الهالك، ونشرتها مجلة الاعتصام المصرية، في يناير ١٩٨٠م، ومما جاء فيها قوله: «لقد هال المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية، المنعقد بالمدينة المنورة، والذي يحضره ممثلون من علماء المسلمين، وقادة الفكر في العالم الإسلامي، ما جرى ويجري في سوريا المسلمة، من إعدام وتعذيب، وتنكيل بالمسلمين الذين يطالبون بتحكيم شريعة الله في المجتمع...»[٨].

وكتب خطاباً إلى الرئيس الباكستاني الجنرال ضياء الحق، حمله إليه الشيخ عبد الله بن قعود، بتكليف من الشيخ ابن باز، وفيه يطلب من الرئيس ضياء الحق السعي لدى الرئيس التركي حينها كنعان إيفرين؛ لإطلاق سراح المعتقل السياسي الإسلامي التركي، نجم الدين أربكان[٩].

ومثله نجد الشيخ يوسف القرضاوي، قال كلمة الحق ولم يبالِ، حتى أنه مُنع من دخول بعض الدول، ووُضع منها في قائمة الإرهاب، وهو بريء من وسمة الإرهاب، وكل ذلك بعد أن مسّه الأذى والضرر في سجون عبد الناصر.

وفي الأمة خير كثير، ولكن لن تعود هذه الأمة إلى مجدها، ولن تسترد عزها، ما لم يتصدرها العلماء العاملون، في مناضلة الطغاة المستعمرين، الذين أساؤوا إلى دينها ونبيها. ومن واجب حكام العصر، المسارعة إلى الالتحام مع العلماء العاملين، في سياسة الأمة ومصالحها، وفي مواجهة خصومها، والمتربصين بها شراً، من دول الاستكبار العالمي، والاستيطان الصهيوني.

٨- ٣ رسائل قوية من عبد العزيز بن باز لحكام العرب، روجعت بتاريخ ٢/٣/٢٠٢١م، على الرابط: www.ksanews365.org/48330/

٩ العصلاني، فيصل بن راجح بن رجاء، آراء الشيخ عبد الله بن قعود التربوية من خلال مؤلفاته وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، إشراف الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد حريري، الفصل الدراسي الثاني لعام ١٤٣٠هـ ص٤٦، وأرشيف ملتقى أهل الحديث، العنبر والعود في سيرة العلامة ابن قعود، ص٣١٨.

د. حسين عبد العال
عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ



ماذا لو حكم عالمنَا اليومَ محمدٌ ﷺ؟

لقد اختار الله سبحانه وتعالى نبيه وصفيه من خلقه وحبيبه محمدًا ﷺ، ليكون صاحب الرسالة الخاتمة، والشريعة المهيمنة على ما سبقها من شرائع، مع تصديقها لكل ما أنزله الله من قبل على رسله، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

ووصفه بأجمل الأوصاف، وبيّن أن الخير كل الخير في مجيئه لهذه البشرية جمعاء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا * وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا * وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٨].



بل وبيّن سبحانه أن إرساله كان رحمة للخلق أجمعين، مسلمهم وكافرهم، إنسهم وجنهم، بل حتى للحيوان والطير والنبات والجماد، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

الأصدقاء والأعداء يصفون النبي ﷺ

- خديجة رضي الله عنها تصفه بما رأته فيه بعد عشرةٍ دامت خمسة عشر عامًا، فقالت له: «كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وتَحمِلُ الكَلَّ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوَائِبِ الحَقِّ»[1].

- وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يحدثنا عن جمال منهجه ﷺ، وكيفية الفرق بينه وبين الجاهلية التي سبقت مجيئه، فيقول أمام النجاشي ملك الحبشة: «أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا

---

١ صحيح البخاري رقم ٦٩٨٢.

عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى بعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَه، وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَه، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَه، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَحْنُ نَعْبُدُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ. وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ. وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ -قَالَتْ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلامِ- فَصَدَّقْنَاهُ، وَآمَنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ»[٢].

علماء ومفكرون ملحدون يصفون محمدًا ﷺ



يقول الأديب الروسي الكبير ليو تولستوي:

«أنا من المبهورين والمعظمين بمحمد، فهو الذي اختاره الله لتكون آخر الرسالات على يديه، ويكون هو كذلك آخر الأنبياء، فيكفيه فخرًا وشرفًا أنه خلّص أمة ذليلة همجية دموية من مخالب شيطان العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريق الرقي والتقدم»[٣].

- جوستاف لوبون، مفكر فرنسي شهير، يتحدث عن النبي ﷺ في كتابه «الدين والحياة» فيقول: «لقد كان محمد ذا أخلاق عالية وحكمة ورقة قلب، ورأفة ورحمة، وصدق وأمانة»، ويقول أيضاً: «إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم، كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ».

---

٢ مسند الإمام أحمد رقم ١٧٤٠، من رواية أم سلمة رضي الله عنها.

٣ موقع إلكتروني: الجزيرة نت، مدونات، بعنوان: هذا ما قاله ليو تولستوي عن النبي محمد ﷺ.

- كارديفو، فيلسوف فرنسي مشهور، يقول: «إن محمداً كان هو النبي المُلْهَم والمؤمن، ولم يستطع أحد أن ينازعه المكانة العالية التي كان عليها، إن شعور المساواة والإخاء الذي أسسه بين أعضاء الكتلة الإسلامية كان يطبق عمليًّا حتى على النبي نفسه».

- لامارتين، الشاعر الفرنسي العالمي الشهير، يشهد للنبي محمد ﷺ فيقول: «من ذا الذي يجرؤ من الناحية البشرية على تشبيه رجل من رجال التاريخ بمحمد؟ ومن هو الرجل الذي ظهر أعظم منه عند النظر إلى جميع المقاييس التي تقاس بها عظمة الإنسان؟! فأعظم حب في حياتي هو أنني درستُ حياة محمد دراسة وافية، وأدركت ما فيها من عظمة وخلود». وأضاف: «أي رجل أدرك من العظمة الإنسانية مثلما أدركه محمد؟! وأي إنسان بلغ؟! لقد هدم المعتقدات الباطلة التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق، وإذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة؛ لذلك رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيًّا من عظماء التاريخ الحديث بمحمد في عبقريته؟!»[٤].

النبي ﷺ في سلمه وحربه

لو تحدثنا عن النبي ﷺ في حال حربه لظهرت لنا عظيم صفاته، إذن كيف هو في وقت سلمه؟ رجل يظهر عدله وإنصافه وكريم خلقه في وقت الحرب مع



---

٤ موقع إلكتروني: إسلام ويب، مقال بعنوان انتبهوا إنه محمد رسول الله ﷺ.

أعدائه، فكيف بأخلاقه في وقت السلم مع أصدقائه؟! حقًا إنه لعلى خلق عظيم كما وصفه ربه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، فصاحب الخلق العظيم سيظل هكذا سلمًا وحربًا، مع الصديق والعدو، وفيما يلي بعض الأمثلة لتعامله ﷺ مع أعدائه وقت الحرب.

تعامله ﷺ مع يهود المدينة



لتقف الدنيا كلها على قدم واحدة، ولترفع قبعاتها، ولترفع تعظيم سلام لسيد البشرية وهو يعامل أعداءه، بل شر أعدائه، وهو يعلم أنهم أشد الناس عداوة له، ومع هذا يبرم معهم العهود فينقضونها ولا ينقض لهم عهدًا، ويقف له بنو قينقاع ويحاربونه، فما قتل لهم طفلًا ولا آذى امرأة مع قدرته على ذلك، وحربه وطرده لبني قينقاع ما دفعه أبدًا أن يؤذي بني النضير مثلًا لأنهم من اليهود، ثم تغدر بنو النضير ويريدون قتله ﷺ فما فعل سوى أن أجلاهم من المدينة، وظل يحسن معاملة قريظة حتى غدروا به في أحلك الظروف وشدة المواقف، وحاصرهم ونزلوا على حكمه، ومع هذا ما ارتكب جريمة حرب معهم، ولا قتل أطفالهم ونساءهم، ولا هدم دورهم، فقط تعامل مع المقاتلين منهم، ومن كان يعلن إسلامه يتركه لإسلامه، فأي عدل ورحمة وحسن خلق يعدل هذا في كون الله تعالى؟

تعامله مع أهل مكة

فأهل مكة آذوه أشد الإيذاء، عذبوه وأصحابه، وطردوهم من ديارهم، واستولوا على أموالهم وممتلكاتهم، وقاتلوهم أشد القتال في بدر وأحد والخندق، وكانوا يتربصون بهم ليفتكوا بهم، ومع هذا لما تمكن -بفضل الله- من رقابهم قال لهم: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم، اذهبوا فأنتم الطلقاء، بل ويدخل مكة في جيش لا يقاوَم، ومع هذا يدخل مطأطأً رأسه الشريفة تواضعًا لله تعالى، وهذا دفعهم للإسلام مع رسول الله ﷺ صغيرهم وكبيرهم، عامتهم وسادتهم.

وصيته لجنده في حال غزوهم لديار أعدائهم



تخيل أن ملوك الدنيا كيف يوصون جيوشهم في حال غزوها للعدو، يوصونهم بالتعامل كأشد ما يكون مع عدوهم، بل يستبيحون لهم المدن التي غزوها، يفعلون بها ما يشاؤون قتلًا ونهبًا واغتصابًا، فتمتلئ بالمقابر الجماعية، وتهدم فيها الدور على ساكنيها، ولذا كانوا يقولون في المثل: «من عز بز ومن غلب سلب»، فهذا منطق الجاهلية في كل زمان ومكان، حتى لو كانت الحرب بين النصارى والنصارى المخالفين لهم، وسلْ ألمانيا في الحرب العالمية الثانية ماذا حدث لنسائها وأطفالها لما هُزمت في الحرب، وسل اليابان ماذا فعلوا بأهلها لما ضُربوهم بالقنابل الذرية؟

أما منطق محمد ﷺ فهو بخلاف ذلك ولم لا وهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين، فقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فانظر بم يوصي جنده الفاتحين، عَنْ سليمان بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا أَمَّرَ أميرًا على جيش أو سرية، أوصاه خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ معه مِنَ الْمُسْلِمِينَ خيرًا. ثم قال: اغزوا باسم الله، وفي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تغدِروا وَلَا تمثلوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ (أَوْ خِلَالٍ)، فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ، إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ، فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ. فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ»[٥].

نصرته لحلفائه ﷺ

وحتى في نصرته لحلفائه لم تكن نصرةً جاهلية، بل كانت نصرة قائمة على العدل والتقوى والرحمة، فهو ينصر حلفاءه في حال كونهم مظلومين، فإن كانوا ظالمين فلا، وهذا منتهى العدل، بل كان يربي أصحابه -رضوان الله عليهم- على ذلك، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»[٦].

---

٥ مسلم، رقم ١٧٣١.

٦ البخاري، رقم ٦٩٥٢.

ولما جاءه عمرو بن سالم الخزاعي يشكو له ما فعله بنو بكر مع خزاعة وما حدث من ظلم قريش لهم بوقوفها مع بني بكر، ما كان من النبي ﷺ إلا أن قال له: «نُصرت يا عمرو بن سالم». ثم سيّر جيشًا نصرةً لحلفائه، وكان على إثرها أن فتح الله عز وجل له مكة.



فماذا لو حكم محمد ﷺ عالمنا اليوم؟

لما حكم النبي ﷺ الجزيرة العربية، نشر العدل، وقضى على الظلم، وأرغم أهل الشرك والطغيان بجهاد ذي أخلاق عالية، فقضى على قُطّاع الطرق من الأعراب الذين كانوا يروعون الآمنين، ويستولون على أموالهم وممتلكاتهم، بل ويقتلونهم، بل ورفع راية الأمن والأمان لكل سائر مسالم، وهذا عين ما قاله وهو في مكة قبل الهجرة، فلقد بيّن من حديثه مع خباب بن الأرت -رضي الله عنه- سياسته التي ينتوي فعلها حين قال له: «...وَاللهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[٧].

فلو حكم النبي ﷺ لزال الظلم عن المسلمين وغير المسلمين، ولساد العدل ربوع الأرض من مشرقها لمغربها، ولما كنا رأينا المآسي التي تحدث للمسلمين اليوم مثل فلسطين والسودان وغيرها، ولكان المجتمع الدولي له قرارات عادلة صائبة، وذلك لكون الرسول محمد ﷺ على رأسه.

---

٧ البخاري، ٦٩٤٣.

لو حكم النبي ﷺ لسارت الظعينة من صنعاء لحضرموت آمنة مطمئنة، لو حكم النبي ﷺ لما ظُلمت امرأة بحرمانها من أهلها وأطفالها، ولما قتل طفل ظلمًا وعدوانًا، بل لما ظلم حيوان، ولجاء أهل المشرق والمغرب يلتمسون عدله ورحمته.



وهكذا يكون الحال لو حكم المسلمون اليوم بشريعته، واتبعوا هديه، وأظهروا سنته، ولن يكون هذا إلا لو تقلد الحكمَ الأتقياءُ من أمته.

يقول ليو تولستوي: إن البشرية في أشد الحاجة لقوانين الشريعة الإسلامية، فإن شريعة القرآن سوف تسود العالم، لتوافق العقل وتنسجم مع الحكمة، لقد فهمت وأدركت أن ما تحتاج إليه البشرية هو شريعة سماوية تحقق الحق، وتبدد الباطل، والشريعة الإسلامية بقوانينها هي أرقى نموذج ليسود العدل وائتلاف العقل الحكمة هذا العالم[٨].

فاللهم اجعل هذا اليوم قريبًا عاجلًا غير آجل برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

٨ موقع إلكتروني: الجزيرة نت، مدونات، بعنوان: هذا ما قاله ليو تولستوي عن النبي محمد ﷺ.



د. حسن سلمان

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

الإسلام والعلاقات الدولية (٢/١)

الحمد لله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين هادياً ودليلاً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، حيث أقام للحق دعوة ودولة وحضارة، وهدم الله به الباطل وبدد به الظلمات، وأنار به الدنيا نخرج الناس به من الظلمات والضلال إلى النور والهدى، ومن الشرك والكفر إلى التوحيد والإيمان، ومن التعاون على الإثم والعدوان إلى التعاون على البر والتقوى، فكانت رسالته هدى ورحمة للعالمين، وميزان عدل وقسط للمختلفين

المتباينين، ومظلة سلام يفيء إليها الباحثون عن المعنى الأبدي للوجود، بعيداً عن مذاهب التيه وطرائق الضياع والشتات، بحثاً عن الحقيقة وبراهينها بالعقل والنقل والحس والتجربة دون سطوة الإكراه المادي والمعنوي لفرض العقائد والتصورات وفتنة الناس في دينهم ودنياهم.

عِلم العلاقات الدولية في سياق العلوم الوضعية يُعد علماً حديثاً لم يتبلور في صورته المستقلة إلا في أواسط القرن العشرين، وهو العلم الذي يَدرس مكونات المجتمع الدولي ذات التأثير السياسي، وبالتالي فمدار علم العلاقات الدولية هو الدول في علاقاتها الخارجية ولا تعلق له بالسياسات الداخلية، ويدخل في ذلك جملة من الموضوعات ذات الطابع الدولي من مؤسسات ونظم وسياسات وقوانين ونظريات وغيرها.

وأما علم العلاقات الدولية في السياق الإسلامي فهو علم مبكر، نشأ ليجيب عن التساؤلات التي اقتضتها طبيعة الفتوح الإسلامي في مساحات كبيرة، وطبيعة العلاقات بين الولاية الإسلامية العامة (الخلافة) وغيرها من الأمم، وكان رائد هذا العلم الإمام محمد بن الحسن الشيباني (صاحب أبي حنيفة) من خلال كتابه (السير الكبير)؛ فقد بلور من خلاله أصول العلاقات الدولية. وسبقت الأمة المسلمة بذلك غيرها من الأمم في هذا المجال وإن اختلفت طبيعة الموضوعات التي يدرسها في الإطار الإسلامي؛ فهو يتناول علاقات الدول والأمم ببعضها سلماً أو حرباً، كما يتناول علاقات غير المسلمين في الدولة الإسلامية خلافاً لطريقة التناول المعاصرة.



 وبما أن العلاقات الدولية ودراستها واسعة ومتشعبة يصعب اختزالها في مقال محكوم بسياقات محددة كماً وكيفاً، وعليه سيتم في هذا المقال تناول الرؤية العقدية والفلسفية للعلاقات الدولية في الإسلام، على أمل أن نواصل في الحديث عن القيم الحاكمة للعلاقات في مقال آخر -إن شاء الله تعالى-.

حقيقة الإنسان وطبيعته

 وإن النظر في مسألة العلاقات الدولية ودراستها تتطلب معرفة حقيقة الإنسان وطبيعته، هذا الكائن ذو الطبيعة المتفردة، التي تتسم بالمشيئة والفاعلية في إطار المشيئة الإلهية العامة والمطلقة، فلا هو كائن ملائكي مفطور على الطاعة ومسخر لها، ولا هو مخلوق شيطاني شرير لا يصدر عنه الخير مطلقاً، ولا هو كائن طبيعي ينتسب إلى عوالم الأشياء التي هي محكومة بمنطق سنني حتمي لا يحيد عنه، فالإنسان مخلوق هيأه الله تعالى لتكون له القابلية على فعل الخير والشر قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

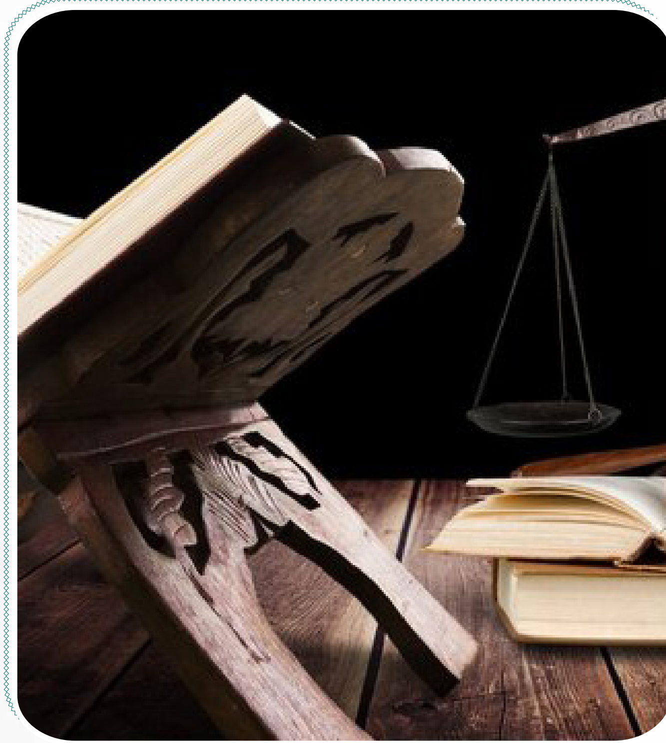


ولكن عملياً نجد الإنسان كثير التجاوز والتعدي والميل نحو الشرور، إلا أن يصدّه عن ذلك العجز الذاتي أو الخوف من الردع والدفع الخارجي، وهو ما نبّه إليه أبو الوفاء ابن عقيل قائلاً: «رأيت الناس لا يعصمهم من الظلم إلا العجز، ولا أقول العوام بل العلماء»[١].

---

١ الفروع، لابن مفلح، ج٣ ص٢٢.

وهو حقيقة الوصف الإنساني عندما لا ينضبط بالشرع ولا يلتزم بالفطرة السوية، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٢٧]، وإذا كان هذا حال الإنسان وطبيعته وهو الواقع الذي نشاهده في حياتنا فإن أمر الدول لا يختلف عن أحوال الناس كثيراً، لأن الدولة ليست لها شخصية مادية مستقلة عن الأفراد بل هي مجرد أداة في يد الإنسان وما هو أصل وطبع في الإنسان فهو أظهر في الدولة وأقوى؛ لأن الدولة تتمتع بقدرات وسلطات هائلة لا يتمتع بها الفرد، وهو ما نشاهده في العلاقات الدولية من تجاوزات وعداوات واستخدام للقوة لفرض الخيارات ونهب الموارد والثروات. ولهذا جاءت الشريعة جامعة في أحكامها بين تشخيص الإنسان ونوازعه المختلفة، باعتباره الفاعل الأهم في الاستخلاف والعمران، ثم الارتقاء به ومعالجة اختلالاته ومنع عدوانه وفساده في مثالية واقعية تنشد الكمال بحسب الإمكان.



ونحاول في هذا المقال تناول بعض المعالم الأساسية حول العلاقات الدولية -الكونية- في الإسلام ورؤيتها العقدية ومنظورها الفلسفي، وكيف يمكن لحركة الإسلام أن تكون فاعلة ومنفعلة بالمدافعات الدولية من خلال منظومتها الخاصة؛ دون حالة الذوبان في منظومة الآخر ومؤسساته، فتتحول الأمة الرسالية صاحبة الكتاب الخاتم إلى مجرد أدوات مستخدمة في مشاريع وسياسات القوى العالمية صاحبة النفوذ الأكبر في النظام الدولي.. المختل نشأةً وتأسيساً وسلوكاً وممارسةً.

أولاً: الحكمة من ظاهرة التنوع البشري



اقتضت الحكمة الربانية إلى وجود التنوع والتعدد البشري؛ كما تشير لذلك كثير من الآيات القرآنية، وأنه مقتضى المشيئة الإلهية، ويتخذ هذا التنوع أشكالاً عدة:

- التنوع الجنسي: كما في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٣].

- التنوع العرقي والقومي: كما يتبدّى في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

- التنوع اللغوي والإثني: كما في قوله جل شأنه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

- التنوع الديني: ويبدو في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

وقد اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ في المُشارِ إلَيْهِ بِقَوْلِهِ «ولذَلِكَ» فَقِيلَ: ﴿إلّا من رَحِمَ رَبُّك﴾، وَلِلرَّحْمَةِ «خَلَقَهم»، والتَّحْقِيقُ كما اختاره العلامة الشنقيطي في تفسيره أنَّ المُشارَ إلَيْهِ هو اخْتِلافُهم إلى شَقِيٍّ وسَعِيدٍ المَذْكُورُ في قَوْلِهِ: ﴿وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ ﴿إلّا مَن رَحِمَ رَبُّكَ﴾ ولِذَلِكَ الِاخْتِلافِ خَلَقَهم فَخَلَقَ ﴿فَرِيقًا لِلْجَنَّةِ وفَرِيقًا لِلسَّعِيرِ﴾.



ولما كان الخلق الإنساني متنوعاً قدراً وكوناً، وأن هذا التنوع قد يؤدي إلى الاختلاف والتجاوز والعدوان والتهارج والفساد، وهذا يتنافى مع الغاية المرادة للشارع من هذا التنوع، وهي تحقيق التعارف الذي ورد في قوله تعالى «لِتعارفوا»، وأن التعارف مبناه على التواصل والتفاهم وفتح قنوات الحوار وصولاً للمعروف واجتناباً للمنكر وبحثاً في المشتركات النافعة ثم التعاون عليها، تحقيقاً لمصالح العباد ودفعاً للمفاسد عنهم، ومصداق ذلك قوله تعالى: «وتعاونوا»، هذه هي الغاية التي رسمها الشارع للتعامل مع ظاهرة التنوع البشري بأنواعه المختلفة، تحقيقاً للاستخلاف والتمكين المؤدي لعبادة الله تعالى والعمران في الأرض والحياة الطيبة في الدنيا والسعادة الأبدية في الآخرة.

ولما كان الناس مختلفين في تصوراتهم ومفاهيمهم ومنطلقاتهم ونظرتهم للحياة ولموقعهم فيها ومصيرهم المستقبلي، فإن الشارع جل جلاله لم يترك أمر الناس هملاً بلا هداية وجهلاً في عماية، بل تتابع الرسل والرسالات منذ اللحظة

الأولى لوجود البشر على وجه الأرض، لضبط بوصلة تفكيرهم وتحديد مسار عملهم سواء على الصعد الفردية أو الجماعية، وقد تطور الخطاب الديني مع تطور البشرية وأنماط حياتها بدءاً من الأسرة ووصولاً إلى التعارف الإنساني والانفتاح الكوني على النحو التالي:

انتقل الخطاب الديني بالإنسان من المشاهد والمشخص والتواصل المستمر مع السماء في تجدد دائم في الرسالات السابقة، إلى التجريد والغيب في الرسالة الخاتمة ليكون مدخلها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ٣]، وهي السمة البارزة في الرسالة الخاتمة، وبالتالي توقف الوحي والتتابع السماوي المباشر ليكون الكتاب المنزل هو العلاقة المستمرة مع السماء (حاكمية الكتاب)، ولئن كانت الرسالات السابقة يقوم سلطانها الدنيوي باختيار الله تعالى وهم الأنبياء الساسة «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي»[٢]، فإن الرسالة الخاتمة يقوم أمرها وسلطانها الدنيوي على اختيار الأمة ورضاها وشوراها في إطار حاكمية الكتاب.

وانتقل الخطاب الديني عبر مسيرته التاريخية من المحلية إلى العالمية، فاتسعت رقعة الدعوة وميدانها (عالمية الخطاب) قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، كما انتقل الخطاب من القومية إلى الإنسانية فبدلاً من الخطاب بمفردة «يا قوم» تحول الخطاب إلى «يا أيها الناس»، وهو أول نداء في القرآن الكريم في سورة البقرة إيذاناً بالعالمية والإنسانية، قال رسول الله ﷺ: «وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس كافة»[٣].



٢ متفق عليه.

٣ البخاري ومسلم.

وانتقل الخطاب الرسالي من شرعة الأغلال والآصار التي سادت الخطاب الموجه لبني إسرائيل، إلى شرعة التيسير والرحمة التي هي خاصية الأمة الخاتمة ورسولها، قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

وانتقل الخطاب من المعجزات والبينات والبصائر المادية المرتبطة بالرسول وحياته إلى معجزة القرآن الخالدة، والقائمة على حقائق العلم وقوة الحجة ومنطق المناظرة والحوار، ليخاطب عقل الإنسان كما يخاطب وجدانه، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

وخلاصة القول فإن الخطاب الديني الهادي للبشرية والموجّه لمسيرتها الطويلة بلغ تمامه وكماله في الرسالة العالمية التي بُعث بها محمد ﷺ، فصار الإنسان حيثما كان هو موضوع الرسالة، والأرض حيثما كانت هي مجال تمددها وانتشارها، بخصائصها المتعددة القائمة على أساس تقرير الحق وتنزيل الأمر وتبصير الخلق بالعاجل والآجل، أي (المسيرة والمصير)، في تواصل وتعارف إنساني بقصد الهداية والصلاح، تصوراً وممارسةً في كافة سياقات الحياة الإنسانية، وبناءً على ذلك ندلف إلى الحديث عن العلاقات الإنسانية والدولية في الإسلام.

[يُستكمل المقال في العدد القادم من مجلة أنصار النبي ﷺ إن شاء الله تعالى].



الشيخ محمد علي محمد المسعود

عضو هيئة التعليم في مؤسسة إددف

مهارة جذبِ الانتباهِ في سيرةِ النّبي ﷺ

الحمدُ للهِ والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمد رسولِ الله وآلِهِ وصحبِهِ ومن والاه.

تعدّ عمليَّةُ التواصلِ في حياتنا اليومية ضرورة حتمية لكلِّ من أراد أن يوضِّح فكرةً علميّةً أو أدبيّة أو دينيّة، ولكي تترك أثراً في غيرك يتحتَّم عليك أن تصل إلى مرحلةِ الإقناعِ والتأثيرِ، وبالتالي لا بدَّ أن تمتلك مهاراتٍ وقدراتٍ وفنونَ متنوعة حتى تصل إلى هدفك؛ ألا وهو جذبُ الانتباهِ بشتى الوسائلِ والأساليبِ المحفِّزةِ، وجعل المتلقّي متوجِّهاً إليك بكلِّيَّته سمعاً وبصراً وفكراً. ولا سيَّما في هذا العصر الذي يتَّسم بفرْطِ المشتِّتَاتِ من هواتفَ ذكيةٍ لا يكادُ تخلو منها يدٌ، وهموم أثقلت الكواهلَ، وحروب دمَّرت العقولَ قبلَ الأجسادِ.

ومن خلال هذه المقدمة ندرك عظيم المسؤولية التي تقع على عاتق المعلم والمربّي وحتى الخطيب والواعظة الَّذي يريد أن يؤثِّر في المتلقِّي لكلامِه، ليتِمّ الفائدة المرجوَّة، وكأنَّه في سباقٍ محمومٍ مع هذه المشتّتاتِ الذهنيّةِ.

والناظر في أحاديثِ النبيّ ﷺ وسيرته العطرة، يجد أنَّها خيرُ معلمٍ ومرشدٍ لأساليب التأثير وجذب الانتباه، بل هي أهم مصدرٍ من المصادر التي تضمَّنت فنونَ وأساليب ومهارات جذب الانتباه بجميع أشكالها الحركية واللفظية، فما كان ﷺ يدَّخرُ أسلوباً من الأساليب المؤثرة إلا وأتى به معلماً ومربياً وهادياً.

ونظراً لأهمّية هذه الأحاديث النبويّة الشَّريفة التي قد تضمَّنت أساليب ومهارات إثارة الانتباه بكل أشكالها، كتبتُ هذه السُّطور المتواضعة في خِضَمِّ هذا البحر الزَّاخرِ لعلّي أوفَّق لتقديم نموذجٍ تربوي نبويّ لكلِّ معلّمٍ ومربٍّ وأبٍ وأمٍّ وخطيبٍ وواعظ. وبطبيعة الحال فإنّي لن أستطيع أن أستوعب كمّاً كبيراً من أساليب النبي ﷺ في طرق جذب الانتباه في هذه العُجالة المختصرة، إلّا أنّي سأسلّط الضّوء على بعض الأساليب النبويَّة وأضرب لها الأمثلة المناسبة من أحاديث النبيِّ ﷺ مع شيءٍ من التَّحليل الموضوعيّ ما أمكن ذلك.



أسلوب طرح السؤال

لا شكَّ أنّ طرحَ السؤال وإعطاءِ الوقت للتفكيرِ والإجابة، طريقةٌ فعالة في تعزيزِ عمليةِ إثارةِ الانتباه؛ لأنَّها تشركُ المتلقي في المحادثةِ كلما أمكن ذلك، وبهذا

الأسلوبِ التعليمي فإنَّ المخاطبَ سيصيرُ أكثر انخراطاً واهتماماً حتَّى وإن كان غافلاً أو شاردَ الذِهن عمَّا يقولهُ المعلم، فأسلوبُ طرحِ السُّؤال سيعيد له حضوره الذِهني.



والنَّاظر في أحاديث النبي ﷺ يجد كمَّاً كبيراً منها تضمَّن هذا الأسلوب الراقي، ويجد أن طرحَ السؤال في عمليّةِ التَّعليم أسلوبُ نبويٌّ كريمُ استخدمهُ النّبيّ ﷺ في كثيرٍ من الأحيان ليجذب انتباهَ أصحابِهِ فيفوزوا بخيريَّ الدّنيا والآخرة.

ولتوضيح ذلكَ الأسلوبَ النّبويَّ، نستعرض حديث النبي ﷺ عن أبي هريرة أنَّ رسول ﷺ قال: «أتدرون مَن المفلسُ؟» قالوا: يا رسولَ اللهِ المفلسُ فينا من لا درهمَ له ولا متاعَ. قال: «إنَّ المفلسَ من أمتي من يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ، وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مالَ هذا، فيأخذُ هذا من حسناتِهِ وهذا من حسناتِهِ، فإن فَنِيَتْ حسناتُه قبل أن يقضيَ ما عليه أخذ من سيئاتهم فطُرِحَ عليهِ ثم طُرِحَ في النار»[1].

يتبين لنا أنَّ سؤال النّبيّ ﷺ لم يكن لطلب ما ليس معلوماً عنده، بل هو استفهامٌ تعليميٌّ غرضه جذبُ الانتباه، وتقرير المعلومة وترسيخها في ذهن المتلقِّي، ليفتح باب المناقشة والمفاعلة المشتركة بينه وبين الصحابة رضي الله عنهم.

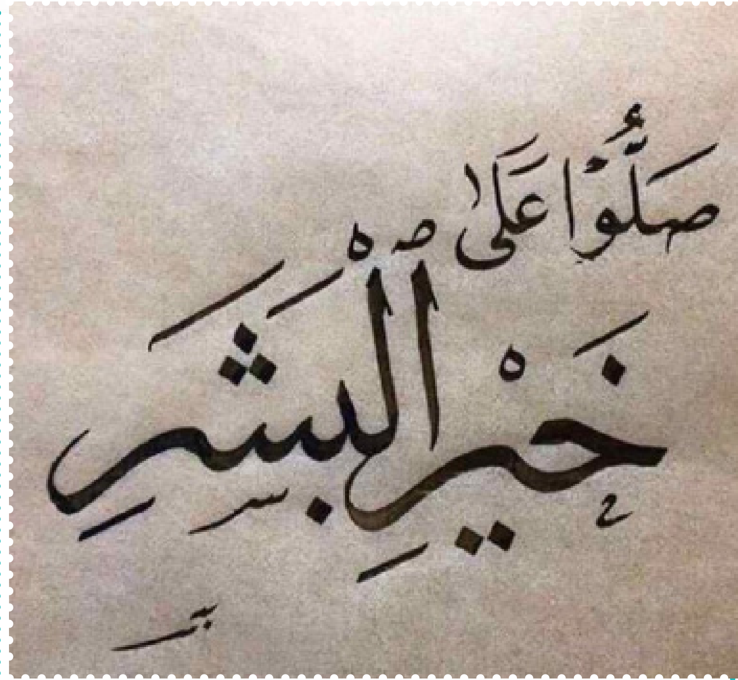
---

١ رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة. باب تحريم الظلم، رقم ٢٥٨١.

- وبهذا الأسلوب التربويّ المؤثِّر وردت أحاديثُ كثيرة يضيق البحثُ عن ذكرها ودراستها، منها حديثُ أبي بن كعب رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، أتدري أيَّ آية من كتاب الله معك أعظم»؟ قال: قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلم. قال: يا أبا المنذر، أتدري أي آيةٍ من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله لا إله إلا هو الحيُّ القيوم. قال: فضرب في صدري وقال: «واللهِ !ليَهْنك العلم أبا المنذِر»[٢].

أسلوب ضرب المثل

كان النبيُّ ﷺ في كثيرٍ من الأحيان يستعينُ بهذا الأسلوبِ لإثارةِ وجذبِ انتباهِ الصحابة وحصولِ الفائدة المرجوَّة، وخيرُ ما يوضِّح هذا الأسلوب النبويَّ الشّريف ما رواه أبو موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مَثَل مَا بعثني اللَّه بِهِ مِنَ الْهُدَى والْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَاب أَرْضاً فَكَانَتْ طَائِفَةٌ طَيبَةٌ، قبلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ والْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمسكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللَّه بِهَا النَّاس فَشَربُوا مِنْهَا وسَقَوْا وَزَرَعَوا. وأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعانٌ لا تُمسِكُ مَاءً وَلا تُنْبتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينَ اللَّه، وَنَفَعَه بمَا بعَثَنِي اللَّه بِهِ، فَعلِمَ وعلَّمَ، وَمثل مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلِكَ رَأْساً وِلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»[٣].



---

٢ رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافر وقصرها. باب فضل سورة الكهف، رقم٨١٠.
٣ رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب فضل من عِلم وعلّم. رقم ٧٩.



وعلى غِرارِ هذا الحديث النبوي العظيم أحاديث كثيرةٌ تبرزُ أهميَّة أسلوبِ ضربِ الأمثال والتشبيه في عمليّة جذب الانتباه لدى المتلقي.

أسلوب السكوت أثناء الكلام

وهو أسلوبٌ نبويٌّ كريمٌ هدفه إثارة الفضول لدى المتلقّين وإعطاؤهم مساحةً للتفكير فيما سيقوله، وبذلك يكون قد تغلب على كل ما يشتّت أذهانهم بهذه السَّكتة اللَّطيفة التي جاءت على غير المعتاد.

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: خاطبنا النبي ﷺ يوم النحر فقال: «أتَدْرُونَ أيُّ يَومٍ هذا؟» قُلْنَا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ. فَسكَت حتَّى ظَنَنَّا أنه سَيُسَمّيهِ بغيرِ اسْمِهِ، قالَ: «أليسَ يومَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بلَى. قالَ: «أيُّ شَهْرٍ هذا؟»، قُلْنَا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ. فَسَكَتَ حتَّى ظَنَنَّا أنَّه سَيُسَمّيهِ بغيرِ اسْمِهِ، فَقالَ: «أليسَ ذُو الحِجَّةِ؟» قُلْنَا: بلَى، قالَ: «أيُّ بَلَدٍ هذا؟» قُلْنَا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، فَسَكَتَ حتَّى ظَنَنَّا أنَّه سَيُسَمّيهِ بغيرِ اسْمِهِ، قالَ: «أليسَتْ بالبَلْدَةِ الحَرَامِ؟» قُلْنَا: بلَى، قالَ: «فإنَّ دِمَاءَكُمْ وأَمْوَالَكُمْ عليكُم حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا إلى يَومِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، ألَا هلْ بلَّغْتُ؟» قالوا: نَعَمْ، قالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوْعَى مِن سَامِعٍ، فلا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[٤].

---

٤ رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى. رقم ١٧٤١.

فاستخدام النبيّ ﷺ لهذه الوسيلة المؤثّرة دليلُ كبيرٌ على وقعها في النُّفوس، فهم في يوم النَّحر مشتغلون بأعمال ومناسك الحجِّ، فأراد ﷺ أن يستحضر أذهانهم ويجذب انتباههم لما سيقوله.

أسلوب القصَّة

القصَّة وسيلة نبوية فعَّالة، لها في نفوسِ السامعينَ أفضلُ الأثرِ، توقظُ مكامنَ الفضول المعرفي، وتهيّئ العقولَ لتلقي واستيعابِ الدَّرس والعِبرِ لما تحويه من تشويقٍ وإثارةِ انتباه، وقد عرف النبي الأكرم ﷺ للقِصَصِ أهمِّيته وتأثيره القويّ في جذبِ الانتباه.



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينَما رجلٌ يمشي بِطريقٍ اشتَدَّ بِهِ العَطشُ، فوجدَ بئرًا فنزلَ فيها، فشرِبَ ثمَّ خرجَ، فإذا كلبٌ يلهَثُ، يأكُلُ الثرَى من العَطشِ، فقال الرَّجُلُ: لقد بلغَ هذا الكلبُ من العَطشِ مِثلَ الَّذي كان بلغَني، فنزلَ البِئرَ فملأَ خُفَّهُ ثمَّ أمسكَه بفِيهِ فسَقَى الكلبَ، فشكرَ اللَّهُ لهُ، فغَفَرَ لهُ». قالوا: يا رسولَ اللهِ، وإنَّ لنا في البهائِمِ أجرًا؟ قال: «في كُلِّ كَبِدٍ رطبَةٍ أجرٌ»[٥].

في هذا الحديث استطاع النبي ﷺ إثارة الانتباه وجذب المتشَتّتِ من العقول عن طريق سرد قصةٍ من قصص السَّابقين التي أطلعه الله عليها، فاستطاع ﷺ ببراعةٍ فائقةٍ تقرير مبدأ الرَّحمة، حتى مع الحيوان الذي

---

٥ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم وإطعامها. رقم ٢٢٤٤.

لا يُستفاد من لحمه أو لبنه، بل هو كلبٌ شاردٌ. ومن خلال أحاديثَ كثيرةٍ يتَّضح لنا جليّاً، كيف وظَّف النبي الأكرم والمعلم الأكمل ﷺ القصَّة لجذب انتباه المتلقِّي، وتقرير المعلومة لديه.

وهكذا فإنَّنا إذا تتبَّعنا أحاديثَ وسنَّة النبي الأكرم ﷺ، فسنجدُ فيها كثيراً من الأساليب النبويَّة التي تعدُّ أهم مصدرٍ من مصادر اكتساب المهارات لجذب وإثارة الانتباه، فهو ﷺ أفصح من نطق الضَّاد قاطبةً، وما ترك وسيلةً لفظية أو إشارية أو جسدية في سبيل جذب الانتباه وجمع شتاتِ العقول والقلوب إلَّا واستخدمها لنفع أمته، حتى بلغَ ﷺ حدَّ الإعجاز في تعليمه للنَّاس وحرصه على هدايتهم باستخدامه لكل هذه الأساليب التَّعليمية، ولم يدَّخر أسلوباً إلا وجاد به ﷺ.

ولعلِّي أوفَّق في مقالات قادمة أن أبين ألواناً أخرى من هذه الأساليب النَّبويَّة لتكون مادةً علميةً وتوجيهيَّةً لمن أراد الاقتداء واكتساب المهارات الفعَّالة، ليكون ناجحاً في مهمَّته التربويَّة والتعليميَّة ورداً على بعض المُتَفيهِقينَ الَّذين تعلَّقوا بالنَّظريَّات والوسائل التعليميَّة الغربيَّة، وأغفلوا دراسة هدي النبي ﷺ في هذا المضمار. وما أجد أحبَّ على قلبي ما أختم به مقالتي إلا بقول الشاعر:

يا من بحثت عن العطور جميعها •• ليكون عطرك في الأنام نسيما
هل لي بأن أهديك عطراً فاخرا •• وهو الدَّواء إذا غدوت سقيما
هو قول ربِّ الخلق في قرآنه •• صلوا عليه وسلموا تسليما

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.







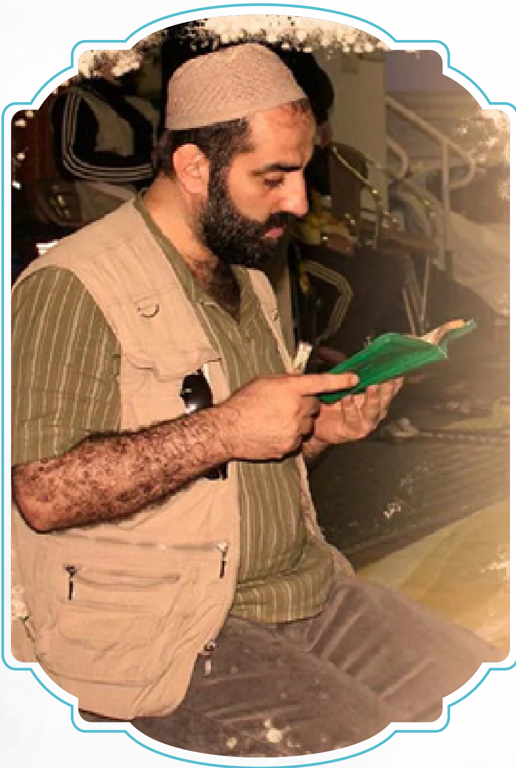
د. وصفي عاشور أبو زيد
رئيس مركز الشهود الحضاري

ذكرى الشهيد علي حيدر وسفينة مرمرة وطوفان الأقصى

أن يُستشهد مسلم تركي على بحر فلسطين، وتختلط دماؤه بدماء المسلمين على أرض فلسطين، فهذا يعيد لمفهوم الأمة معناه وألَقه وحقيقته، ويثبت أن الأمة المسلمة حاضرة بقوة مهما أصابها من مرض أو ضعف، فهي حية نابضة بالخير لا تموت، وأنها ماضية في أداء رسالتها جيلاً بعد جيل، مهما أراد بها أعداؤها، ومهما حدث لها من داخلها.

هذه المعاني تجسدت يوم السبت، الأول من حزيران الجاري ٢٠٢٤م؛ حيث أقيمت احتفالية كبيرة في مسجد صلاح الدين الأيوبي بولاية ديار بكر عن ذكرى سفينة مرمرة، وشهدائها، وعلى رأسهم الشهيد علي حيدر الذي لقي الله شهيداً عام٢٠١٠م، هذه الاحتفالية التي أقامها وقف الدعوة والأخوة، وجمعية آيدر في ديار بكر.

لقد احتشد الناس في قاعة الاحتفالات بمسجد صلاح الدين الأيوبي في ديار بكر كما يجتمعون للمناسبات الكبيرة، والاحتفاليات الضخمة؛ ليعرب شعب ديار بكر ومن حوله على أن الدماء الزكية للشهيد علي حيدر وإخوانه هي دماء مباركة، يحيي الله بها الأجيال، ويجمع بها الحشود، ويوحد بها الجهود، ويمحو الله بها ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب.



لقد رأيت عشرات الأطفال على مسرح الاحتفالية، أطفال ربما لم يولدوا عند استشهاد علي حيدر ومن معه، ولو كان علي حيدر حياً وبذل جهداً كبيراً لتربية هؤلاء الأطفال وتجميعهم لما استطاع، ولو كان حياً وأرسل دعوة للناس ليجتمعوا من أجل محاضرة يلقيها لما جاءوا بهذا العدد الكبير، ولكن دماءه الزكية جمعتهم، وصدقه وإخلاصه حشدهم، ومعاني الشهادة الآن تفعل فعلها وتعمل عملها في تربية جيل جديد، ينشأ ويتربى على حب فلسطين، وحب المقاومة، وينشد أناشيدها، ويرفع شعاراتها، ويتبنى مقولات قادتها وعظمائها.

وهو ما يذكرنا بما قاله شهيد الإسلام سيد قطب عن اغتيال الإمام حسن البنا: «يمضي حسن البنا إلى جوار ربه، يمضي وقد استكمل البناء أسسه، يمضي فيكون استشهاده على النحو الذي أريد له عملية جديدة من عمليات البناء، عملية تعميق للأساس وتقوية للجدران، وما كان ألف خطبة ولا ألف رسالة للفقيد الشهيد لتلهب الدعوة في نفوس الإخوان كما ألهبتها قطرات الدم الذكي المهراق.. إن كلماتنا تظل عرائس من الشمع، حتى إذا متنا في سبيلها دبت فيها الروح وكتبت لها الحياة».

تأتي هذه الاحتفالية وقد مر ثمانية أشهر على معركة طوفان الأقصى، وما تزال المعركة مستمرة، وما تزال المقاومة وكتائبها تبدع في الجهاد وحصاد أرواح العدو، وإن الملائكة لم تضع أسلحتها، كما لم تضع الحرب أوزارها.

تأتي هذه الاحتفالية في ظل معركة طوفان الأقصى لتؤكد لنا أن المعركة واحدة، وأن العدو واحد، هذا العدو الذي يتفرق جمعه في كل شيء إلا علينا، عدو استراتيجي للأمة، عدو عقدي أيدلوجي بامتياز، وليست المسألة سياسة أو حدود، ولكنها عقيدة ووجود؛ فالعدو واحد وأغراضه واحدة، وهي احتلال الأرض والعرض، وإبعاد المسلمين عن دينهم وعقيدتهم، وهم يتجمعون على هذا الهدف أو تلك الغايات رغم ما بينهم من اختلاف عقدي وسياسي، وعداء تاريخي، والأمر كما قال الشاعر:

مؤامرة تدور على الشباب •• ليعرض عن معانقة الحراب

مؤامرة تدور بكل بيت •• لتجعله ركاماً من تراب

مؤامرة تقول لهم تعالوا •• إلى الشهوات في ظل الشراب

مؤامرة مراميها عظام •• تدبرها شياطين الخراب

شيوعيون جذرٌ من يهود •• صليبيون في لؤم الذئاب

تفرق شملهم إلا علينا •• فصرنا كالفريسة للكلاب

بلادي كنت بستاناً جميلاً •• خمائله تطل من الروابي

جداوله ترقرق من لجين •• يلوح بياضه مثل السراب



تأتي هذه الاحتفالية لتؤكد لنا أن الجهاد هو شرف هذه الأمة، وأنه ما تركته الأمة إلا كتب الله عليها الذل حتى تراجع دينها، وقد قال النبي ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»[1]. فانظر كيف ربط النبي ﷺ الذل بترك الجهاد، بل تأمل كيف أورد الدين مكان الجهاد: «حتى ترجعوا إلى دينكم» فمن ترك الجهاد فقد ترك الدين، وكُتب عليه الذل إلى أن يعود للدين!

تأتي هذه الاحتفالية لترسخ في يقيننا وروعنا أن الحياة بلا شهداء لا معنى لها، وأن الأرض بلا دماء زكية لا تنبت إلا الضعف والخور والهزيمة، هؤلاء الشهداء الذين ينيرون الطريق، ويرفعون الراية، ويكونون وقوداً يحرك الأمة، ويوقظها من نومتها، وينبهها من غفلتها، ويجمعها من تفرقها، كيف لا، والشهداء أحياء عند ربهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠].

وللأستاذ سيد قطب حديث طويل لا يمكن تفويته حول هاتين الآيتين يقدّم لنا فيه خواطره ويبين ظلال هاتين الآيتين بما لا نجده عند غيره من المفسرين؛ حيث يقول: «والآية نص في النهي

---

[1] أخرجه أبو داود في سننه (٣٤٥٢) بسنده عن عبد الله بن عمر.

عن حسبان أن الذين قُتلوا في سبيل الله، وفارقوا هذه الحياة، وبعدوا عن أعين الناس.. أموات.. ونص كذلك في إثبات أنهم «أحياء».. «عند ربهم». ثم يلي هذا النهي وهذا الإثبات، وصف ما لهم من خصائص الحياة؛ فهم «يرزقون».

ومع أننا نحن -في هذه الفانية- لا نعرف نوع الحياة التي يحياها الشهداء إلا ما يبلغنا من وصفها في الأحاديث الصحاح.. إلا أن هذا النص الصادق من العليم الخبير كفيل وحده بأن يغير مفاهيمنا للموت والحياة، وما بينهما من انفصال والتئام، وكفيل وحده بأن يعلمنا أن الأمور في حقيقتها ليست كما هي في ظواهرها التي ندركها، وإننا حين ننشئ مفاهيمنا للحقائق المطلقة بالاستناد إلى الظواهر التي ندركها، لا ننتهي إلى إدراك حقيقي لها، وأنه أولى لنا أن ننتظر البيان في شأنها ممن يملك البيان سبحانه وتعالى.



فهؤلاء ناس منا، يُقتلون، وتفارقهم الحياة التي نعرف ظواهرها، ويفارقون الحياة كما تبدو لنا من ظاهرها. ولكن لأنهم قُتلوا في سبيل الله وتجردوا له من كل الأعراض والأغراض الجزئية الصغيرة، واتصلت أرواحهم بالله، فجادوا بأرواحهم في سبيله.. فإن الله سبحانه يخبرنا في الخبر الصادق، أنهم ليسوا أمواتاً، وينهانا أن نحسبهم كذلك، ويؤكد لنا أنهم أحياء عنده، وأنهم يُرزقون فيتلقون رزقه لهم استقبال الأحياء.

ويخبرنا كذلك بما لهم من خصائص الحياة الأخرى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾؛ فهم يستقبلون رزق الله بالفرح؛ لأنهم يدركون أنه «من فضله» عليهم، فهو دليل رضاه وهم قد قُتلوا في سبيل الله، فأي شيء يفرحهم إذن أكثر من رزقه الذي يمثل فيه رضاه؟



ثم هم مشغولون بمن وراءهم من إخوانهم؛ وهم مستبشرون لهم؛ لما علموه من رضى الله عن المؤمنين المجاهدين: ﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾. ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. إنهم لم ينفصلوا من إخوانهم الذين ﴿لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ ولم تنقطع بهم صلاتهم. إنهم «أحياء» كذلك معهم، مستبشرون بما لهم في الدنيا والآخرة. موضع استبشارهم لهم: ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وقد عرفوا هذا واستيقنوه من حياتهم «عند ربهم» ومن تلقيهم لما يفيضه عليهم من نعمة وفضل، ومن يقينهم بأن هذا شأن الله مع المؤمنين الصادقين، وأنه لا يضيع أجر المؤمنين.

فما الذي يبقى من خصائص الحياة غير متحقق للشهداء الذين قُتلوا في سبيل الله؟ وما الذي يفصلهم عن إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم؟ وما الذي يجعل هذه النقلة موضع حسرة وفقدان ووحشة في نفس الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم؛ وهي أولى أن تكون موضع غبطة ورضى وأنس، عن هذه الرحلة إلى جوار الله، مع هذا الاتصال بالأحياء والحياة!

إنها تعديل كامل لمفهوم الموت -متى كان في سبيل الله- وللمشاعر المصاحبة له في نفوس المجاهدين أنفسهم، وفي النفوس التي يخلفونها من ورائهم، وإفساح لمجال الحياة ومشاعرها وصورها، بحيث تتجاوز نطاق هذه العاجلة، كما تتجاوز مظاهر الحياة الزائلة. وحيث تستقر في مجال فسيح عريض، لا تعترضه الحواجز التي تقوم في أذهاننا وتصوراتنا عن هذه النقلة من صورة إلى صورة، ومن حياة إلى حياة»».
انتهى كلام سيد قطب.

إن أجيالنا يجب أن تعرف من هو علي حيدر، وما هي سفينة مرمرة، وما هي قضية فلسطين، وما هو تاريخها وتحدياتها، وما الواجبات التي تفرضها هذه التحديات على الأمة الإسلامية بكل شرائحها، وبكل فئاتها: أفراداً وأسراً ومجتمعات، سياسيين ومثقفين وكُتّاباً ومفكرين؛ حتى نصل إلى هدفنا المنشود، وهو تحرير فلسطين وأسراها وأقصاها، وغزتها وضفتها، ثم تقوم الأجيال برفع راية هذه الأمة، وتمكين مشروعها الحضاري الإنساني الخادم للبشرية على طريق هدايتها ونجاتها في الدنيا والآخرة.

حري بالشهيد علي حيدر وإخوانه الشهداء في سفينة مرمرة، وشهدائنا في طوفان الأقصى، أن نهدي لهم ما قاله الداعية الكبير الأستاذ عصام العطار:

يا شهيداً رفع الله به	••	جبهة الحق على طول المدى
سوف تبقى في الحنايا علماً	••	هاديا للركب رمزاً للفدى
ما نسينا أنت قد علمتنا	••	بسمة المؤمن في وجه الردى

رحم الله الشهيد علي حيدر وإخوانه، وجميع شهدائنا الأبرار، وقادتنا الأخيار، وإنا على دربهم سائرون، وإنه لجهاد، نصر أو استشهاد.


د. أحمد شتيوي
أخصائي طب الأسنان

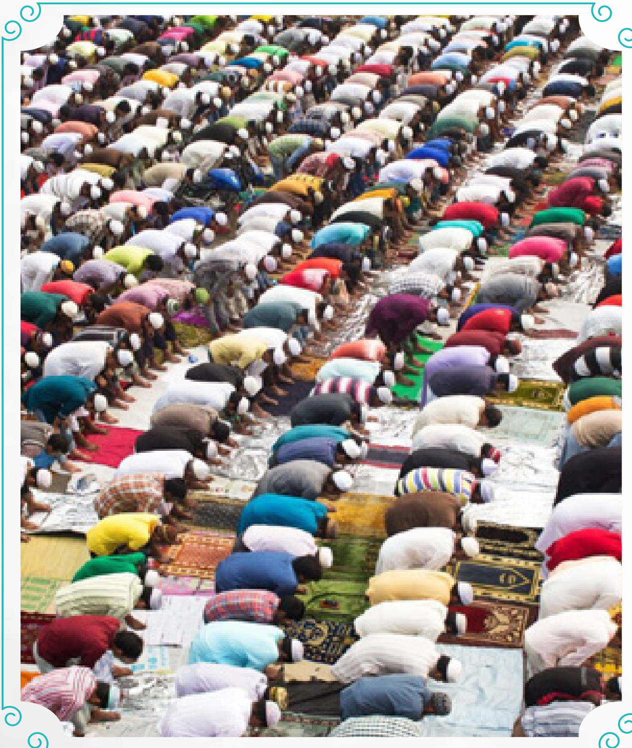
هكذا أصبحنا جميعاً يتامى!

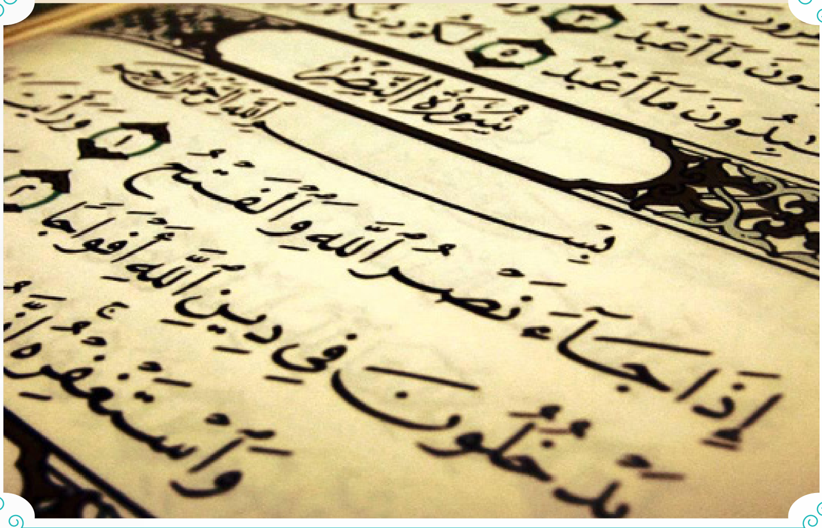
بسم الله الذي أنزل الكتاب، والصلاة والسلام على رسوله خير مَن حكم بحكم الله، أما بعد:

فقال ابن إسحاق: «ولما تُوفي رسول الله ﷺ عظُمت به مصيبة المسلمين، فكانت عائشة، فيما بلغني، تقول: لما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب، واشرأبت اليهودية والنصرانية، ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية، لفقد نبيهم ﷺ، حتى جمعهم الله على أبي بكر.

القارئ العزيز، تأمل معي بعض المعاني في هذا النص، ولنبدأ بمعنى عاشه المسلمون وقتها وهو حجم الفارق بين شخصية الرسول ﷺ وشخصية أبي بكر رضي الله تعالى عنه، وكم كانت الفجوة الكبيرة الطبيعية التي كان على المسلمين تقبلها، مع علمنا بفضل الصديق وعلو قدره، وكم كانت الصورة التي اعتادوا عليها تتغير أمامهم يومياً، كإمامة الصديق رضي الله عنه الصلاة بعد رسول الله ﷺ، ووقوفه خطيباً على منبر رسول الله ﷺ، وتأمل حجم الفارق الهائل بين شخصية سيد المرسلين ﷺ وشخصية الصديق رضي الله عنه في تسيير أمورهم.

دع هذا المعنى في ذهنك ثم انتقل معي لمعنى آخر وهو ارتداد العرب واشرئباب اليهودية والنصرانية ونجوم النفاق في جزيرة العرب، تلك الجزيرة التي لا تخضع لملك ولا تعترف إلا بالقبيلة، وهذه ردة طبيعية جداً ومتوقعة على شعب بهذه الصفات عاشت فيه النبوة ثلاثاً وعشرين سنة فقط، سادتهم فيها أقل من ثلاث سنوات، ثم تأمل معي أخيراً في استقرار المسلمين على إمامة أبي بكر، وإقرار المسلمين -وفي مقدمتهم أهل العاصمة الأنصار- بإمامته وضرورته وهو ضيف عليهم، سنفهم معاني كثيرة، منها: حجم الجهد الذي بذله رسول الله ﷺ في ترسيخه للعقيدة، وما ينبت منها من أصول؛ كأخوّة الدين، والولاء والبراء، وما ينتج عنه من قومية إسلامية، أي أن هناك رابطاً متيناً صلباً قد تكوّن منع عِقد الدولة الناشئة من الانفراط بعد موت مؤسسها الفذ، سيد المرسلين ﷺ، مع غياب مثيل له، في وسط قوم هم أقرب إلى التفرق منهم إلى الوحدة، فكانت الدولة التي تأسست على الدين وللدين وتستمر بالدين، في بيئة لا تعرف الدولة ولا المدنية ولا الشورى!





وبذلك بدأت قصة هذا الدين العظيم تنتشر في ربوع الأرض، حيث كانت لها دولة، أقل ما تفعله تلك الدولة أنها تحمي الفكرة، لا أقصد حمايتها بالقوة، فهذا معنى لا خلاف عليه منطقياً، ولكن تحميها بمجرد وجودها، فمعنى أن هناك دولة بهذه التركيبة يعني أن هذه التركيبة أو الوصفة لها ما وراءها ولها ثقل، هذا أولاً بعيداً عن الصفات الفريدة لتلك الدولة وما تسحر به القلوب، وصولاً إلى رسالتها السامية للبشرية.

فهكذا نشأ الإسلام ونشأ المسلمون، فكرة وانتماء، على مثال نادر في التاريخ، فكان الوطن والدم هو الإسلام، وكان المسجد هو المجتمع، وكانت الأعياد التالية لشعائر الدين هي الفرحة، وكانت البطولة هي نشر تلك الفكرة السامية الجميلة أو حمايتها، وظهرت للناس حقوق في تلك الدولة وأنصبة مادية ومعنوية، وعلى المعنى بأن هذا الكون له إله يُحكَم بشرعه في هذه الدنيا، وفي شئونها، فأصبح الوعي دينياً، والخيال دينياً، ولكل شيء مصير ومآل إلى الآخرة، لأن من يحكم هذا التآلف البشري يحكمه بهذه التشريعات الإلهية، فكانت مراقبة الله حاضرة رسمياً، إن صح التعبير! أي أن الدولة تراقب الله كما يراقبه المؤمن! وهكذا أو أضعاف هكذا كان الحال والشعور والتوجه، وأقل دليل على هذا هو اتساع تلك الدولة على أكتاف الشعوب الجديدة الذين سحرتهم الفكرة؛ بل استردتهم الفطرة للدين الحنيف واستقبلوا الفكرة كما استقبلها العرب أول الأمر؛ فكان استقرارهم -أعني الشعوب- عليها، واحتفاؤهم بفاتحيهم كفاتحين لا كغزاة حتى يومنا هذا.

لنعد إلى موقف الصحابة رضي الله عنهم بعد موت رسول الله ﷺ، وكيف أنهم اجتمعوا على أبي بكر، والتأملات في ذلك كثيرة، ما ذكرته وما تلاه؛ كثباتهم على ما أمر به رسول الله ﷺ؛ كإرسال بعْث أسامة وما كان فيه من مخاوف وتحديات بالغة في الخطورة، وكذلك صرامة أبي بكر في حرب مَن منع الزكاة، وكان هذا ببساطة لأن هذه الدولة قامت على الدين وللدين وتستمر بالدين، ولذا إذا تعارض أصل الدين مع أمر ما كانت للدين السطوة، فهذه دولة قامت لتؤدي رسالة.. أي قيم ومبادئ.

لننطلق إلى نص آخر نتأمل فيه، قاله حبيبك ﷺ: «مَن أتاكُمْ وأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ علَى رَجُلٍ واحِدٍ، يُرِيدُ أنْ يَشُقَّ عَصاكُمْ، أوْ يُفَرِّقَ جَماعَتَكُمْ، فاقْتُلُوهُ»[1]. وقال أيضاً ﷺ: «إنه سَتَكُونُ هَنَاتٌ وهَنَاتٌ، فمَن أرادَ أنْ يُفَرِّقَ أمْرَ هذِه الأُمَّةِ وهي جَمِيعٌ، فاضْرِبُوهُ بالسَّيْفِ كائِنًا مَن كانَ». وفي روايةٍ: «فاقْتُلُوه»[2]، وأظن أن كثيراً من المسلمين سمع هذا الحديث من أفواه بعض العلماء في زماننا هذا وقت الثورات أو قبلها في المظاهرات، ولعل رؤوساً كثيرة قُطعت به ظلماً، لا حكماً كما أراد الرسول، والحديث شديد ثقيل في ألفاظه شديد ثقيل في معناه، فتعالَ نهدي هذا الحديث افتراضاً لأهل زمان ملوك الطوائف، إذا جاءهم من يقتدي بعبد الرحمن الداخل يمتلك صفاته وقدراته، وبدأ يخرج على أولهم ليوحد كلمة المسلمين في حال

١ صحيح مسلم.

٢ صحيح مسلم.

أنه لم ينفع معهم الوعظ، هل يجوز أن يقال على هذا الخارج إنه يستحق ضرب العنق؟ أم أن ملوك الطوائف هم من يستحقون؟ هل هو يخرج على ولي أمر أم يخرج على ولاة فرقوا الأمر؟ وهل هو يفرق أم أنه يجمع؟

لنفترض أنه رجل تحقق فيه شروط الإمامة، فسترى أن الرجل يُرجع أَصلاً وليس العكس، ولنهدي هذا الحديث لنا في زماننا وسنفهم أن هذه الأحاديث تُفهم خطأ وتُشرح خطأ وتُستخدم على غير المراد منها، وأنه ليس هدفها هو تمجيد ولي الأمر وكأن وظيفة ولي الأمر وظيفة ملائكية ومنصب من يصله مقدس له على الناس ألا يراجعونه! وهذا يخالف الأسس التي وضعها رسول الله ﷺ أول الأمر!

وطبعا استشهادٌ كهذا له ضوابط شرعية وأصول، إنما ضربته لنعيد رؤية الأصول كما هي لا بالتدليس عليها، ولكل أمر منافعه ومضاره وراجحه ومرجوحه، وتلك أمور يحسمها العلماء أهل الحل والعقد، وإن ما يُفهم من هذا الحديث هو قدسية وحدة المسلمين وتجمعهم، لا قدسية ولاة أمورهم، قدسيتهم لجمع لا قدسية بعضهم كحكام!

وتعالَ معي أيضاً لنقرأ هذا الحديث، قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيّب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[٣]. وتبعاً لمقالنا فلنتأمل في آخر صنف ولنتأمل عظم المقال فيه، فإن قسناه على شبهات عصرنا وجدنا أن هذا ضد حرية الاعتقاد التي يكفلها الإسلام نفسه، ومن العلماء في زماننا من قد أشار إلى مقارنة حد الردة بحكم الخيانة العظمى الذي تحكم به الدول على من يخونها ويتعامل مع أعدائها، وحُكمه دوماً هو أقصى العقوبات في القانون، وهذا عند الدول وعند أهل الأرض جميعاً أمر طبيعي فهذا فعل مذموم مستقذر بلا خلاف، وربما كان قتل هذا الخائن على يد أبيه أو أخيه لدناسة الفعل.

---

٣ رواه البخاري ومسلم.



وطبعاً أنا ناقل يقرّب المعنى ولا أفتي في حد من حدود الله ولا في غيره، فهذا شأن أهل العلم، إنما أريدك أن تتخيل لماذا يقبل الناس عقوبة الخيانة، ويحتارون في فَهم عقوبة التارك لدينه المفارق للجماعة، أتدري لم؟ لأن قومية الدم مقدسة في عصرنا وقومية الدين ضاعت وأصبحت بلا معنى، أتدري لم؟ لأنه لا قومية إسلامية رسمية! لا كيان يرفع هذه الراية ويطبقها وبالتالي فالصورة غير مكتملة؛ فهناك فقط قومية إسلامية في أذهاننا وبعض تصرفاتنا وطموحاتنا فقط، ولأن كلمة الجماعة نفسها تفتت، ومعنى الجماعة الذين لهم إمام غير متحققة في عصرنا على مرادها الشرعي الحكيم الواقعي، تلك الجماعة التي كانت تسالم أقواماً وتحارب غيرهم، وتدفع دية إن قَتل أحد منها أحداً بالخطأ، وتضع قوانين للارتباط الاجتماعي مع غيرها؛ فأنت يحل لك الزواج من تلك ولا يحل لك من تلك، بل وتفرق أحياناً بين المرء وزوجه بناء على الانتماء لها، كما فعل رسول الله ﷺ مع ابنته.

هذا وغيره كان من أسس البناء للوحدة التي يجتمع فيها المسلمون، ويتحقق فيها الإسلام، ومع غياب هذا الشكل في بنائه العام **(البناء هو تجمع المسلمين في مجتمع يرفع راية هذا التجمع)** أصبح فهم أو تصور معنى مفارقة تلك الجماعة صعباً، ويتعارض المعنى المراد منه مع معانٍ أخرى أُسست عليها دولنا التي نعيش فيها وعليها وبها، تلك المعاني التي لن تتوقف عن معارضة أسس الدين ولو بالتدريج، فالدولة الإسلامية شيء ودولنا التي نعيشها شيء آخر، ولن يجتمعا ولن يمتزجا، وهذا موضوع آخر، إلا أنه وسريعاً كمثل من غزا قوماً

وأراد أن يخدعهم ويغير دولتهم فأسماها باسمهم، ثم بدأ يستبدل سكانها جيلاً بعد جيل حتى تغير الجوهر وبقيت أجزاء من الاسم، وأقلّ دليل على ذلك القوانين التي تَحكم بها دولنا المسلمة وتسيّر بها شئون حياتنا بين أوقات صلواتنا! ناهيك عن نظام الدولة نفسها، فقد سُحب الإسلام بالتدريج فأصبح الوضع كما نرى الآن.

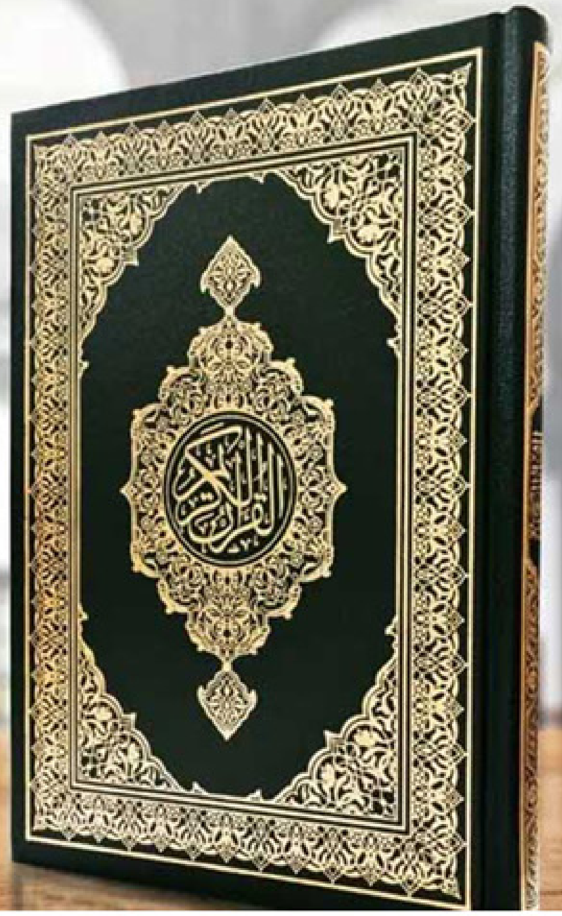
لنجمع النقاط التي مررنا عليها، وأولها: **أهمية الإمامة بعد رسول الله، وثبات المسلمين عليها مع أنه لا كفء لرسول الله،** فمن العجيب هو استقرار العمل الفذ بعد ذهاب الشخص الفذ في بيئة كهذه قصر عهدها بالخضوع لملك أو ولي أمر، إلا بعِظَم معنى الولاية وخطورتها في النفوس، **ثم معنى أن المسلمين لا يكون لهم إلا ولي أمر واحد لأنهم شيء واحد،** ومن يهدد هذا له حكم قاسٍ، **والمعنى الثالث هو قدسية جماعة المسلمين وخصوصيتها وأنها رابطة أقوى من الدم ولها يبذل الدم،** ولننظر إلى تلك النقاط أين نحن منها؟ وكم للإسلام منها، الحمد لله باقٍ منها في معنى الجماعة الكثير بفضل الله وبعظم أمر الدين في نفوس المسلمين، ولكنه معنى غير تام الحضور أو مشوه في الأذهان، وغاب المعنيان الأولان عن التطبيق فلا إمام ولا وحدة! وأصبح المسلمون قوماً بلا قيادة فكان من الطبيعي أن يبدأ التآكل في أسس تجمعهم نفسه وفعلاً تم التقسيم، وعاد المسلمون لوضع هو أسوأ من لحظة وفاة رسول الله ﷺ، وإذا شبّه الصحابة المستقر عندهم تلك المعاني التي نفتقدها بالغنم المطيرة في الليلة الشاتية، فكيف بوصفنا نحن؟!

إننا كأيتام يحكى لهم عن أبيهم وهم لم يروه، يرون صورته وآثاره، ويرون تركته أمامهم يُنهب منها ويؤكل، ولضعفهم لا يستطيعون إليها سبيلاً، وهم مستضعفون بعد غياب أبيهم، يتقطعهم كل جبار في هذا الكوكب، ارتسمت على وجوههم معاني البؤس والحيرة، وابتُلوا بمن يفرقهم حتى لا يرشدوا إلى خلاص أو حيلة، إلا أن لهم عودة فقد كان أبوهم صالحاً.

ولنستكمل في عددنا القادم إن شاء الله تعالى.



عماد إبراهيم
مدير مشروع بَصِيرَة الدعوي



رسالة الإسلام.. وصيانة حقوق الإنسان

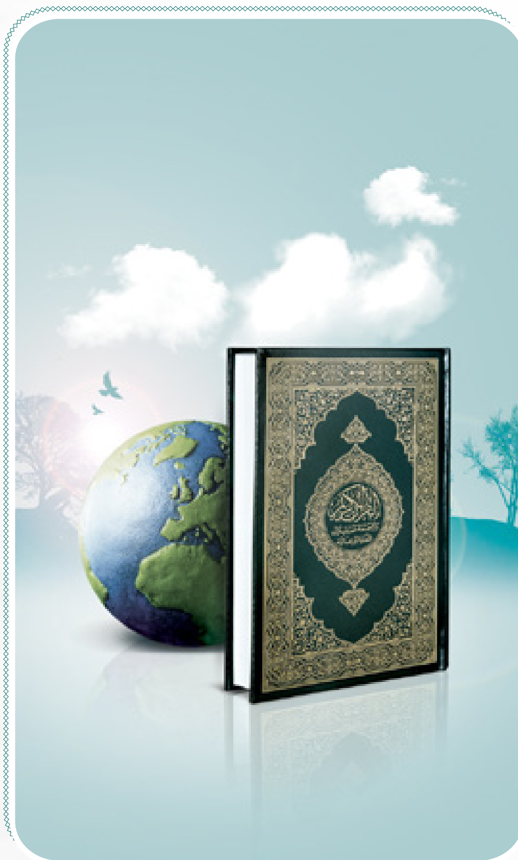
جعل الله عز وجل رسالة نبيه محمد ﷺ وسيرته العطرة مثالاً وقدوة للبشرية جمعاء، فهي سيرة مثالية متفردة ورسالة خاتمة، خصّها الله سبحانه وتعالى بالعديد من الخصائص التي لم تُكتب لغيرها من الرسالات التي جاء بها الرسل؛ فالرسالات السابقة للرسل لم تُحفظ من التحريف والتبديل؛ فضاعت أُصولها، وتشتّت أحكامها، وهذا دليل على أنّ تلك الرسالات كانت لوقت معيّن ولِأُمّةٍ خاصّة، حتى أتت الرسالة الخاتمة رحمة للعالمين والتي أغنى الله تعالى بها العالم عن غيرها من الرسالات، فقد ميّزها وأثراها بالأحكام التي تنظم جميع مناحي الحياة؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أُعطيت خمساً، لم يُعطَهنّ أحدٌ من الأنبياء قبلي، نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليُصَلّ، وأحِلّت لي المغانم، ولم تحلّ لأحد قبلي، وأُعطيتُ الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصةً، وبُعثت إلى الناس عامةً». فالرسالة المحمدية وما جاءت به من الشرائع هي رحمة للعالمين في دنياهم وأخراهم، ودونها يحل بالعالم الخراب ويسود فيه الخلل والاضطراب. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].



يقول الإمام ابن القيم في كتابه (أعلام الموقعين): «إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدلٌ كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث.. فليست من الشريعة وإن أُدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي أبصر المبصرون، وهداه الذي اهتدى به المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل، فهي قرة العيون وحياة القلوب ولذة الأرواح، فهي بها الحياة والغذاء والدواء

والنور والشفاء والعصمة. وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها، وحاصل بها، وكل شر ونقص في الوجود فسببه إضاعتها. ولولا رسوم قد بقيتْ لخربت الدنيا وطوي العالم. وهي عصمة للناس وقوام للعالم، وبها يمسك الله السماوات والأرض أن تزولا. فإذا أراد الله خراب الدنيا وطي العالم رفع إليه ما بقى من رسومها؛ فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي قطب العالم وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة».



فهل من المعقول أو المقبول لأمة تحمل رسالة سماوية كرسالة الإسلام أن تعيش لنفسها؟! أو تَحْيا منكفئةً على شئونها ومصالحها! لقد أخرجها الله تعالى للناس؛ لتكون هاديةً للخلق إلى طريق الحق، وسائقةً للعباد إلى سبل الرشاد، وحاملةً رسالةَ ربِّ الناس إلى الناس، قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فهذه الأمّة ليست كسائر الأمم؛ إنّها أمّة صاحبة رسالة عالمية، ودينها ليس كسائر الملل والنحل، وإنّما هو الرسالة الخاتمة؛ قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

حقوق الإنسان في الفكر الغربي

تظفر قضية حقوق الإنسان بأهمية كبرى في العصر الحديث، على مستوى الشعوب والدول والمنظمات الدولية، فقد سبقت مواثيق كثيرة، الميثاق العالمي لحقوق الإنسان، الذي يعد خطوة هامة وحاسمة، بعد جهود المفكرين والفلاسفة الأوروبيين لعدة قرون، والتي استهدفت حماية

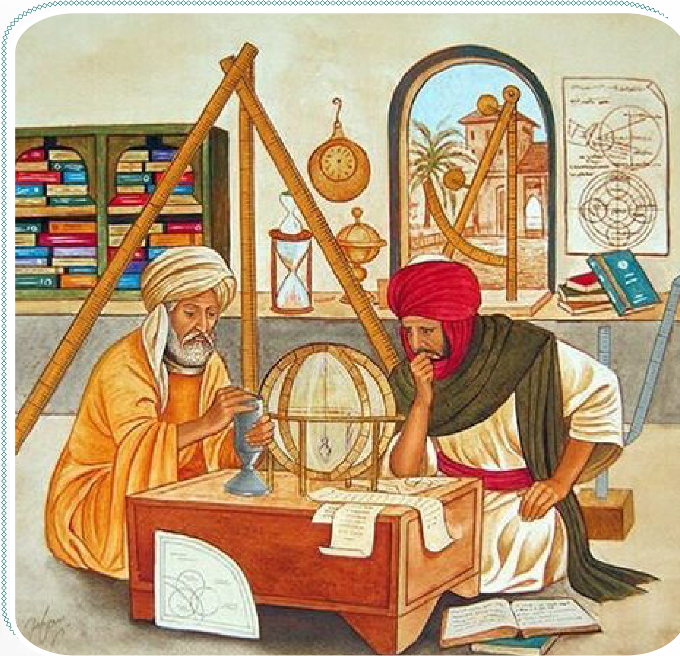
الشعوب من المعاناة والآلام، التي كانت ترزأ تحتها من السلطات الإدارية والدينية في أوروبا، خلال عصور الظلام، وبدايات عصر النهضة الأوروبية. تلك المعاناة التي ترجع إلى استبداد الحكم الإقطاعي ورجال الكنيسة، واندفاع الكنيسة إلى محاربة كل الاتجاهات الفكرية، التي تسعى إلى تحرير عقل الإنسان ونفسه. وهذه العوامل كلها، لم يكن لها وجود في الإسلام، عقيدة وشريعة، أو حضارة. وهنا ثمة مسألة هامة، وجب الإشارة إليها، وهي: أن فكرة حقوق الإنسان هذه التي نشأت داخل القارة الأوروبية، استخدمت في تحرير الإنسان الأوروبي من طغيان السلطة ورجال الكنيسة، ولم تمتد هذه الفكرة لتشمل بالحماية شعوباً بأكملها خضعت للاستعمار الأوروبي في العصر الحديث، بل لاقت منه من المظالم والاستبداد كل ما يتعارض مع مبادئ حقوق الإنسان.

حماية الحقوق والحريات وظيفة رسالية في دولة الإسلام



ليس من المبالغة ولا التهويل أن نقول: إن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لم يكن سوى ترديداً عادياً لبعض ما جاء به القرآن الكريم وقرره دين الإسلام، وطبقتْه الأمة الإسلامية في أزهى عصورها، اليوم وإنَّ ما تفتخر به أوروبا وأمريكا وتزعم أنه وليد حضارتها وربيب مدنيتها قد جاء به الإسلام بأوسع وأعمق منه منذ خمسة عشر قرنًا من الزمان.

بل ليس ادعاءً ولا تحلاً أن نقرر أن ما وصلت إليه أوروبا وأمريكا في كل ما يتعلق بإنسانية الإنسان، ليس إلا نفحة من روح الإسلام وقبسًا من نوره الوضّاء، وأن «ما حفل به الإسلام من حريات وما شرعه من عدالة ومساواة، وما ضمنه للجماهير من حقوق وكرامة لم يكن يدرس في عواصم الأمة الإسلامية وحدها، وإنما عبر إلى أوروبا مع شتى الثقافات الأخرى، وظل يحرك الحياة الأوروبية حتى انفجرت ثورات التحرر تهتف بمبادئ ما كانت معروفة في أرضها خلال القرون الماضية»[1].



هذا هو الحق -وإن أنكره الذين يريدون أن يَحُولوا بين الناس وبين الدين الحقّ- هذا هو الحق الذي قرره كثير من المنصفين من علماء أوروبا، مثل المسيو (سيديو) الوزير الفرنسي الأسبق وأحد العلماء المشهورين، الذي قال «لقد كان المسلمون منفردين بالعلم في تلك القرون المظلمة، فنشروه حيث وطِئَتْ أقدامُهم، وكانوا السبب في خروج أوروبا من الظلمات إلى النور»[2].

لم تأتِ حقوق الإنسان في القرآن في شكل تعاليم متناثرة أو إرشادات وتوصيات مبثوثة هنا وهناك دون أن يكون بينها رابط، وإنما جاءت -برغم كونها مبثوثة في أنحاء القرآن والسنة- في شكل نظرية متكاملة لها أصول وقواعد تقوم عليها ولها أسس عريقة وجذور عميقة تثبتها في ضمير المجتمع.

---

١ الشيخ محمد الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة.

٢ الإسلام دين عام خالد، محمد فريد وجدي.



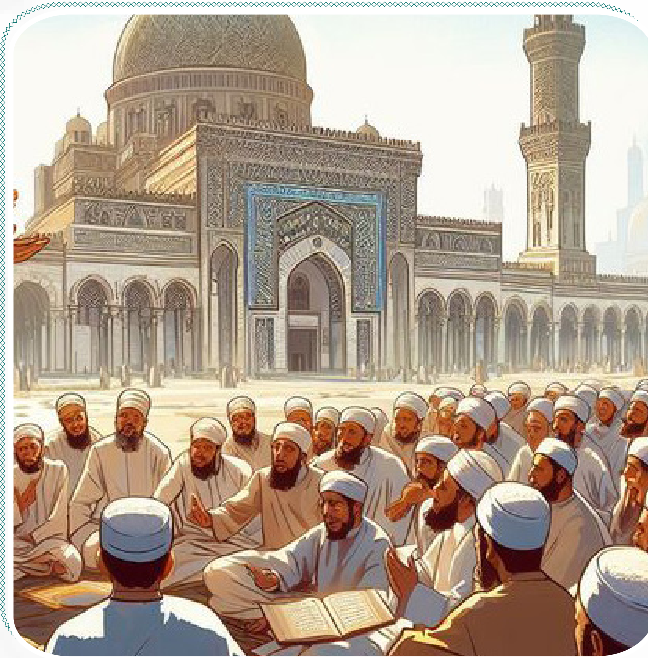
إن حماية حقوق الإنسان الفطرية الطبيعية الشرعية من الوظائف الرسالية لدولة الإسلام، والظلم هو مكمن الخطر على حقوق الإنسان: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا»[٣]. والعدل هو منبع الرعاية لحقوق الإنسان؛ لذلك فإن قيام حقوق الإنسان في الإسلام على أساس العدل شاهدٌ على أن هذا الدين العظيم لا يمكن أن يهدر شيئًا من حقوق الإنسان. هذه هي أهمّ الأسس التي تبنى عليها نظرية حقوق الإنسان في القرآن. وهذا يعد من أهم خصائص الدولة الإسلامية التي بنيت على قيم الرسالة المحمدية، أنّها ترعى مصالح الناس الحقيقية، بعد أن تقيم العدل فيهم، ومصالح الناس الحقيقية تعني حفظ الدين والنفس وما اقترن بهما من عقل وعِرض ومال.

كما تعد حقوق الإنسان من مقاصد الشريعة؛ لذا فإنّ من أهم وظائف الدولة الإسلامية حماية هذه الحقوق، والشريعة الإسلامية توفر لحقوق الإنسان الحماية والضمان أكثر مما توفره المنظمات الدولية التي تتبنى حقوق الإنسان، فليس خافياً على أحد أن المشكلة الكبرى لدى هذه المنظمات أنها لم تستطع إلى الآن توفير الحمايات اللازمة التي ترغم الأنظمة والدول على رعاية حقوق الإنسان، ولا يزال الأمر لا يتعدّى محاولات لم تصل إلى حد التنفيذ، وضغوطاً لم يظهر لها آثار معتبرة.

---

٣ رواه مسلم عَنْ أَبِي ذَرّ.

أما في الشريعة الإسلامية فهناك الحدود والقصاص والعقوبات الشرعية والتعزير، وهناك تطبيق الشريعة الذي يضمن العدالة المطلقة، ويضمن المساواة في أداء الواجبات والتمتّع بالحقوق، وهناك المسئولية الدنيوية والأخروية وهي مسئولية يشارك فيها الحاكم والمحكوم، والسيد والمسود، وكل نفس تملأ رئتيها من هواء المجتمع المسلم. قال رسول الله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجلُ في أَهْلِهِ رَاعٍ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ في بيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهْيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[٤]، ورعية الإمام هم رعايا الدولة الإسلامية من المسلمين ومن غير المسلمين.



هذه المسئولية المشتركة يلقّنها الصدّيق أبو بكر للأمة في أول خطبة له بعد تولّيه الخلافة، حيث قال: «أيها الناس: إني قد وُلّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوّموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه -إن شاء الله- والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه -إن شاء الله- لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولم تظهر الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم». وقد اعتبر عمر من واقع المسئولية أن

---

٤ رواه البخاري.

المظلمة الواقعة من أحد عماله على أحد رعيته واقعة منه شخصياً؛ لذلك قال: «أيما عامل ظلم أحداً فبلغني مظلمته فلم أغيرها فأنا ظلمته»[٥]. وقال: «إني لم أبعث عمالي ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم، فمن فعل به ذلك فليرفعه إليّ»[٦].



وحقوق الإنسان في الإسلام تمتع بالعمق التشريعي، فكل حق من هذه الحقوق بإزائه واجب أو واجبات ترعاه وتحافظ عليه، فمثلاً:

حق الحياة يقوم بإزائه واجب القصاص العادل: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة:١٨٠]. ووراء الواجبات هناك الحدود والعقوبات الشرعية، كحد القذف الذي يحمي أعراض الناس من ألسنة الأفّاكين، وحد السرقة الذي يحمي أموال الناس من خطر السطو والنّهب، ووراء الحدود الحرمات، فالإنسان له حرمة يجب أن تُرعى، وكذلك ماله وعرضه؛ لذلك قال رسول الله في خطبة الوداع: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»[٧]. وطاف بالكعبة فقال: «مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكِ، مَالِهِ وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلاَّ خَيْرًا»[٨]. ومرّت به جنازة فقام لها، فقيل إنه يهودي. فَقَالَ: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا»[٩].

---

٦ رواه أبوداود، والبيهقي في السنن.
٧ صحيح البخاري.
٨ رواه ابن ماجه.
٩ رواه البخاري ومسلم.

خاتمة: لقد أعطى الله تعالى العديد من الحضارات والأمم على مر العصور كل ما أرادت من الفتح العلمي والتقدّم الصناعي والإبداع التكنولوجي، ولعل ما تعيشه أوروبا وأمريكا من حال، على مدار قرن من الزمان خير شاهد، ذلك لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وهي أمم بالفعل أحسنت العمل وأجادت وأتقنت، أما في مجال سعادة الإنسانية وأمْنها وما يستلزمه ذلك من حقوق الإنسان فلم يُعطِها كل ما أرادت؛ لأنها لم تحسن -برغم جهودها- إذْ أساءت الظن في عناية الله لبني الإنسان، وأشاحت عن الدين الحق الذي يشتمل على كل ما يسعد الإنسان ويحفظ له كرامته وحقوقه.

هذا هو السبب الجوهري لِتعوّق مسيرة حقوق الإنسان في ظل الحضارة الغربية وتحت عناية الدول العظمى المتحضرة، السر هو تنكرها للدين الحق الذي جاء بالشريعة الغراء العصماء المشتملة على حقوق الإنسان بأكمل وأوسع وأعمق مما جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ذاك، والمشتملة كذلك على كل ضمانات تحقيق وحماية هذه الحقوق، ولا يمكن أن تستقيم المسيرة تحت قيادة تلك الدول حتى تثوب إلى رشدها وترجع إلى ربها وتستظل بشريعة الإسلام التي سبقت كل الهيئات والمنظمات والجمعيات والإعلانات المهتمة بحقوق الإنسان إلى تقرير كل المبادئ الإنسانية، والنظريات العلمية والاجتماعية التي لم يعرفها العالم، ولم يهتد إليها سبيلاً.

وذلك كله لضعف ومحدودية ونقصان الأفكار البشرية؛ إذ إن القوانين والمواثيق المعروفة في العالم المعاصر من وضع البشر، والبشر يُقدمون ويُؤخرون ويُبدلون ما يشاءون وقتما وكيفما شاءوا. بخلاف ما جاء في الشريعة الإسلامية حيث إن منشأه ومبدأه ومصدره من خالق الخلق عز وجل، فهو تشريع ديني رباني لا يملك أحد من البشر أن يغيره أو يبدله، وكل ذلك يحمل دلالة قاطعة شافية جليّة على أن الإسلام هو الحارس الناظم الأكبر لحماية حقوق الإنسان.

والحمد لله رب العالمين.



عبد القادر المهدي أبو سنيج

باحث شرعي

معركة الولاء والبراء

البراء من الكفار والمشركين من أوضح الأحكام وأبينها ومن أكثرها أدلةً بعد التوحيد؛ قال الشيخ حمد بن عتيق: «فأما معاداة الكفار والمشركين.. فاعلم أن الله قد أوجب ذلك، وأكد إيجابه، وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حُكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد، وتحريم ضده»[1].

وأدلّة الولاء والبراء لا يُمكن التشكيك فيها، لأنها معتقدٌ يقيني لارتباطه بأصل الإيمان بل إن أدلّته أكثر من أن تُحصى، خاصةً إذا أدخلنا في أدلّته كل ما دلّ عليه من منطوق ومفهوم. ولذلك فقد تعاضَدَ في إثبات هذا المعتقد أدلةٌ متكاثرة من: الكتاب، والسنة، والإجماع.

---

١ النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك (ضمن مجموعة التوحيد) ص٣٦٣، نقلاً عن معجم التوحيد (٣/ ٥٥٢).

وبالنظر في أدلّة الكتاب والسنّة وُجد أن معتقد الولاء والبراء يرجع إلى معنيين اثنين بالتحديد، هما: الحُبُّ والنُّصْرةُ في الولاء، وضِدُّهما في البراء. وهذا يتسق مع معانيهما في اللغة.

وعلى هذا فالولاء شرعاً، هو: حُبُّ الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعِه المسلمين، ونُصْرةُ الله تعالى ورسولِه ودينِ الإسلام وأتباعِه المسلمين.

والبراء هو: بُغْضُ الطواغيت التي تُعبَدُ من دون الله تعالى (من الأصنام الماديّة والمعنويّة: كالأهواء والآراء)، وبُغْضُ الكفر (بجميع ملله) وأتباعِه الكافرين، ومعاداة ذلك كُلِّه.



وبذلك نعلم، أننا عندما نقول: إن ركني الولاء والبراء هما: الحب والنصرة في الولاء، والبغض والعداوة في البراء، فنحن نعني بالنصرة وبالعداوة هنا النصرة القلبيّةَ والعداوةَ القلبيّة، أي تمنِّي انتصار الإسلام وأهله وتمنّي اندحار الكفر وأهله. أمّا النصرة العملية والعداوة العمليّة فهما ثمرةٌ لذلك المعتقد، لا بُدّ من ظهورها على الجوارح»[٢].

وعلى أساس الانتماء الصحيح للإسلام يكون الولاء الذي يمنع التشبه بغير المسلمين، حتى لا يختلط الدين في أفهام الناس، وتكون المفاصلة التي تمنع المداهنة والمساومة في الدين وعلى الدين.

---

٢ الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة، حاتم بن عارف بن ناصر الشريف العوني، (ص٣)، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية.



والولاء لا يكون إلا لله تعالى ولرسوله وللمؤمنين؛ قال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥].

فالولاء للمؤمنين يكون بمحبتهم لإيمانهم، ونصرتهم، والنصح لهم، والدعاء لهم، والسلام عليهم، وزيارة مريضهم، وتشييع ميتهم، وإعانتهم، والرحمة بهم، وغير ذلك.

والبراءة من الكفار تكون ببغضهم -ديناً- ومفارقتهم، وعدم الركون إليهم، أو الإعجاب بهم، والحذر من التشبه بهم، وتحقيق مخالفتهم شرعاً، وجهادهم بالمال واللسان والسنان، ونحو ذلك من مقتضيات العداوة في الله[٣].

فالولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراء والمعادة لمن عاداهم ولما عاداهم هو الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، وهو الميزان الحقيقي لصدق الانتماء، وهو برهان الإيمان.

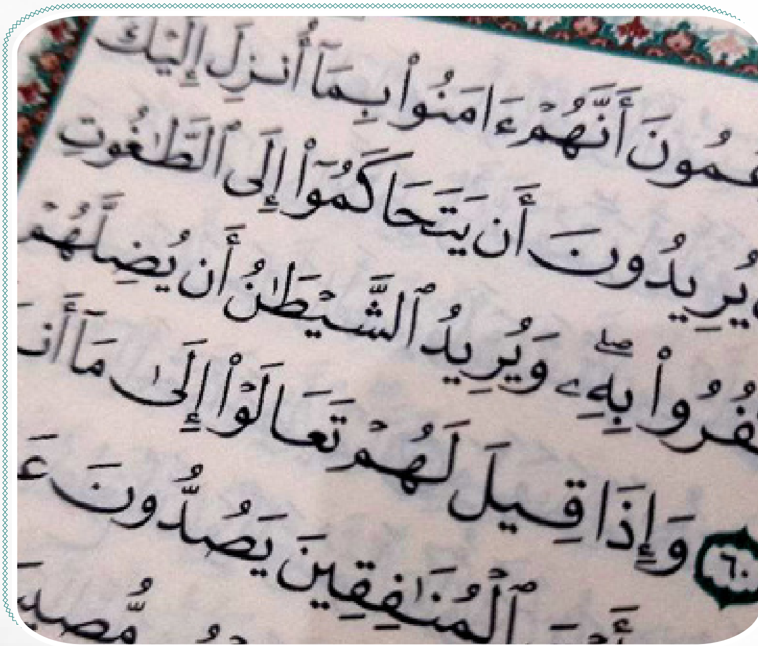
من خصائص الإسلام تميزه في جميع شرائعه وأحكامه وتميز المسلم وتفرده بخصائص الإسلام يبدأ من عقيدة التوحيد التي تقدم البراءة من الطاغوت وبعدها تعلن التوحيد والاستسلام لله وحده ليتم له الإيمان بالله، وهذا تمييز شمل العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق كما يشمل اللباس والهيئة والطعام.

---

٣ انظر تفصيل ذلك في: رسالة (أوثق عرى الإيمان) لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (ص٤٩ - ٥١)، وكتاب (الولاء والبراء) لمحمد القحطاني، و(الموالاة والمعاداة) لمحماس الجلعود.

فشهادة التوحيد أصلها: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغوتِ ويؤمنْ باللهِ﴾، «يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله، والتقرب إليه بما يحبه، ولا تمكن محبته إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة (لا إله إلا الله) وهي ملة إبراهيم الخليل عليه السلام وسائر الأنبياء والمرسلين، صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين». أما شقها الثاني (محمد رسول الله) فمعناه تجريد متابعته r فيما أمر والانتهاء عما نهى عنه وزجر، ومن هنا كانت (لا إله إلا الله) ولاء وبراء، نفياً وإثباتاً، ولاء لله ولدينه وكتابه وسنة نبيه وعباده الصالحين. وبراء من كل طاغوت عُبد من دون الله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُروَةِ الْوُثْقَىَ﴾ [البقرة: ٢٥٦][٤].

ويقول ابن القيم: «الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع؛ فطاغوت كل قوم مَن يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله؛ فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم انصرفوا عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته، وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الأمة، وهم الصحابة ومَن تبعهم، ولا قصدوا قصدهم؛ بل خالفوهم في الطريق والقصد معاً»[٥].



---

٤ مجموع الفتاوى (٢٨/٣٢).

٥ إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٤٠ ط العلمية).

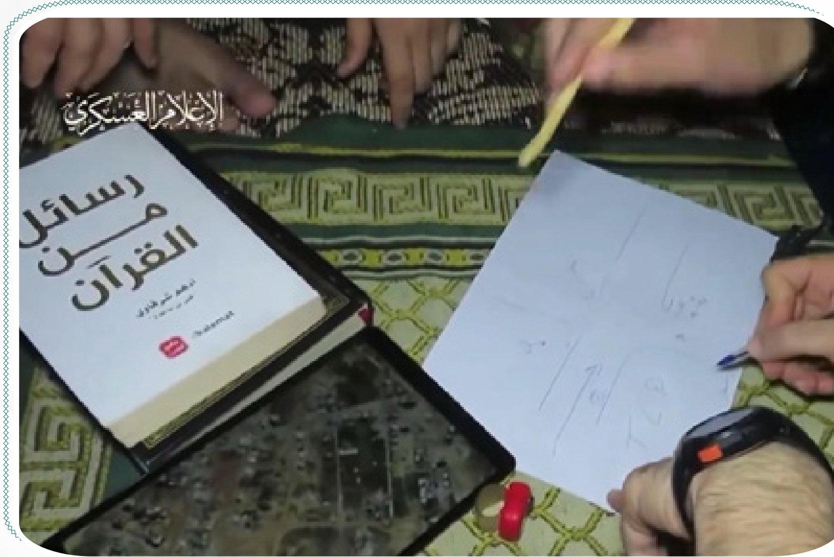
يقول الدكتور ماجد عرسان الكيلاني رحمه الله: «الولاية مصطلح قرآني تردد في مئات المواضع من القرآن والسنة، ومعناه: القيام بأمور الآخرين كلها. والولي هو القائم بأمور غيره من الأمة المسلمة في الميادين المتفرعة عن عناصر: الإيمان، والهجرة، والجهاد والرسالة، والإيواء والنصرة بالطريقة التي أمر الله. أي أن الولاية مصطلح اجتماعي يعني ولاء الفرد المسلم للأفكار، التي جاءت بها الرسالة الإسلامية أكثر من ولائه لنفسه. وتجسيد هذا الولاء من خلال الإسهام -مع المسلمين الآخرين- في تحويل الأفكار المذكورة إلى تطبيقات عملية تمثل في عناصر الإيمان، والهجرة، والجهاد والرسالة، والإيواء، والنصرة بين الأفراد الذين يشتركون في الإيمان بالله تعالى ورسله. فالولاية -إذن- هي هيمنة روح الشعور بالمسئولية في السلوك والعلاقات والحاجات وقيام الأفراد والمؤسسات والجماعات، برعاية شئون بعضهم بعضاً، في ميادين الاجتماع والسياسة والاقتصاد والزراعة، والصناعة والفكر والثقافة والتوجيه، والتعليم والحرب والسلام والأمن والخطر، وغير ذلك».

فالمؤمن ولاؤه يدور في فلك «أفكار» الرسالة، وتحريره من صنمية الولاء الأعمى لـ«أشخاص» الحاكمين و«أشياء» المترفين، وهو ما تفعله المؤسسات البوليسية، والعسكرية، التي توجهها التربية العسكرية الحديثة -خاصة في أقطار العالم الثالث- ولا يكون من ثمارها إلا الرهق والإرهاب للأمم والمجتمعات في الداخل، والعجز المذل أمام العدوان النازل بها من خارج.



فالولاية هي المحصلة النهائية لتفاعل العناصر المكونة للأمة المسلمة: والثمرة التناصر والتناصح والموالاة؛ كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وفي حالة صحة الأمة تستمد عناصر الإيمان، والهجرة والمهجر، والجهاد والرسالة، والإيواء، والنصرة، والولاية، محتوياتها من أفكار «الرسالة» الإلهية، وتستثمر في سبيل تطبيقات الرسالة ونشرها.



ونتيجة لذلك تصبح معادلة تكوين الأمة كالتالي: **الأمة= أفكار الرسالة «أفراد مؤمنون + هجرة ومهجر + جهاد + إيواء +نصرة» = أفراد مؤمنون بالرسالة + هجرة ومهجر لأفكار الرسالة + جهاد في سبيل الرسالة + إيواء حملة الرسالة + نصرة الرسالة.**

والنتيجة العملية لهذا التكوين هي -الولاية أو الولاء للأمة. وهذا الولاء هو مظهر صحة الأمة وعافيتها[٦].

وضد العافية المرض المفضي للهلكة، وأول عرض يدل على مرض الأمة وضعفها هو مرض «التشابه» أو التشبه، وهو ظاهرة ومرض يفتك بالقلب فيصرفه عن الإيمان في أخص ركن من أركانه، وهو الولاء لله ليكون في أخطر مراحل الهلكة والسقوط، حينما لا يكفر بالطاغوت فيتشبه بالظلمة، يقول بقولهم ويرضى بفعلهم بل ويستحسنه ويفرح به.

---

٦ أهداف التربية الإسلامية (ص٣٢٦، ٣٤١، ٣٧٤).

والتَّشَبه في معناه اللُّغَوي، مأخوذ من: (الشِّبْه والشَّبه والشَّبيه)[٧] وتعني: (المماثلة من جهة الكيفية، كاللون والطعم، كالعدالة والظلم)[٨] ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨]، قال الراغب: (أي في الغَيّ والجَهالَةِ)، وفي (التشبه) معنى زائد على المماثلة، وهو (المحاكاة والتقليد)[٩].



وأما التشبه المنهي عنه فإنه: «مماثلة الكافرين بشتى أصنافهم في عقائدهم، أو عباداتهم أو عاداتهم، أو في أنماط السلوك التي هي من خصائصهم»[١٠].

وهنا لابد من التفريق بين أمرين اتسم بهما تميُّز الأُمَّةِ الإسلاميَّة، وانطبعت عليهما شخصية الأُمَّةِ الإسْلامِيَّةِ في علاقتها بِغَيرها مِنْ أَهل الكِتَابِ وأَهْلِ الجاهِلِيَّةِ، الأَمر الأول ما يوجبه الإسلام من البراء من أولئك والحذر منهم والنهي عن التشبه بهم، فيما يتصل بعقيدة الإسلام وشريعته وهديه، والأمر الآخر صلات البر وحسن المعاملة، والبعد عن ظلمهم، أو الاعتداء عليهم، وهو جانب شهد لها المنصفون به، وبما اتسمت به حضاراتها وثقافتها من التسامح معهم، والبر بهم، والإحسان إليهم عبر التاريخ، تحقيقًا

---

٧ الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: مادة (شبه)، انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة (شبه).

٨ الراغب الأصفهاني: المرجع السابق نفسه، وانظر: محمد عبد الرؤوف المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط١ (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م)، عن دار الفكر، دمشق.

٩ انظر: بطرس البستاني: محيط المحيط، (٢/ ١٧٥٠)، طبعة (١٨٧٠ م)، بيروت.

١٠ ناصر عبد الكريم العقل: من تشبه بقوم فهو منهم ص: (٧)، وانظر: ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٦٤ - ٦٩).

لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، وقول الرسول: «إنّي لم أبعث لعانًا وإنما بُعثتُ رحمة»[١١]، وقول الله -جلَّ وعلا- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

سيرة النبي وسنته في التحذير من مرض التشبه



جاء في الحديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[١٢]. وفي الصحيحين عن أنس، عن النبي قال: «المرءُ مع من أحَبّ»[١٣].

فقوله ﷺ: «من تشبه بقوم» هذا عام في الخلق والخلق والشعار، وإذ كان الشعار أظهر في التشبه[١٤] وقال ابن كثير: «فَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى النَّهْيِ الشَّدِيدِ وَالتَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ عَلَى التَّشَبُّهِ بِالْكُفَّارِ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَلِبَاسِهِمْ وَأَعْيَادِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمُ التِي لم تشرع لنا ولا نقر عليها»[١٥].

وقال ابن تيمية: «وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]»[١٦].

---

١١ مسلم: (٤/ ٢٠٠٧).
١٢ أحمد (٥١١٤) و(٥١١٥)، وأبو داود (٤٠٣١)، وحسنه الحافظ في الفتح ١٠/ ٢٧١.
١٣ أحمد والشيخان وأصحاب السنن. انظر صحيح الجامع (٦٦٥٦).
١٤ شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٩/ ٢٩٠١).
١٥ تفسير ابن كثير (١/ ٢٥٧).
١٦ اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٧٠).

ومن عجيب أن هذه اللفظة «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» جاءت في الحديث المشهور، والذي رواه الإمام أحمد من حديث ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[17].

ولعلّة ما ذكرت هذه اللفظة ولعلها تشير إلى أهمية تنقية الصف حال الجهاد والإقبال على المعارك، التي يحمل فيها سيف العدل لنشر التوحيد ورمح رد العدوان وكف الظلم وكف يد الظالم وقمع الفساد؛ لئلا يكون في صف المؤمنين من يتشبه بالعدو.

وهذا أمر مهم وواجب محتم، ألا يتبع أهل الإسلام في رباطهم وجهادهم مخذلاً مغرماً بعدوه منسلخاً من أحكام دينه مع خيانته واحتقاره لقومه فيتشبه بالعدو «والمغلوب مولع بتقليد الغالب» حتى في الخطأ كما قال قرر ابن خلدون.

وهنا نلمح رابطاً بين طائفة المغلوبين المولعين بعدوهم الغالب والمذل لهم والمتشبهين والمثبطين، وبين أعداء الأمة والدين إذ أنهم يتكئون هم وأهل الكفر والعناد على هذا الحديث؛ لترويج الشبهات حول الإسلام لربطه بالعدوان والتطرف فطاروا بهذا الحديث، بل وتبجحوا بكثرة ذكره حتى اشتهرت شبهته وعرفت باسم (انتشار الإسلام بحد السيف).

ولكن أي انتشار للإسلام بحد السيف في أمة هي أكثر الأمم في عدد اللاجئين وعدد القتلى والجرحى والمشردين؟! خلال ما يزيد على قرنين من الزمان، تنتقل المذابح من بلد إلى أخرى ومن قارة إلى أخرى والمفعول به في الجميع وفي كل الأحوال هم المسلمون، والفاعل هم أعداء الأمة والراضي هم المقلدون والمتشبهون الذي يضاهئون قول الذين كفروا.

---

١٧ حديث حسن أخرجه أحمد (٥١١٤) والبخاري تعليقًا ٦/ ٦٣.



بل والقانون الدولي «فاعل» ضد المسلمين و«معطل» عند حقوقهم، وجمعيات الحقوق وجماعاتها ناطقة ضد الإسلام والمسلمين، ولا تسمع لها همساً فهم صمٌ وبكمٌ وعميٌ عند حقوق أهل الإسلام.

وكأن هذه اللفظة في هذا الحديث مقصودة، وهي تشير إلى ما نراه واقعاً عند منازلة العدو، فإننا نرى طوائف من المسارعين فيهم والمعوقين لأهل الإصلاح والجهاد والرباط يقولون بقول العدو ويرددون شبهاته ضد المجاهدين المدافعين عن مقدسات الأمة وديارهم وأموالهم وأعراضهم. بل إن هؤلاء زادوا عن أسلافهم «المنافقين المعوقين» بأنهم صاروا أسبق من عدوهم في شحن الشبهات ونشر الشائعات وتثبيط الهمم، بتخذيل المؤمنين وموالاة الكافرين ومخاصمة ومنازعة ومعاندة وخذلان إخوانهم وبني جلدتهم؛ ممن يدافعون عن الأمة ويدفعون الكفر والعدوان والباطل والفساد والظلم والشر.

وصاروا سلماً لأعداء الأمة حرباً على الأمة؛ بل أصبحوا مع العدو المجرم الغاصب يحسنون أفعاله ويدافعون عنه، وهم أذلة على الكافرين أعزة على المؤمنين وأصبحوا يقاتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.



بادية شكاط
كاتبة جزائرية

السيادة الغربية ومقاليد الحكم الإسلامية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وقرة أعيننا الهادي إلى صراطه المستقيم ودينه القويم، عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى السلام، أما بعد:

فالآن وقد بات العالم يترنّح كالسكران بين قرون الشيطان، ألم يئنِ الأوان بأصحاب الضمائر وكل الأحرار الذين يمتلكون نواصي العلم والفهم، أن يَهدموا ما شُيِّد لنا مِن محمِيّات؟ تلك التي ضمنت لغيرنا السيادة وحفظت لنا العبادة؟

ألم يصدر في ٢٦ أوت/أغسطس ١٨٧٦م إعلان حقوق الإنسان، الذي نصّ على أنّ السيادة للأمة غير قابلة للانقسام، وأنّ مرجعية السلطة هي للشعب وحده؟ ثم ظهرت تبعًا لذلك فكرة الرقابة السياسية والقضائية على السلطة التنفيذية، وتقرّر مبدأ المساواة في السيادة لدى جميع الأمم في الحقوق والواجبات، من غير اعتبار لأصل تلك الدول ولا مساحاتها ولا شكل الحكومات؟

فأين كل ذلك ممّا يحدث اليوم في غزة؟ أليس ما يحدث هو خرق صارخ لكل تلك الشعارات؟


جان بودان

لقد بات لزامًا علينا وضع مفهوم للسيادة ينطق به لسان الحال لتغيير المآل، فكل ما وُضع من مفاهيم لها في الغرب هي مفاهيم توثّق لهم عروة التحكم بمقاليد السيادة على الدول العربية، فإن تتبّعنا مسارات تلك المفاهيم ابتداءً من جان بودان (١٥٣٠ - ١٥٦٩) ومن خلال كتابه (ستة كتب عن الجمهورية) نجده قد عرّف السيادة بأنها عبارة عن: «السلطة العليا على المواطنين والرعايا». ثم بكونها سلطة دائمة غير مؤقتة ولا تخضع للتقادم، ومطلقة لا تخضع للقوانين، فصاحب السلطة العليا برأي بودان هو واضع القوانين، وهو غير مسؤول أمام أي أحد بتنفيذها.

فكان بودان ممّن وضعوا أسسًا للسيادة داخل الدولة، أمّا خارجها فقد ظهر غروسيوس، الذي رأى أنها سلطة سياسية يمتلكها شخص تجعل أفعاله غير قابلة للنقد، ليعقبه هوبز، والذي اعتبرها أولاً وأخيرًا

حفاظًا على بقاء المجتمعات، حتى لا يأكل القوي فيها الضعيف، وبرأيه حين يتفق الجميع على شخص بعينه ليكون صاحب السلطة فهم يمنحونه بموجب ذلك حق التصرف في ممتلكات الدولة، وبالتالي في أموالهم تبعًا لذلك، فتكون أموالهم –حسبه- مجرّد امتيازات يقرّرها الحاكم على الرعية كما يشاء، والحاكم -حسبه أيضًا- غير ملزم باتباع القانون؛ لأنه هو واضعه، وله مطلق الحرية في سنّه أو إلغائه، فكفّتا العدالة بين يديه لوحده، وطبعًا في ثنايا تلك النظريات غثاء من النقيض لا بد له من معاول تقويم.

فجان بودان مثلاً، وهو يخلق السيادة من خلال ثالوث: (السيادة، والمواطن، والدولة) جعل بداية صاحب السلطة هو من يصوغ القوانين داخل الدولة، ليجعل بعدها الشعب هو من يُلزم الحاكم بتطبيقها..

فهنا يستوجب علينا حسب رأينا طرح الإشكال الآتي:

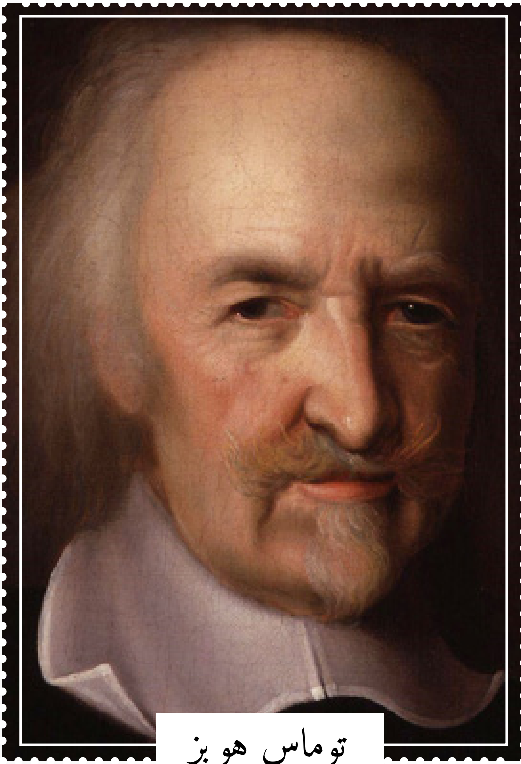


إذا كان الشعب يملك حق إلزام صاحب السيادة بتطبيق القوانين، فهو إذن صاحب السيادة الحقيقية، وليس الحاكم كما أراد له أن يكون جان بودان.

وهذا ما يبيّن استحالة أن تكون السيادة مطلقة لدى الحاكم بإبعاد كامل للشعب.

والأمر ذاته بالنسبة لغروسيوس الذي نقد نظرته بنفسه حين راح يضع ضوابط لتلك الهيئات التي تُخوّل لنفسها سلطة إعلان الحروب، بعد أن جعل السيادة مفهوماً بموجبه لا يجوز نقد أفعال صاحب السلطة مهما كانت، فكان بوضعه لتلك الضوابط هو أول من انتقدها، لِما لاحظ من عنجهية الطغاة، واستبداد الحكم الذي طفح به كيل العدالة.

أما هوبز وهو يضع السيادة المطلقة للحاكم حفاظاً على بقاء المجتمعات؛ فهو يعمل بدل ذلك على إفنائها، لأن الحاكم لا يُبسَط له الكمال بسطًا لمجرد حيازته على السلطة، وبما أنه بشر فقد يصيب وقد يخطئ في حكمه، فإذا حدث وأخطأ ولم يكن مِن معارضة يجابهها، فسيحدث الفناء الجماعي بدل البقاء الذي تحدّث عنه، وهذا ما نلحظه من خلال الممارسات الديكتاتورية للحكام في البلدان العربية، أو حتى من خلال ما تمارسه دول تريد أن تكون لها بدل السيادة الدولية سيادة إقليمية؛ كأمريكا وروسيا.


توماس هوبز

ولذلك فإنّ السيادة -وحتى تكون حقيقية- ينبغي أن تُبنى على أساس البحث عن المصلحة العامة وليس المصلحة الخاصة، فتكون كلمة الحق هي العليا وإن كانت من فرد لا يساوي أبخس بضاعة، وكلمة الباطل هي السفلى وإن كانت ممّن لا تُشق له عصا طاعة، ثم إنّ السيادة في مرجعيتها القانونية هي دليل نقصانها في ذاتها، فلو كان الكمال في ذاتها لما كانت بحاجة لِما يُسمّى بالقوانين الدستورية، كما أنّ تلك القوانين

قد يطغى ويستبد من خلالها واضعها كما نلحظ في كثير من الدول، خاصة في عدم فصله بين السلطات، حتى صارت السلطة العسكرية هي الآمرة الناهية، وباتت طوقًا يلُف عنق الديمقراطية، فعمّ الفساد والاستبداد، وأصبحت تلك الدول أحوج ما تكون لمرجعية يكون فيها الكمال جوهراً لا عارضًا، والسيادة فيها خاضعة لحتمية السماء لا لشطحات الأهواء، فيتساوى أمام كمالها وفي حكمتها وسمو غاياتها جميع البشر فقراء وأغنياء، حكّاماً أقوياء، أو رعية ضعفاء.



يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: «تعاليم الدين المنوعة في كل شؤون الحياة هي نداء الطبائع السليمة والأفكار الصحيحة، وتوجيهاته المبثوثة في أصوله متنفس طلق لما تنشده النفوس من كمال».

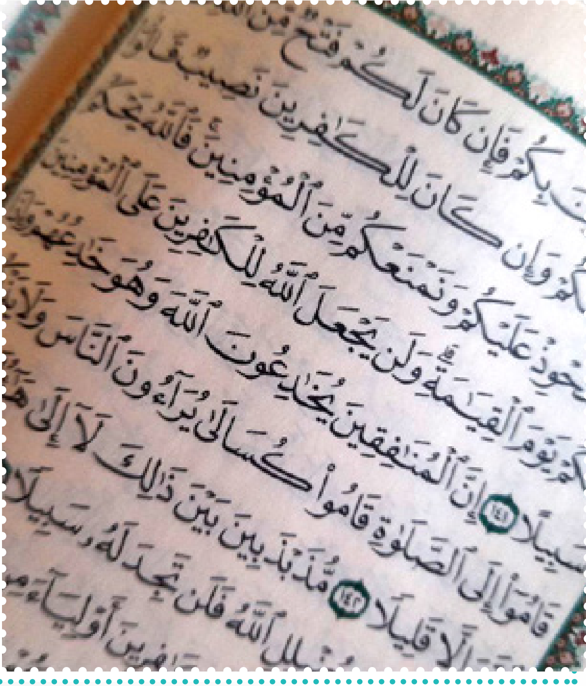
فيكون الحاكم هو هيئة تنفيذية لهيئة تشريعية هي الرعية أو الشعب، فتتبلور السيادة من وجهة نظرنا على صعيدين:

الصعيد الداخلي

بطاعة الله ورسوله ﷺ وولاة الأمر، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

غير أنّ لذلك ضوابط وأطراً، ذكر منها التاريخ ما لا يمكن حصره في بضعة أسطر، فهذا الصحابي الجليل أبو بكر الصديق، حين ولي الخلافة قال: «أيها الناس إني قد ولّيت عليكم، ولست بخيركم، إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني».

وكذلك فعل الخليفة عمر بن الخطاب يوم استلامه لمقاليد الحكم، راح يبيّن للرعية حدود هاته الطاعة في خطبته فقال: «مَن رأى منكم فيّ إعوجاجاً فليقَوّمني».



يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ
إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ
قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ
إِلَّا قَلِيلًا مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا

وأمّا على الصعيد الخارجي

فمن خلال قوله عز وجل: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

أي: في الدنيا بأن يبسطوا سيطرتهم عليهم.

إنّ على الدول الإسلامية الإيمان بأنّ وحدتها هي الخلاص من كل ذاك الخنوع والإذعان، وأما الخشية من إصابة بنيان الوحدة بسبب الدين بالانهيار فهُوَ أشبه بمن يخاف أن تكون الشمس كوكبًا مشتركًا تحدّد للجميع اللّيل من النهار.

أكاديمية أنصار النبي ﷺ
SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY



فقه الحج

هذه دورة عن فقه الحج قام بإلقائها فضيلة الدكتور ياسر النجار، تناول فيها أهمية الحج وإنه ركن من أركان الإسلام، وذكر الأدلة الشرعية، وأقوال العلماء بالتفصيل والتأصيل، ثم تكلم الشيخ عن تعريف الحج وأركانه وشروطه وعلى من يجب، وأنواع الحج وذكر ذلك في سبعة عشر محاضرة.

من أهداف الدورة:

- تغطية جزء من فقه العبادات مما لا يسع المسلم جهله.
- معرفة حكم الحج وهل يجب على الفور.
- معرفة خصال الاستطاعة المعتبرة شرعًا.
- معرفة الشروط الخاصة بالنساء في الحج.
- معرفة شروط صحة الحج.

يمكنك الاشتراك في الدورة من هنا

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

17 محاضرة  10 ساعات

قصة الهجرة

دورة علمية تتناول حدث الهجرة كاملاً من بداية إرهاصات الهجرة إلى وصول النبي ﷺ المدينة، وأسبابها وأحداثها ونتائجها، وتبين ما ثبت وما لم يثبت من الوقائع التاريخية حول هذا الحدث العظيم، وتتناول حدث الهجرة النبوية بالتفصيل، وما الذي حدث مع النبي وأصحابه، والهجرة الأولى إلى الحبشة، ذكر الوفد الذين قدموا من الأنصار لبيعة رسول الله، وسرد حدث الهجرة على طريقة القراءة وإسقاطها على واقع المسلمين، حتى يستفيد من سردها كل مسلم ومسلمة.

 9 محاضرات 3 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

أكاديمية أنصار النبي ﷺ
SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY

فِقهُ الصِّيام



مع فضيلة الشيخ الدكتور
جعفر الطلحاوي
أستاذ الشريعة الإسلامية بالأزهر الشريف

هي دورة علمية يقدمها فضيلة الشيخ الدكتور/ جعفر الطلحاوي في فقه الصيام وما يلحق به في عدة حلقات، تُقدم شرحاً تفصيلياً لفقه الصيام، وذكر القول الراجح من أقوال العلماء، كما تجيب على أكثر الأسئلة شيوعا وتكراراً في باب فقه الصيام، وذكر الراجح من أقوال العلماء في المسألة، دون الدخول في تفاصيل أقوال المذاهب، والمسائل الخلافية بينهم، وما يلحق به كـ (الاعتكاف - وزكاة - الفطر)، وهي دورة علمية بين يدي رمضان نصل بها إلى عموم المسلمين تعليماً وتفقها.

 20 محاضرة

 8 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة



دورة شرح الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية ﷺ، التي ألفها العلامة ابن أبي العز الحنفي الدمشقي في مئة بيت، ذكر فيها سيرة وحال النبي ﷺ من مولده إلى وفاته، في أبيات على بحر الرجز ولذا سميت الأرجوزة، وقام بشرحها فضيلة الدكتور محمد سعيد بكر في كتاب تحت عنوان (القيم النبوية في الأرجوزة الميئية) في أربعة عشر لقاء في أكاديمية أنصار النبي ﷺ.

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

 15 محاضرة

 5 ساعات





اضغط هنا للاشتراك في الدورة

دورة قواعد الإدارة النبوية يقدمها فضيلة الدكتور محمد سعيد بكر، يتناول فيها كيف كانت إدارة النبي ﷺ في التخطيط والتنظيم، والمتابعة، والمراقبة، والتوجيه، وكيف تعامل مع إدارة الأزمات، وإسقاط ذلك على واقع الإدارة الحديثة وآلية تفعيل هذه القواعد في وقتنا الحاضر، وذلك في عشر محاضرات.

 10 محاضرات

 3 ساعات





 30 محاضرة  10 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة



دورة علمية تأصيلية في فقه الجهاد وأحكامه في الشريعة الإسلامية، قدمها فضيلة الدكتور عبد الحي يوسف، تناول فيها تعريف الجهاد وأنواعه ومراتبه ومراحل تشريعه، ثم استفاض الشيخ في التفصيل في مسائل الباب وبيان أحكامها وأدلتها وإنزال ذلك على واقع الجهاد في فلسطين.





دورة شرح العقيدة المقدسية لفضيلة الشيخ الدكتور الحسن الكتاني، شرح فيها كتاب العقيدة المقدسية لفضيلة الشيخ محمد يسري إبراهيم، وتوضح الدورة عقيدة المسلمين في بيت المقدس والمسجد الأقصى، ومكانة هذه المقدسات في الإسلام، وما يجب على المسلمين تجاهها، مع الرد على كافة الشبهات المثارة حول هذه المسألة.

 19 محاضرة  8 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

سلسلة

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّة

استعراض لوقائع السيرة النبوية
التي نحتاجها في واقعنا المعاصر

- من نبعته إلى بعثته ﷺ
- من هجرته إلى وفاته ﷺ
- من بعثته إلى هجرته ﷺ
- الغزوات النبوية



الشيخ د. محمد الصغير

رئيس الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

سلسلة السيرة الفرنسية

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّة

استعراض لسيرة النبي ﷺ من خلال دراسات ومؤلفات المستشرقين والمؤرخين الفرنسيين، تحقيقا لقوله تعالى:

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾

- السيرة النبوية الفرنسية



محمد إلهامي

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

﴿قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾



أئمة الهدى

من تراث العلماء والدعاة والشهداء الراحلين



د. توفيق الشاوي
رحمه الله

سيادة الشريعة فوق سيادة البشر

عندما نتكلم عن سيادة الشريعة، فإن المقصود بالسيادة هي السلطة العليا، وقد حفلت كتب القانون العصري بتعريفات متعددة تؤدي إلى هذا المعنى؛ فالجهة أو الهيئة التي يعترفون لها بالسيادة هي التي يكون لها الكلمة العليا والأخيرة، وتخضع غيرها من الجهات أو الهيئات لأوامرها وتوجيهاتها، ولا يجوز لها الخروج على ما تفرضه من مبادئ وما تضعه من قيود وحدود.



* د. توفيق الشاوي، سيادة الشريعة الإسلامية في مصر، ط١ (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٧م)، ص٨١ وما بعدها.

السيادة المطلقة

معنى ذلك أن السيادة تكون لمن يعتبر المرجع الأخير والسلطة العليا في المجتمع البشري، وبذلك يكون لصاحب السيادة سلطة مطلقة لا تملك أية جهة أو هيئة أخرى أن تعقّب عليها أو تخرج عن حدودها، وإلا كان شريكاً لها في سيادتها، وهذا يتعارض مع السيادة التي يجب أن تكون كاملة لا تتجزأ ولا تتعدد، وبذلك لا يمكن الاعتراف بها إلا لجهة واحدة لا شريك لها، وكل سلطة تمنح لغير هذه الجهة لا بد أن تكون محدودة ومقيدة.

ويُلاحَظ أن بعض الكتب المعاصرة وخاصة ما كتبه بعض المؤلفين من المسلمين غير العرب، يعبرون عن السيادة المطلقة بالحاكمية، لتمييزها عن السيادة النسبية التي نتكلم عنها فيما يلي:

السيادة النسبية

رغم إشارة الفقه الحديث إلى أن السيادة يُقصد بها السلطة العليا أو المطلقة، فإننا نجد في كتب القانون العصري، وفي لغة الإعلام والثقافة والصحافة كذلك كلاماً كثيراً عن السيادة التي تنسب إلى جهات متعددة لا جهة واحدة، مما يتنافى مع الزعم بأنها سيادة مطلقة، ويوجب علينا المقارنة بينها للبحث عما يمكن أن يكون منها سيادة مطلقة، وتمييزه عن غيره مما يدخل في نطاق نوع آخر هو السيادة النسبية؛ فهناك سيادة الدولة، ويجب

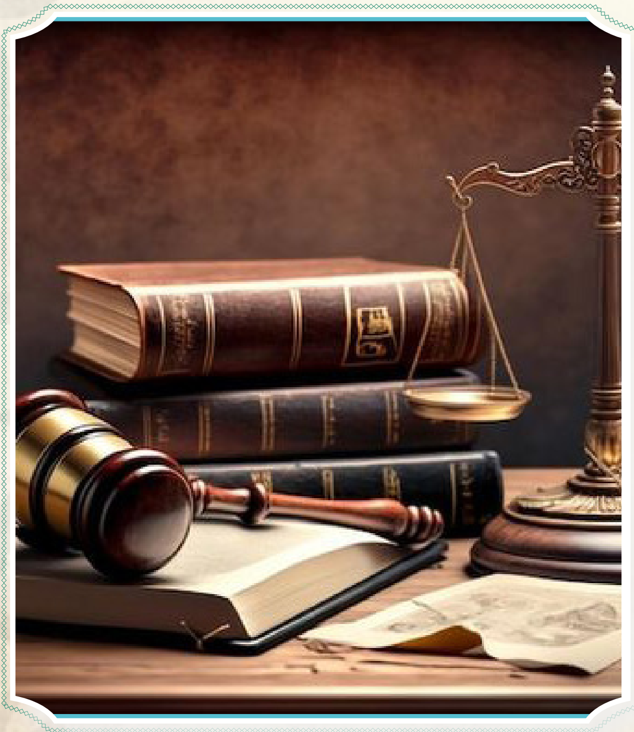


أن نفرق بين السيادة الخارجية، والسيادة الداخلية لكل دولة من الدول، وهناك أيضاً سيادتها الإقليمية، والسيادة الوطنية... إلخ. ويكثر الكلام عن سيادة الشعب، أو سيادة الأمة، وإلى جانب ذلك يتكلم الناس عن سيادة القانون، وسيادة الدستور.

وفوق ذلك نتكلم عن سيادة الشريعة، ومع ذلك لا ننكر سيادة القانون، إذا كانت خاضعة لسيادة الشريعة، بل اعتبرناها خطوة ضرورية وعملية لتطبيق سيادة الشريعة بإخضاع القوانين الوضعية لها واستمدادها من أصولها ومبادئها والتزامها بقيودها وأحكامها. وعندما يكون مصدر القانون هو الشريعة فإنه يكتسب صفة شرعية رغم أنه قد يوصف بأنه قانون وضعي، ولا ضرر بعد ذلك أن يصدره برلمان أو تصدره دولة أو حكومة، ما دامت تستمده من مصادر الشريعة وتلتزم بأحكامها، وهنا يتضح من كل ذلك أن سيادة الشريعة أعلى من سيادة القانون ومهيمنة عليها، بل هي مصدرها في المجتمع الإسلامي.

بل في فقه القوانين الوضعية تكون سيادة القانون نسبية لسببين:

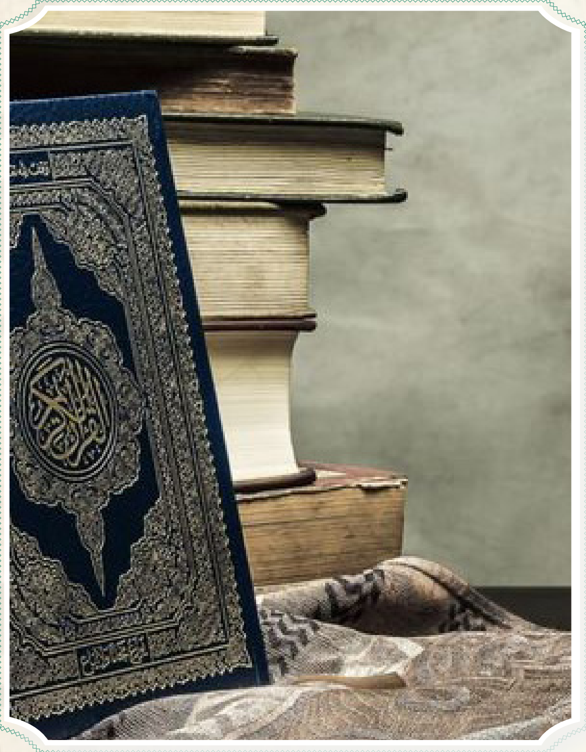
أولهما: أنها تهيمن على أعمال الأفراد والهيئات التنفيذية والقضائية، ولكن يصعب القول بأنها تهيمن على السلطة التي تباشر التشريع؛ لأن لها الحق في تعديله وإلغائه وإصداره.



والسبب الثاني: أنه في كثير من الدول يوجد هناك قانون أعلى يُسمى الدستور أو القانون

الأساسي، الذي يُعتبر مصدر السلطات، ويهيمن على جميع أجهزة الدولة بما في ذلك الهيئة التشريعية، التي يجب أن تلتزم به لأنه هو أساس وجودها ومصدر شرعية قوانينها بالمعنى الوضعي.

وقد نتج عن ذلك أن قال البعض بأن سيادة الدستور هي السيادة المطلقة، لأنه يصدر مباشرة عن السلطة الدستورية التي تنسب إلى الشعب بطريق الاستفتاء، أو بطريق جمعية تأسيسية منتخبة. ومع ذلك فيوجد فقهاء كثيرون ينكرون على الدساتير سيادتها المطلقة لأنها يجب أن تتقيد بالمبادئ العليا الأساسية التي تحمي حريات الأفراد وحقوق الإنسان. والتي تستمَد مما يسمونه القانون الطبيعي أو المبادئ الإنسانية العليا، وما نسميه نحن (الشريعة الإسلامية).



سيادة الشعب

كثيرون هم الذين يتكلمون عن سيادة الشعب، ولكنهم لا يتفقون في أهدافهم ولا في الأسس التي يبنون عليها ادعاءهم؛ فالأفراد الذين يشكون من استبداد الحكام أو طغيانهم يريدون أن تكون هناك سلطة أعلى من سلطة الدولة والحكومة.. تقيد من سلطاتها وتحكم تصرفاتها، فيلجأون للسيادة الشعبية لتقوم بدور حماية الحريات الفردية والحقوق الإنسانية من الاستبداد والطغيان. لكن هذا الهدف السامي يضيع في زحمة المزايدات التي يلجأ إليها كثير من الحكام الذين يرفعون أصواتهم بالمناداة بالسيادة الشعبية لأنهم يعتبرون أنفسهم

متكلمين باسم الشعب، ويمارسون سيادته ويفرضون بها كل ما يريدون من أسباب الفساد والعبث والطغيان، حتى اشتهر المثل القائل: كم من الجرائم تُرتكب باسم الشعب، وكم من جرائم تُرتكب باسم الدفاع عن حقوق الشعب أو مصالحه ممن ينصبون أنفسهم متكلمين باسمه ويدّعون أنهم مفوضون لممارسة سيادته.



إن الذين يلحون فى القول بأن سيادة الشعب أو الأمة مطلقة، يهدفون بذلك إلى جعلها فوق سيادة الدولة وسلطة الحكومات وتمكين الشعوب بها من تقييد صلاحيات الدولة وسلطاتها بحدود دستورية صادرة عن إرادة الشعب أو الأمة، ومعنى ذلك أن البحث فى سيادة الشعب والأمة هو نفس البحث في سيادة الدستور. ولكن هناك دولاً كثيرة لا تكون لها دساتير أو قوانين أساسية، ويرى البعض أن أشهر نموذج لها هو بريطانيا العظمى لأنها ليس لها دستور مكتوب، فالذى يمثل الشعب أو الأمة هو البرلمان، ولم توجد بها هيئة تأسيسية ولا سلطة دستورية غيره، ولذلك وجد المثل السائر الذي يقول بأن البرلمان الإنجليزي يملك أن يقرر بطريق التشريع كل شيء إلا شيئاً واحداً، هو أن يحول الرجل إلى امرأة. ومن الناس من أصبح يشك فى هذا الاستثناء أيضاً بعد ما قيل عن إباحة اللواط والزواج المزعوم بين المصابين بالشذوذ الجنسي.

ولا شك أن الجميع يسلّمون بأن التشريع هو التعبير الأساسي عن السيادة، وكل ما هنالك أن البعض يحاول أن يفرق بين التشريع الأعلى -أي القانون الأساسي أو الدستوري- الذي يعتقدون

أنه يعبر عن السيادة المطلقة، والتشريع العادي أو الأدنى الذي يعبر عن السيادة المحدودة، ولكن وصف سيادة الدستور بأنها مطلقة يقوم على الظن بأنه لا توجد سلطة أعلى من الهيئة الدستورية، وهو ظن لا يسلّم به كثير من العلماء المعاصرين، فضلاً عن فقهاء الشريعة الإسلامية.

سيادة الشريعة ومصدرها السماوي

إن الذين يتكلمون عن سيادة الشريعة يضعونها فوق التشريع الوضعي، سواء كان في صورة قوانين أساسية أو دستورية أو قوانين عادية، أو نُظم، وبذلك تكون هي صاحبة السيادة المطلقة، ويصبح الدستور كأي تشريع وضعي آخر في مرتبة أدنى، وتكون سيادته -إن وُجدت- نسبية محدودة بحدود الشريعة.

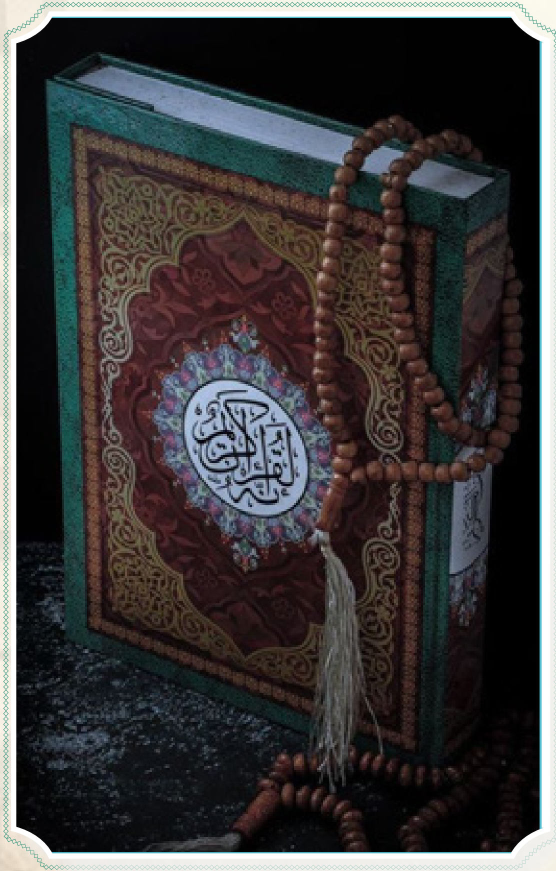
وبما أن الشريعة ذات مصدر سماوي -لأنها شريعة الله سبحانه وتعالى- فإنها تصبح مظهر السيادة الإلهية، وبذلك نصل إلى ما قاله كثير من العلماء، من أن السيادة لله وحده. ويقصد بذلك أن الله سبحانه هو وحده صاحب السيادة المطلقة والكلمة العليا، وإرادته هي المرجع الأسمى.



أما ما يُنسب إلى البشر من أي صنف كانوا، وبأي صفة عملوا، فلا يمكن أن يكون سيادة مطلقة بأي حال من الأحوال، وإذا كان لابد من نسبة السيادة إلى جماعة أو هيئة من البشر، فلابد من التأكيد على أنها سيادة نسبية محدودة بحدود الشريعة الإلهية، ولا يمكن بحال من الأحول أن تكون بغير حدود ولا قيود، ولا يمكن أن يُعنى بها السلطة المطلقة.

وبذلك نصل إلى الغاية التي يسعى لها العالم في العصر القديم والحديث، وهي سدّ الطريق أمام السلطة المطلقة التي يدعيها فرد أو هيئة إنسانية في هذا العالم، وحماية الشعوب والأفراد من طغيان الحكام واستبدادهم، وذلك بإعمال المبدأ الذي قرره فقهاؤنا، وهو أن السلطة المطلقة والسيادة المطلقة تتركز في يد الله سبحانه وتعالى، خالق الكون وبارئه ومدبره ومسيره، وخالق البشر ومصورهم ومعبودهم، لا إله إلا هو، وبذلك يكون فقهاء الإسلام قد حرموا نسبة السلطة المطلقة لأي مخلوق لأنها من مستلزمات الألوهية وخصائصها، وادعاؤها هو ادعاء للألوهية، والتسليم بها نوع من الشرك أو الوثنية التي جاء الإسلام لتحرير البشر منها، فأخرج الناس بذلك من عبادة البشر إلى عبادة الله وحده لا إله إلا هو.

ولقد أشار إلى هذا المبدأ أستاذنا السنهوري في بحثه عن الخلافة (بند ٦ ص١٨) مستشهداً بأقوال كثير من علماء الإسلام، وخاصة السيد عبد الرحيم في كتابه (مبادئ الفقه الإسلامي) وعبر بما يأتي:



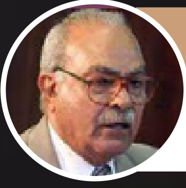
«إن روح التشريع الإسلامى تؤكد أن السيادة بمعنى السلطة المطلَقة غير المحدودة لا يملكها أحد من البشر. وكل سلطة إنسانية محدودة بالحدود التي فرضها الله لأنه وحده صاحب السيادة العليا ومالك الملك.. ومظهر السيادة الإلهية والتعبير عنها هو كلام الله المنزل في القرآن الكريم وسنة الرسول المعصوم الملهم».

والتوضيح الأخير يشير إلى مبدأ ختم الرسالة الذي يعتبر أهم ركائز العقيدة الإسلامية، ويقفل الباب نهائياً أمام كل مَن يزعم لنفسه الحق في التعبير عن السيادة الإلهية أو السلطة المطلقة بعد وفاة خاتم الأنبياء والمرسلين. وهو أكبر سلاح زود به الإسلام أمته لمقاومة أدعياء الألوهية أو النبوة أو السيادة بعد محمد ﷺ؛ لأن وفاته قطعت عن العالم خبر السماء كما قال عمر بن الخطاب، وأصبح القرآن الكريم والسنة المحمدية هما التعبير الوحيد الخالد عن إرادة الله وشريعته، وكل ما يكملهما من اجتهادات بشرية أو إجماع أو ما يماثل ذلك، إنما يكون علماً وفقهاً أو تشريعاً ثانوياً خاضعاً للأصول والمبادئ والقيود والحدود المستمدة من القرآن الكريم وأوضحتها السنة المطهرة.



من أجل ذلك كان حفظ القرآن وخلوده من أهم الأصول الإسلامية التي تعهّد بها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وكان من أهم أصول التربية والثقافة الإسلامية هو حفظ القرآن الكريم وتلاوته؛ لأنه الدستور الأسمى للبشرية، الصادر عن صاحب السيادة العليا سبحانه وتعالى.



المفكر الإسلامي د. محمد عمارة
رحمه الله*

الفرق بين الشورى والديمقراطية

هناك قضية برزت من خلال الاحتكاك الحضاري بين الإسلام وأمته وبين الفكر الغربي وتجاربه في العصر الحديث، وهي مشكلة موقف الشورى الإسلامية من الديمقراطية الغربية التي تبنتها أحزاب ومدارس فكرية واجتماعية في العديد من البلاد الإسلامية، وهل بينهما -الشورى والديمقراطية- تطابق كامل؟ أم تناقض مطلق؟ أم أوجه للشبه وأوجه للافتراق؟

* د. محمد عمارة، في النظام السياسي الإسلامي، ط١، مكتبة الإمام البخاري/القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٧٣-٨٦.

وبادئ ذي بدء فلابد من التأكيد على حق الأمم والشعوب والحضارات في التمايز والاختلاف في النماذج والخيارات السياسية والثقافية والحضارية، فهذا هو منطق (الليبرالية) في الديمقراطية الغربية، ومنطق (التعددية) التي هي في الإسلام سنة كونية، وقانون حاكم وسائد في كل عوالم المخلوقات؛ فلا حرج ولا ضير إن اختلفت الشورى عن الديمقراطية، أو تمايزت الديمقراطية عن الشورى، المهم هو وفاء كل نموذج بتحقيق المقاصد الإنسانية التي تحددها رؤية الإنسان للكون في كل حضارة من الحضارات وجدارة كل نموذج بتفجير طاقات الخلق والإبداع في هذا الإنسان.



وبعد الاتفاق على هذه (الحقيقة الأولية)، لابد من التنبيه -في الحديث عن علاقة الشورى الإسلامية بالديمقراطية الغربية- على ضرورة التمييز في هذه الديمقراطية بين (الفلسفة) وبين الآليات والخبرات والمؤسسات؛ فالديمقراطية: **نظام سياسي اجتماعي، غربي النشأة، عرفته الحضارة الغربية في حقبتها اليونانية القديمة، وطورته نهضتها الحديثة والمعاصرة، وهو يقيم العلاقة بين أفراد المجتمع والدولة وفق مبدأ المساواة بين المواطنين في حقوق المواطنة وواجباتها، وعلى مشاركتهم الحرة في صنع التشريعات التي تنظم الحياة العامة، وذلك استنادًا إلى المبدأ القائل بأن الشعب هو صاحب السيادة ومصدر الشرعيّة؛ فالسلطة في النظام الديمقراطي هي للشعب، بواسطة الشعب، لتحقيق سيادة الشعب ومقاصده ومصالحه[1].**

---

١ انظر: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت سنة ١٩٨١م.

هذا عن فلسفة الديمقراطية الغربية، أما (النظام النيابي)، الذي ينوب فيه نواب الأمة المنتخبون عن جمهور الأمة، للقيام بمهام سلطات التشريع والرقابة والمحاسبة لسلطات التنفيذ في (الدولة) فهومن آليات الديمقراطية، وتراث مؤسساتها. وبه توسلت تجاربها عندما تعذرت (الديمقراطية المباشرة) التي تمارس فيها الأمة كلها وبشكل مباشر هذه المهام والسلطات، توسلت الديمقراطية الحديثة بهذه (الآلية) إلى تحقيق مقاصدها وفلسفاتها.

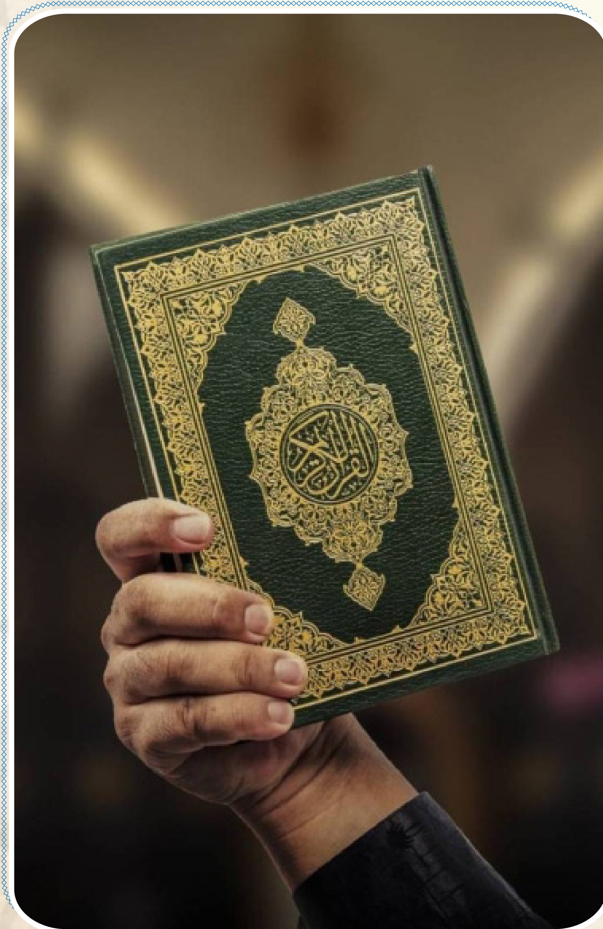


وإذا كان البعض يضع الشورى الإسلامية في مقابلة الديمقراطية -سواء بالتسوية التامة بينهما أو بالتناقض الكامل بينهما- فإن هذا الموقف ليس بالصحيح إسلامياً، فليس هناك تطابق بينهما بإطلاق، ولا تناقض بينهما بإطلاق، وإنما هناك تمايز بين الشورى وبين الديمقراطية، يكشف مساحة الاتفاق ومساحة الاختلاف بينهما.

فمن حيث الآليات والسبل والنظم والمؤسسات والخبرات التي تحقق المقاصد والغايات من كل من الديمقراطية والشورى، فإنها تجارب وخبرات إنسانية ليس فيها (ثوابت مقدسة)، وهي قد عرفت التطور في التجارب الديمقراطية، ومن ثم فإن تطورها وارد في تجارب الشورى الإسلامية، وفق الزمان والمكان والمصالح والملابسات. والخبرات التي حققتها تجارب الديمقراطية في تطور الحضارة الغربية، والتي

أفرزت النظام الدستوري، والتمثيل النيابي عبر الانتخابات، هي خبرات غنية وثروة إنسانية. لا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إنها تطوير خلّاق لما عرفته حضارتنا الإسلامية، مبكرًا، من أشكال أولية وجنينية في (البيعة) و(المؤسسات).

أما الجزئية التي تفترق فيها الشورى الإسلامية عن الديمقراطية الغربية، فهي خاصة (بمصدر السيادة في التشريع الابتدائي)؛ فالديمقراطية تجعل (السيادة) في التشريع ابتداءً للشعب والأمة، إما صراحة، وإما في صورة ما أسماه بعض مفكريها بـ(القانون الطبيعي) الذي يمثل -بنظرهم- أصول الفطرة الإنسانية، ومن ثم، فإن (السيادة)، وكذلك (السلطة) في الديمقراطية، هما للإنسان -الشعب والأمة-.



أما في الشورى الإسلامية، فإن (السيادة) في التشريع ابتداءً هي لله سبحانه وتعالى، تجسدت في (الشريعة)، التي هي (وضع إلهي)، وليست إفرازاً بشرياً ولا طبيعياً، وما للإنسان في التشريع هي سلطة البناء على هذه الشريعة الإلهية، والتفصيل لمجملها، والاستنباط من نصوصها وقواعدها وأصولها ومبادئها، والتفريع لكلياتها والتقنين لنظرياتها، وكذلك، لهذا الإنسان سلطة الاجتهاد فيما لم ينزل به شرع سماوي، شريطة أن تظل السلطة البشرية محكومة بإطار معايير الحلال والحرام الشرعي، أي محكومة بإطار فلسفة الإسلام في التشريع.

ولذلك، كان الله سبحانه وتعالى في التصور الإسلامي، هو الشارع لا الإنسان، وكان الإنسان هو (الفقيه)، لا الله، فأصول الشريعة ومبدؤها وثوابتها وفلسفتها إلهية، يتمثل فيها حكم الله وحاكميته، أما البناء عليها، تفصيلاً وتنمية وتفريعاً وتطويراً واجتهاداً للمستجدات ولمناطق العفو التي هي المساحة الأوسع في المتغيرات الدنيوية، فهو فقه وتقنين، تتمثل فيها سلطات الإنسان، المحكومة بحاكمية الله، وفي هذا الجانب يتمثل الفارق الجوهري والاختلاف الأساسي بين الشورى الإسلامية وبين الديمقراطية الغربية.

النظرة الإسلامية والنظرة العلمانية للكون

ولهذا التمايز والاختلاف -بين الشورى والديمقراطية- صلة وثيقة بنظرة كل من الحضارتين الإسلامية والغربية للكون، ولحدود نطاق عمل وتدبير الذات الإلهية، وحدود تدبير الإنسان، ولمكانته في الكون وللعلاقة بين الإنسان وبين الله.

ففي النظرة اليونانية القديمة، وخاصة عند (أرسطو) [٣٨٤-٣٢٢ ق.م] وهي التي مثّلت تراث النهضة الغربية الحديثة، نجد أن الله قد خلق العالم، وحرَّكه، ثم تركه يعمل وفق طبائعه وقوانينه والأسباب الذاتية المودعة فيه، ودونما تدخل أو رعاية أو تدبير إلهي لحركة هذا العالم، فالعالم هنا، وفي هذه الفلسفة، مستقل بذاته بعد الخلق عن تدبير الله وحاكمية شرائعه السماوية.



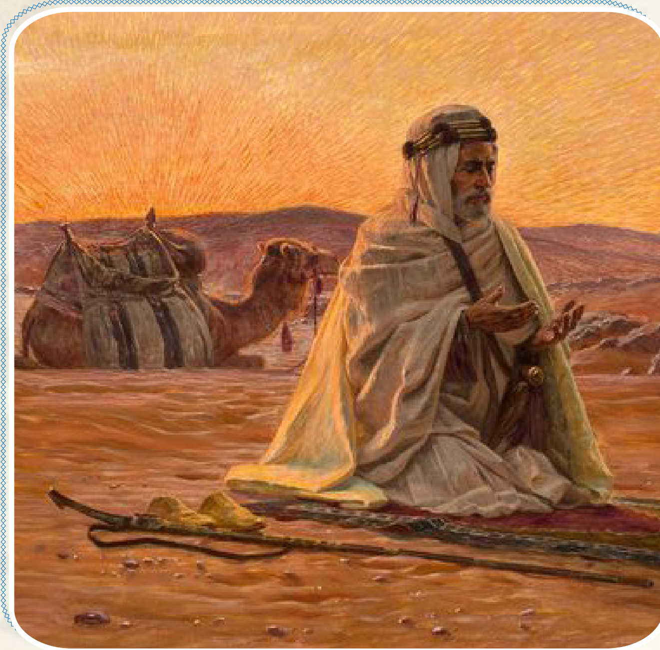
وهذه النظرة لحدود التدبير الإلهي، وجدناها في النهضة العلمانية الغربية الحديثة تعتمد على المبدأ الإنجيلي الذي يجعل ما لقيصر لقيصر وما لله لله، فيفصل بين إطار التدبير الإلهي -الذي وقف عند الخلق وعند خلاص الروح ومملكة السماء- وبين إطار التدبير الإنساني الذي أعطاه السيادة في تدبير العمران الإنساني والملكوت الدنياوي، دونما قيود من الحاكمية الإلهية على ما السيادة والسلطة البشرية.

فكما أن (العالم) -في هذه الفلسفة الغربية للديمقراطية مستقل بذاته عن تدبير خالقه، تدبير الأسباب والقوى الذاتية المودعة فيه، فكذلك الإنسان -في هذه الفلسفة- مستقل بذاته، يدبر الدولة والمجتمع بالعقل والتجربة، دونما حاكمية إلهية ولا رعاية شرعية سماوية، فهو (سيد الكون)، الحر والمختار بإطلاق، ومن هنا كانت له (السيادة) في التشريع، مع (السلطة) في تنفيذ، بتعميم وإطلاق، بل إن له هذا الاستقلال والحرية المطلقة في العلمانية الشاملة بمنظومة القيم والأخلاق.



هذا عن البُعد الفلسفي للرؤية الكونية، ونطاق عمل الذات الإلهية، ومكانة الإنسان في الكون، وحريته وسيادته، في الأساس الفلسفي للديمقراطية الغربية، والتي كانت لذلك علمانية في النشأة والتطبيق.

أما في النظرة الإسلامية فإن الله سبحانه وتعالى، ليس مجرد خالق وفقط، وإنما هو خالق ومدبر، وكما أن خلقه دائماً أبداً، فإن تدبيره دائماً أبداً، وله (حاكمية) في التكوين وفي التشريع، ورعاية لكل عوام المخلوقات. ونحن نقرأ في القرآن الكريم عن نطاق عمل الذات الإلهية: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾. [الشورى: ٢٨]، ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ * قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٤٩-٥٠].



وإذا كان الله سبحانه وتعالى، قد استخلف الإنسان لعمران هذه الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] فإن هذا الاستخلاف قد جعل الإنسان -في التصور الإسلامي- بالمرتبة الوسط، فهو نائب، ووكيل وحر، وقادر، ومستطيع، ومبدع، لكن في حدود الشريعة الإلهية، التي هي بنود عقد وعهد الاستخلاف، نعم إنه ليس المجبَر المهيمن الفاني في الذات الإلهية، لكنه أيضاً ليس سيد الكون، وإنما هو خليفة لسيد الكون، وبعبارة الإمام محمد عبده [١٨٤٩-١٩٠٥م] فإن هذا الإنسان «عبدٌ لله وحده، وسيد لكل شيء بعده»!

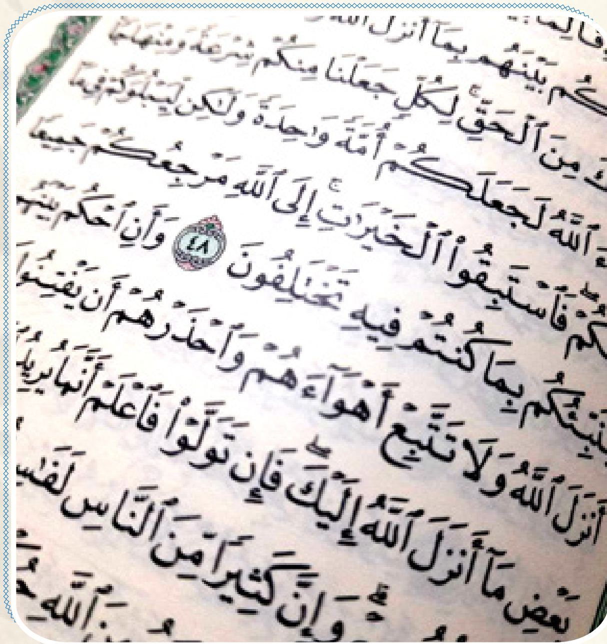
إنه الإنسان، خلقه الله واستخلفه، ولا يخرج من مظلة التدبير الإلهي، بل يجب أن يظل دائماً وأبداً في إطار هذه الرعاية وهذا التدبير، حتى أن عبوديته لله هي قمة حريته، لأنها هي التي تحرره من العبودية لكل الطواغيت، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣] ولذلك كانت شهادة أن لا إله إلا الله جامعة لحرية الإنسان وتحرره، ولعبوديته لله وحده، حتى لكأنهما وجهان لعملة واحدة!

مساحات الاتفاق وتميز الشريعة

تلك هي على وجه الحصر والتحديد، الجزئية الفلسفية التي تمايز فيها الشورى الإسلامية عن الديمقراطية الغربية.. أما ما عدا ذلك، من تأسيس الحكم والسلطة على رضا الأمة ورأي الجمهور واتجاه

الرأي العام، وجعل السلطة في اختيار الحكام، وفي مراقبتهم ومحاسبتهم، وفي عزلهم، هي للأمة، وكذلك اختيار الآليات والنظم النيابية لتكوين المؤسسات الممثلة لسلطات التقنين والتنفيذ والرقابة والقضاء، فإنها على وجه الإجمال مساحة اتفاق بين الديمقراطية الغربية وبين الشورى الإسلامية، وكذلك الحال مع مبدأ ونظام الفصل بين السلطات.. سلطات التشريع والتنفيذ والقضاء، وهو المبدأ الذي تعارفت عليه الديمقراطية الغربية فإنه مما تقبله وتحتاجه الشورى الإسلامية.

بل ربما ذهبت فيه تجربة الحضارة الإسلامية أبعد وأعمق وأفضل مما ذهبت التجارب الديمقراطية الغربية؛ ذلك أن تمييز سلطة الاجتهاد الفقهي في النظام الشورى الإسلامي عن السلطات الرقابية والتنفيذية والقضائية يجعل السلطات في النظام الإسلامي أربعًا بدلاً من ثلاث، كما يجعل سلطة التشريع فوق الدولة، بسبب إلهية الشريعة، الأمر الذي يحرر القانون من سلطان الاستبداد البشري والأهواء البشرية.



وفوق ذلك، يحقق هذا النظام الإسلامي الفصل الحقيقي بين السلطات، ذلك أن التجربة الديمقراطية الغربية، التي آلت فيها سلطة التشريع للبرلمان، قد غدت -من الناحية العملية- سلطة التشريع وسلطة التنفيذ مُتمثلتَين في الهيئة البرلمانية لحزب الأغلبية الحاكم، الأمر الذي جعل الفصل الحقيقي بين سلطتي التشريع والتنفيذ باهتاً إلى حد كبير، أما استقلال سلطة خاصة بالاجتهاد والتقنين، مع التزامها بحاكمية الشريعة الإلهية، فهو الأقرب إلى تحقيق مبدأ الفصل الحقيقي بين السلطات، والأكثر تحقيقاً لسيادة القانون على باقي السلطات.

ولقد أدرك هذه الحقيقة -حقيقة هذا التمايز- بين الشورى الإسلامية وبين الديمقراطية الغربية، في مصدر القانون بكل منهما، العلماء الغربيون الذين خبروا وتخصصوا في الشريعة الإسلامية وفي القانون الروماني، وقارَنوا بين الفقه الإسلامي وبين المدونات القانونية في الحضارة الغربية، أدركوا هذه الحقيقة، ولفتوا إليها الأنظار، وسلطوا عليها الأضواء.



لقد كتب المستشرق (دافيد دي سانتيلانا) [١٨٤٥-١٩٣١م] عن فلسفة التشريع في القانون الوضعي الغربي: «إن معنى الفقه والقانون بالنسبة إلينا وإلى الأسلاف: مجموعة من القواعد السائدة التي أقرها الشعب إما رأسًا أو عن طريق ممثليه. وسلطانه مستمد من الإرادة والإدراك وأخلاق البشر وعاداتهم».

فهو قانون (دنيوي) - أي علماني خالص الدنيوية، ثم استطرد (سانتيلانا) مقارناً هذه الفلسفة العلمانية للقانون في الديمقراطية الغربية، بالفلسفة الإسلامية في التشريع والفقه الإسلامي، فقال: «إلا أن التفسير الإسلامي للقانون هو خلاف ذلك، فالخضوع للقانون الإسلامي هو واجب اجتماعي وفرض ديني في الوقت نفسه، ومن ينتهك حرمته لا يأثم تجاه النظام الاجتماعي فقط، بل يقترف خطيئة دينية أيضًا.

فالنظام القضائي والدين، والقانون والأخلاق، هما شكلان لا ثالث لهما لتلك الإرادة التي يستمد منها المجتمع الإسلامي وجوده وتعاليمه، فكل مسألة قانونية إنما هي مسألة ضمير، والصبغة الأخلاقية تسود القانون لتوحد بين القواعد القانونية والتعاليم الأخلاقية توحيداً تاماً، والأخلاق والآداب، في كل مسألة، ترسم حدود القانون؛ فالشريعة الإسلامية شريعة دينية تغاير أفكارنا أصلاً»[٢].



وذات هذه الحقيقة -حقيقة اختلاف فلسفة الشورى وقانونها الإسلامي عن الديمقراطية وقانونها الوضعي العلماني- يؤكد عليها المستشرق السويسري (مارسيل بوازار)، فيقول عن اختلاف المصدر والمقاصد بينهما: «ومن المفيد أن نذكر فرقاً جوهرياً بين الشريعة الإسلامية والتشريع الأوربي الحديث، سواء في مصدريهما المتخالفين أو في أهدافهما النهائية، فمصدر القانون في الديمقراطية الغربية هو: إرادة الشعب، وهدفه: النظام والعدل داخل المجتمع. أما الإسلام، فالقانون صادر عن الله، وبناء عليه يصير الهدف الأساسي الذي ينشده المؤمن هو البحث عن التقرب إلى الله، باحترام الوحي والتقيد به. فالسلطة في الإسلام تفرض عدداً من المعايير الأخلاقية، بينما تسمح في الطابع الغربي أن يختار الناس المعايير حسب الاحتياجات والرغبات السائدة في عصرهم»[٣].

هكذا شهد العلماء الخبراء الغربيون بالتمايز في البعد الفلسفي بين الشورى الإسلامية وفقهها وبين الديمقراطية الغربية وقانونها.

---

٢ سانتيلانا، القانون والمجتمع، ضمن كتاب: تراث الإسلام، ص٤١١، ٤٣٨، ٤٣١، ترجمة: جرجيس فتح الله، طبعة بيروت، سنة ١٩٧٢م.

٣ لواء أحمد عبد الوهاب، الإسلام في الفكر الغربي، نصوص ص٨١ – ٨٣، طبعة القاهرة، سنة ١٩٩٣م.

بين كمال الشورى وقصور الديمقراطية

إن الشورى في حقيقتها هي اسم من (المشاورة)، والمشاورة هي استخراج الرأي فهي في حد ذاتها أدخل في (الآليات) آليات استخراج الرأي، وهي بهذا الاعتبار لا يمكن أن تكون نقيضاً لآليات الديمقراطية، أما التمايز بينهما فإنه يأتي في الموضوع الذي نُعْمِلُ فيه هذه الآليات، وفي نطاق عمل هذه الآليات، فعلى حين لا تعرف الديمقراطية حدودًا إلهية لسلطات عمل وإعمال آلياتها، تميز الشورى الإسلامية بين نطاقين من (الأمر)، أمر هو لله، أي: تدبيره الذي يختص به سبحانه، (وأمر)، أي: تدبير هو في مقدور الإنسان، وفيه تكون شوراه.

وفي القرآن الكريم عن (الأمر) الأول: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الشورى: ٢٨] وعن الأمر الثاني: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وبحكم خلافة الإنسان لله سبحانه وتعالى، فإن (أمره، وتدبيره) أي حاكميته الإنسانية، محكومة بإطار أمر الله (أمر الله، وتدبيره) التي هي حاكمية الله وحدود شريعته الإلهية.. ففي المرجعية وفي الفلسفة وفي الحدود وفي المقاصد يرِد التمايز بين الشورى الإسلامية وبين الديمقراطية الغربية، وليس في الآليات والمؤسسات، والنظم، والخبرات.

إن الديمقراطية -كفكر وضعي وفلسفة دنيوية- لا تمد بصرها إلى ما هو أبعد من صلاح دنيا الإنسان، بالمقاييس الدنيوية لهذا الصلاح، على حين نجد الشورى، كفريضة إلهية، تربط بين صلاح الدنيا وسعادة الآخرة، فتعطي الصلاح الدنيوي بعداً دينياً، يتمثل في المعيار الديني لهذا الصلاح، مع ضرورة التنبيه والتأكيد على أن الاستبداد مفسد للدنيا والآخرة جميعاً، ذلك أن «نظام الدين -كما يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي [٤٥٠-٥٠٥هـ/ ١٠٥٨-١١١١م]- لا يحصل إلا بنظام الدنيا، فنظام الدين، بالمعرفة والعبادة، لا

يتوصل إليهما إلا: بصحة البدن، وبقاء الحياة، وسلامة قدر الحاجات، من: الكسوة، والمسكن، والأقوات، والأمن، فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية، فنظام الدنيا شرط لنظام الدين»[٤].

فحتى لو وقفت فوائد الديمقراطية عند صلاح الدنيا، فيجب عدم الاستهانة بذلك، وخاصة إذا كان البديل هو الاستبداد، المفسد للفرد والمجموع، وللدين والدنيا جميعاً!

وأخيراً..



فسواء أكان الأمر أمر الشورى الإسلامية، أو أمر الديمقراطية الغربية، فإن هناك فارقاً بين (المثال) وبين (الواقع) عند الممارسة والتطبيق، وإنها لحكمة إلهية أن تظل التطبيقات لكل المبادئ والفلسفات دون (المثال) الذي يصور الفكر لهذه المبادئ والفلسفات، وذلك حتى يظل السعي الإنساني دائبًا ودائمًا على طريق الاقتراب (بالواقع) من (المثال)؛ فينفسح الأمل دائمًا وأبداً أمام التسابق الإنساني على طريق التقدم والارتقاء، وإلا فإن حقق الإنسان كامل المثال لانتهى (جدول أعمال) الحياة الإنسانية، وحلّ القنوط محل التطلع لتحقيق المزيد والمزيد من الآمال.

لقد كانت تطبيقات الشورى الإسلامية في تاريخ الأمة والحضارة الإسلامية، أدنى بكثير جداً من (مثال) هذه الشورى في الفكر الإسلامي، وكذلك حال التطبيقات الغربية للديمقراطية، لم تمنع هذه الحضارةَ

---

٤ الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص١٣٥، طبعة: مكتبة ومطبعة صبيح، القاهرة- دون تاريخ.

الديمقراطيةُ من إنتاج العنصرية، والحروب الدينية، والقومية، والاستعمارية والنظم الفاشية والحروب الكونية، التي جعلت هذه المجتمعات الديمقراطية تتفوق على وحشية الإنسان البدائي في الإبادة والتدمير، ولم تمنعها من أثرة الرأسمالية المتوحشة التي جعلت وتجعل ٢٠% من البشر هم سكان الشمال الديمقراطي يستأثرون بـ ٨٦% من خيرات العالم، تاركين ١٤% من ثروات العالم لـ ٨٠% من السكان.

ناهيكم عن أن هذه التطبيقات الغربية للديمقراطية لم تمنع من أن تكون التجارة الأولى للدول الديمقراطية هي تجارة السلاح، تليها تجارة المخدرات، تليها تجارة الدعارة!! ولم يمنعها من أن يكون ما يُنفق على القطط والكلاب والخمور والترف المستفز أضعاف أضعاف ما يُنفق على الصحة والغذاء والتعليم.



فلا الشورى تُمثل الوصفة السحرية للتقدم والإصلاح، ولا الديمقراطية هي الحل السحري لمشكلات المجتمعات المعاصرة، وإنما الحل هو الكدح الإنساني كي تكون التطبيقات -للشورى، أو الديمقراطية- أقرب ما تكون إلى تحقيق إنسانية الإنسان.



د. نعمان عبد الرزاق السامرائي

رحمه الله*

كيف تميّز الحُكم الإسلامي عن غيره؟

لقد جاءت اليهودية ديانة قومية، فهي لشعب بعينه، اختاره الله من بين شعوب الأرض، وقد ورد في التوراة في (سفر التثنية ٧: ٦-٧): «... لأنك أنت شعب مقدَّس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض». ويقول (ديفيد لانداو) في كتابه القيم (الأصولية اليهودية) ناقلاً نصاً عن التلمود[1]: "هؤلاء الذين يعيشون على أرض إسرائيل لهم إله، أما الذين يعيشون خارجها فليس لهم إله». والإله هو رب اليهود أو رب الجنود، لكن لم يوصف بالتوراة مثلاً برب العالمين.

* د. نعمان عبد الرزاق السامرائي، النظام السياسي في الإسلام، ط٢، ١٤١٨هـ، الرياض، ص١٨-٢٩.

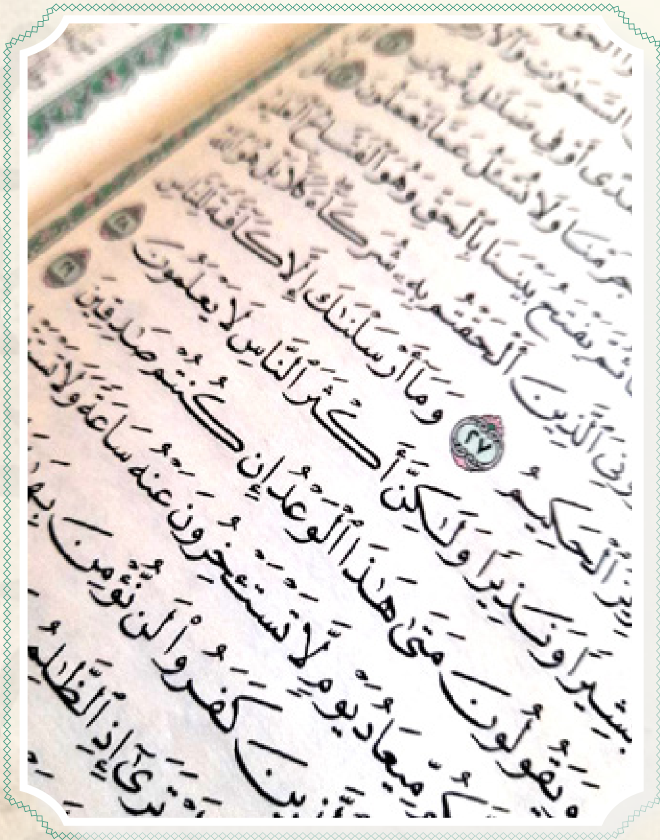
١ الأصولية اليهودية، ترجمة مجدي عبد الكريم، ص٤٠١، مكتبة مدبولي.

 واليهودي يحافظ على يهوديته ولو تحول إلى دين آخر، أو صار ملحداً، فاليهودية قومية اختلطت بالدين، أو دين تحول إلى قومية، وكلما التقى يهودي بآخر سأله: من أي الأسباط أنت؟! فالديانة اليهودية ديانة قومية، ينقصها التوجه الكوني للبشر ككل، وهذا ما يميز الإسلام والنصرانية في هذا الجانب.

وأما النصرانية فهي دين وعظ وإرشاد؛ يقول السيد المسيح عليه السلام: «إنما أرسلت لهداية خراف بني إسرائيل الضالة». وقد مكث حتى رفعه الله يعظ ويخطب، ولم يعرف السلطة يوماً من الأيام، ولا عرفت النصرانية السلطة إلا بعد أن تنصّر الإمبراطور (قسطنطين) في القرن الرابع للميلاد وصبغ الدولة بطلاء نصراني خارجي؛ فالنصرانية عقيدة بلا شريعة ولا نظام حكم.

أما الإسلام فجاء بأمرين:

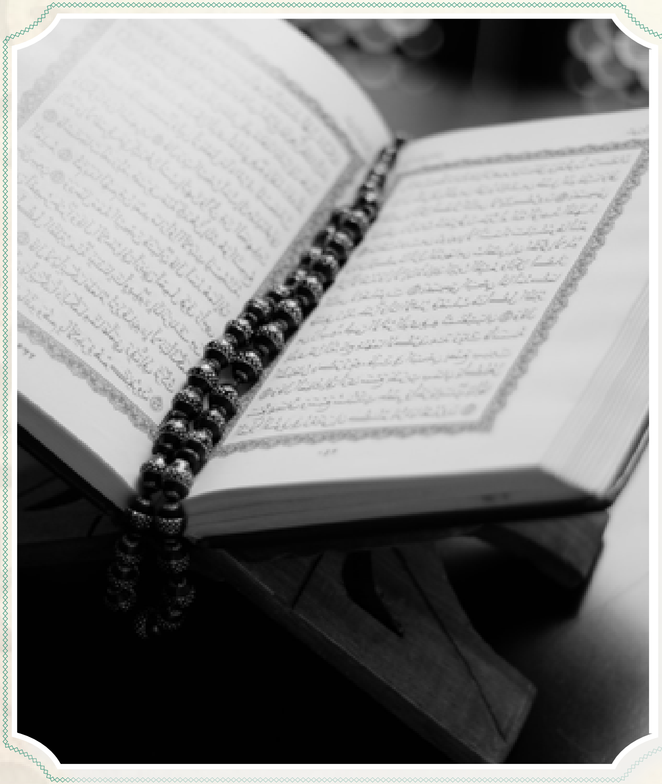
جاء بعقيدة عامة موجهة إلى البشر كافة



فكل إنسان يقبلها يصير مسلماً، ولا يطلب منه أكثر من التلفظ بالشهادتين، فالإسلام عقيدة كونية موجهة للبشر كافة، وهكذا اختلف الإسلام عن اليهودية تلك الديانة العنصرية القومية، التي تعتبر كافة البشر نجاسات لا يحسن التعامل معها، جاء في أسفار (عزرا) وصف لشعوب بكاملها بأنها

«نجسة» وقد تنجست أرضهم كذلك، وينتهي السفر بمناجاة: «... أفنعود ونتعدى وصاياك ونصاهر شعوب هذه الرجاسات، أما تسخط علينا حتى تفنينا، فلا نكون بقية ولا نجاة». (عزرا ٩: ١٥). فمن يعتقد أن البشر أنجاس، وأنه من شعب اختاره الله، فكيف يدعو هؤلاء (الكويم) لعقيدته ودينه؟! إن اليهودي حتى اليوم يعتقد أن دمه يختلف عن دماء كافة الشعوب، لذا فهو لا يقبل دم إنسان غير يهودي، ولا يعطي دمه لغير يهودي. فالإسلام تميز في توجهه الكوني، وعقيدته المفتوحة على كل الشعوب والعصور.

أما الأمر الثاني: فقد جاء الإسلام بالحكم



في البداية كان القرآن ينزل بالعقيدة، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، راح يمارس الحكم، وقد وقّع معاهدة مع يهود المدينة، اعترفوا بموجبها بأن كل اختلاف ينبغي أن يُعرض عليه، وأن لا يغادر أحد المدينة إلا بإذن منه، وأنه المسؤول عن توفير الأمن لكل سكان المدينة، إلى غير ذلك من النصوص. ويمكن أن يلاحظ هنا أن رسول الله ﷺ لم يكن مجرد واعظ، بل كان الحاكم الفعلي الذي يعلن الحرب، ويقود الجيوش، ويوقع المعاهدات، ويقيم الحدود والعقوبات، ويجبي الأموال وينفقها، ويقضي بين الناس ويعلمهم، وكل هذه الأمور من سلطات رئيس الدولة حتى اليوم.

الأمر الآخر الجدير بالذكر أن القرآن نزل بالعقيدة ثم جاءت التشريعات والنظم متأخرة، ومنها نظام الحكم، فكانت الدولة تبعاً للدين، والدين هو الذي رسم نظام الدولة، لذا ظلت (الشرعية) للدولة ونظام الحكم

ترتبط بالدين. أما الحال في النصرانية فجاء على غير ذلك، فقد كان عمر الإمبراطورية البيزنطية قروناً، حين حولها الأمبراطور قسطنطين من الوثنية إلى النصرانية، فالدولة سابقة ومتقدمة على الدين. وحين تنصرت الدولة، لم تتبدل التشريعات ولا المؤسسات، لقد كانت النصرانية مجرد طلاء خارجي، حتى قال القاضي عبد الجبار: «إن الروم لم تتنصر، ولكن النصرانية ترومت». وقد بقيت تعاليم المسيح مع التشريعات والمفاهيم الوثنية جنباً إلى جنب، دون امتزاج، لذا سرعان ما حصل الانفصال، وجاءت العلمانية.

فالإسلام ثبت العقيدة والعبادة، ثم جاءت الدولة بعد ذلك، أما النصرانية فلم تعرف السلطة، ولم يمارس السيد المسيح الحكم يوماً، بل نُقل عنه قوله: «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله». فإن صحّ هذا عنه، فهو التبرؤ من السلطة والاكتفاء بالدعوة والإرشاد والوعظ.

لقد جاء الإسلام بعقيدة كونية مفتوحة، وسلطة واضحة المعالم، حتى لقد أجمع المسلمون على وجوب نصب الخليفة وإن جرى اختلاف في تعيين الأفضل. فالإسلام يتميز عن الديانتين -اليهودية والنصرانية- بالجمع بين العقيدة الكونية والسلطة الحاكمة.

من خصائص النظام السياسي الإسلامي

كتب الأستاذ الدكتور حامد ربيع بحثاً مسهباً عن خصائص النظام أو النموذج السياسي الإسلامي، وجدت من المفيد تلخيصه على الوجه التالي.. وقبل الدخول في صلب الموضوع، أجد من المناسب أن أنوه بأن دراسة د. ربيع ركزت على التطبيق العربي، فذكر ستة عناصر:



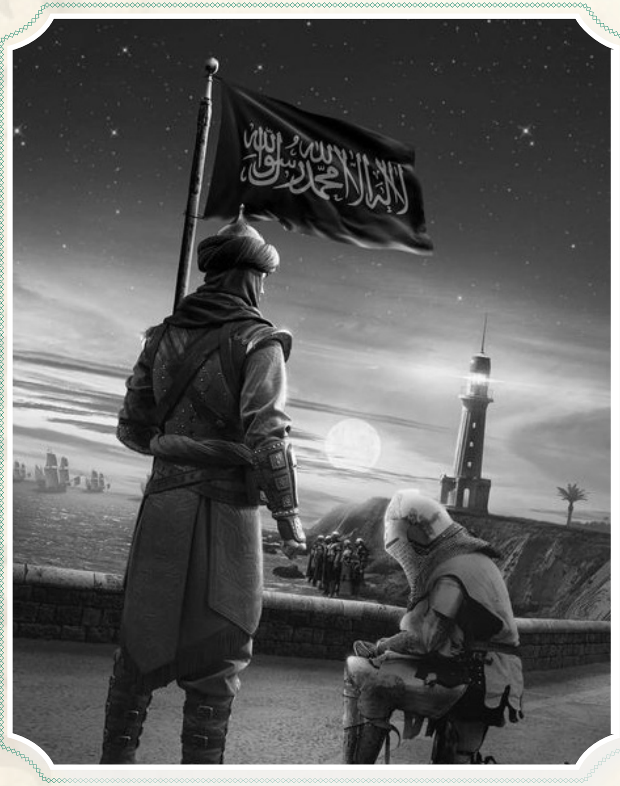
١ **سيادة الأخلاق ووحدة قيم الممارسة؛** فالربط بين الأخلاق والممارسة واضح جداً في النظم الإسلامية عموماً، والنظام السياسي على وجه خاص، لذا فالفصل المعروف «دع ما لقيصر القيصر وما لله لله» هذا الفصل غير مقبول في الإسلام. ولا يقبل أن تكون الحركة والممارسة إلا على أساس خلقي، ومن هنا جاء الرفض في الفصل بين الحياة الخاصة، والحياة العامة، فمن لا يصلح في الحياة الخاصة، فلا موضوع له في الحياة العامة، ويستشهد لذلك ما قاله الماوردي -الفقيه الشافعي- جاء في الحديث: «أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك» فشرط الولاية العامة يكون بتحقق مواصفات الصلاحية للولاية الخاصة، وما ينطبق على الفرد العادي ينطبق على الحاكم، وهذه الممارسة لا تقف عند الفرد المسلم، أو حتى الذمي، بل تذهب بعيداً لتشمل غير المسلم، حتى في حالة الحرب، فلا يحق الغدر بأحد، ولا الهجوم على غرة، ولا قتل الجريح ولا المرأة ولا المنقطع للعبادة... إلخ.

٢ **النظرة إلى الحياة الدنيوية على أنها معاناة،** وكذلك الحكم، ومثله الخضوع للحاكم، هذه النظرة تدفع لإخضاع المواطن لامتحان المفروض أن ينتهي بإثبات القدرة والصلابة، بحيث يستحق أن يوصف بأنه «مؤمن»، وهكذا تصبح السلطة تكليفاً لا تشريفاً، وواجباً قبل أن تكون حقاً. وواجب المواطن أن ينصح لحاكمه، وأن يقوّمه « كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته...»، وأن من أفضل الجهاد عند الله، كلمة حق عند سلطان جائر.



٣ **مهمة الحكم في الإسلام حراسة الدين، والدعوة إليه**[٢]؛ «فالدولة وظيفتها الدفاع عن العقيدة، وأساس شرعية السلطة، ومحور وجودها نشر الدعوة، الدين والسلطة يتفاعلان كحقيقة ديناميكية واحدة.. وهكذا فإن شرعية السلطة هي الدين، وأداة الدين هي السلطة. إن واجب الدولة هو أن تدعو إلى الحق، وأن تدعو من خلال الإقناع والاقتناع، فلا تُكره أحداً على الاقتناع، هذا المفهوم كان لابد وأن يتحول إلى قواعد للممارسة، في كل ما له صلة بنظرية التعامل السياسي في الحضارة الإسلامية».

إن هذه المهمة لا تجعل من الدولة الإسلامية حكومة (ثيوقراطية) بل دولة «فكرة» تعمل جاهدة لخدمتها ونشرها في العالم، ومن هنا نفهم مغزى تلك الرسائل التي بعث بها رسول الله ﷺ لحكام زمانه، كما نفهم الدافع وراء حروبه، فالكل يستهدف تبليغ الدعوة، ونشر الإسلام، ليس أكثر.



٤ **إن النظام السياسي الإسلامي يصعب وصفه بمصطلحات العصر**، مثل الديمقراطية أو حكم الفرد أو الحكم الأتوقراطي (حكم النخبة)، لكن يمكن وصفه بأنه نظام يسعى جاهداً لسيادة القيم، والتي لا تنبع من إرادة الحاكم، بل من الشريعة ونصوصها[٣] «لو نظرنا إلى النموذج الإسلامي -بهذا الخصوص- لوجدنا (القيم) وهي أبنية سماوية أخلاقية، تسود الحاكم قبل المحكوم، وهي تمثل جوهر عقد «البيعة»، وتعطي المحكوم حق رفض الطغيان... فتخريج الأحكام ليس من

---

٢ سلوك المالك في تدبير الممالك، ص٣٨.

٣ سلوك المالك في تدبير الممالك، ص٨٣.

وظيفة الحاكم، وما ينسب إلى الحكام، من قبيل سن القوانين بالمعنى المتعارف عليه في التقاليد الغربية، يكاد أن يكون لا وجود له، إن التشريع من عمل وحق الفقيه، ولا سلطان على الفقيه في استخراج الأحكام إلا ضميره... فلنتذكر أحمد بن حنبل، وقبله أبا حنيفة، وبعدهما ابن تيمية على سبيل المثال، والواقع أن هذه الخصائص كثيراً ما يغفل عنها الفقه المعاصر، عندما يصف الخليفة بأنه كان يجمع السلطتين: الدينية والمدنية، من منطلق التصور الذي فرضته نماذج الممارسة في التراث الغربي الكاثوليكي» أ. هـ.

٥ **تقوم الحضارة الإسلامية على عقيدة الإسلام،** والتي تقوم على مبدأ الارتقاء الديني، وتطعيم مبدأ العدالة بمبدأ المساواة، وصولاً إلى نتيجة باهرة هي: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى». المسلمون سواسية، لكن الاختلاف بين المسلم وغيره، فالإيمان بالله وكتبه ورسله مستويات، وكذلك عدم الإيمان مستويات، فهناك أهل الكتاب وهناك عبدة الأوثان والأصنام، وهناك بين المسلمين التقي والأقل تقوى. إذن فهناك تمييز من منطلق «التقوى»، لكن لا أثر له أمام القضاء، كذلك فإن الإسلام هو خاتم الأديان، وبه ختمت رسالة السماء، ومحمد ﷺ خاتم المرسلين.

٦ **جاء الإسلام بالحكم، وجوّز استعمال القوة،** وإن ربط الإيمان بالقناعة وليس بالإكراه، لكنه وجد الدول تملك القوة فتستعملها ضد نشر الإسلام، لذا لابد من إزالة هذه القوة بقوة إسلامية، لذا فإن العرض الأول من المسلمين يكون بالدعوة للإسلام «أَسْلِمْ تَسْلَمْ»، وقد قبلت اليمن الإسلام، لذا لم تعرف القتال، ورفضت مكة الإسلام، فسيّر رسول الله ﷺ جيشاً بلغ تعداده عشرة آلاف من الصحابة، حتى فُتحت[٤]. «إن الإسلام يؤمن بأن الحق الذي لا تسانده قوة، لا قيمة له، وأن على الدولة أن تحيط نفسها بسياج من الأدوات الكفيلة بغرض الاحترام والهيبة، على كل من يتعامل مع النموذج الإسلامي للممارسة السياسية...».

هذه بعض خصائص النظام السياسي الإسلامي، كما ذكرها د. حامد ربيع. لخصتها بأمانة، مع ذكر بعض الأمثلة فقط.

٤ المرجع السابق، ص٨٨.

النظام السياسي الإسلامي والنظم الأخرى

الدكتور حامد ربيع -أستاذ علوم سياسية- قام بدراسة النظم التي عرفها العالم قديماً وحديثاً، ثم حاول أن يوضّح طبيعة النظام السياسي الإسلامي، وموقعه من هذه النظم، وقد أحصى النظم على الوجه التالي[٥]:

١. النموذج اليوناني.
٢. النموذج الروماني.
٣. النموذج الفارسي.
٤. النموذج الكاثوليكي.
٥. نموذج الدولة القومية.

وحاول بيان سمة كل نظام ثم تحدث عن النظام السياسي الإسلامي.

أولاً: النموذج اليوناني

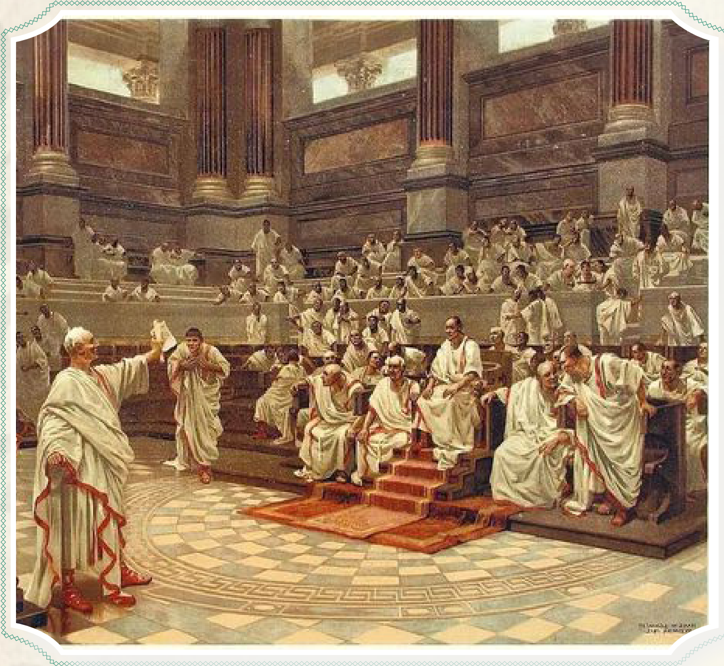


ويتمثل بالمدينة الدولة، والذي كان سائداً ما بين القرنين (٧ - ٥) قبل الميلاد. وميزته الظاهرة الفكر المثالي المجرد على حساب الحركة؛ لذا فقد فشل في إيجاد حلول لمشاكل الحياة، كما فشل في إيجاد دولة تعبر عن حقيقة العصر وآمال الشعب، وكان البحث عن السعادة هو محور المفاهيم السياسية، وهكذا جرى الخلط بين النظام السياسي وغيره، وخير من يمثل هذا النموذج أفلاطون في كتابه (الجمهورية).

---

٥ سلوك المالك في تدبير الممالك ١/١٣- ١٧/ ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

ثانياً: النموذج الروماني



وقد كان طغيان الحركة هو المحور الذي يسيطر على الممارسة، والحركة تعني القوة، والقوة تعني نشر النفوذ، ليتمكن مجتمع من السيادة والسيطرة على المجتمعات الأخرى، وهذا يتطلب الحركة والقوة، لذا راح هذا النموذج يضرب الرق على الشعوب المغلوبة، ودخل في سلسلة من حروب لا نهاية لها، مع الفرس أولاً، ومع المسلمين بعد ذلك.. لكن هذا النموذج كان يتحدث عن الحريات وحقوق الفرد. لكنه لم يقدم بالفعل سوى نموذج الدولة المستبدة المسيطرة، التي غرقت بالحروب، وظلت تمجد القوة حتى سقطت.

ثالثاً: النموذج الفارسي

يقوم على أساس اختفاء حقوق المحكوم إزاء الحاكم، الحاكم إله سياسي، والمحكوم لا وجود له، لذا انتهى إلى اللا أخلاقية والفشل في صنع دولة مسيطرة، لقد أطلق سيادة الحاكم، ولم يسمح للفرد بأي وجود سياسي، وقد خاطب أول سفير مسلم الفرس قائلاً بأنهم جاءوا لإخراج العباد من عبودية البشر إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

رابعاً: النموذج الكاثوليكي خلال العصور الوسطى



وهو نموذج معقّد بحسب طبيعته وعلاقاته المدنية، وعدم وضوح خصائصه الحركية، واختلاطه بنماذج أخرى، والسمة البارزة هي التعصب الديني المطلق ورفض كل تصور مخالف، والطرد من الكنيسة لكل من لا ترضى عنه، والسمة الثانية هي الاستفزاز لكافة المخالفين، ومن مفرزات التعصب والاستفزاز الحروب الصليبية ومحاربة اليهود، وفي داخل المجتمع تمثل سوء العلاقة بين الكنيسة والنظم الإقطاعية والملكية، ومن ردود الفعل لهذا النموذج، جاءت الدولة القومية.

خامساً: الدولة القومية



والسمة البارزة هي سيادة الفرد، وجعل حقوق المواطن تحتل المركز الأول والأخير للوجود السياسي. وأنه لا وسيط بين المواطن والدولة، فالعلاقة مباشرة، ولا يسمح بأي علاقة منافسة، وقد عمل هذا النموذج على محاصرة الكنيسة في أضيق دائرة، وهي دائرة العبادة، وما عداها فهي للدولة، وقد انتهى بتأليه الدولة، باسم حقوق الفرد والمحافظة عليها. ومن مفرزات هذا النموذج التوسع الاستعماري والانتشار في كافة القارات، ونهب خيراتها، وقهر شعوبها، وجعلها أسواقاً لبضائعه وسلعه، والتحكم في دول العالم بهدف تأمين مصالح دول هذا النموذج.

خصائص النموذج الإسلامي

أما أهم خصائص النموذج الإسلامي فهي:



١. إن العلاقة بين الحاكم والمحكوم مباشرة، لا تعرف الوسيط، ولا يفصل بين الاثنين أية عقبة اجتماعية أو نظامية.

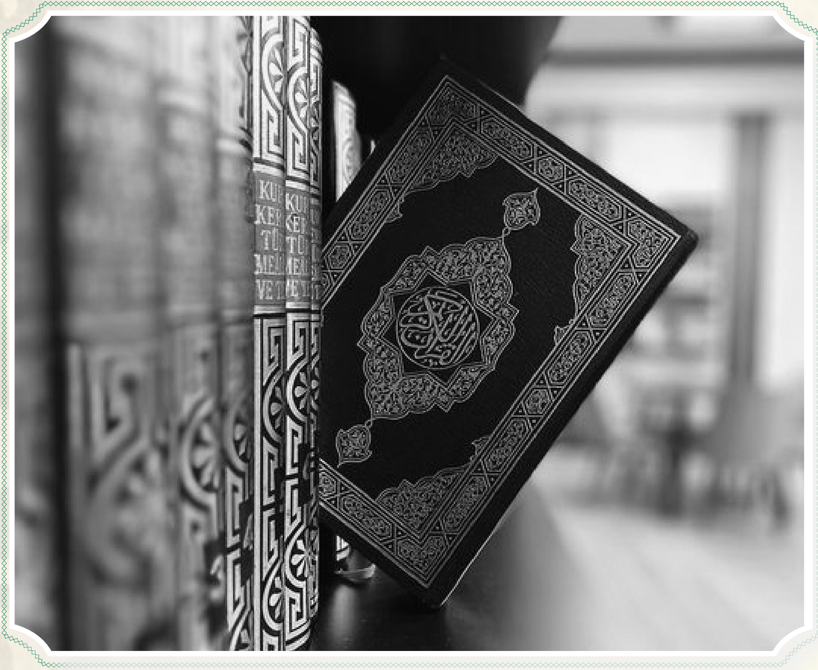
٢. العلاقة السياسية تنبع من مفهوم العلاقة الدينية، وتتحدد بها، فعلاقة المسلم بكتاب الله وتعاليمه هي التي تحدد خصائص العلاقة السياسية، فالولاء للدين هو المقياس، فالأكرم هو الأتقى.

٣. إن العلاقة كفاحية: فكل مواطن مطالب بالدعوة لله، ونشر تعاليم الإسلام، والدفاع بكل الوسائل المشروعة، والدولة تشاركه في ذلك.

٤. وهذه العلاقة مطلقة غير مقيدة بفئة ولا طبقة، والتمييز بين الحاكم والمحكوم هو تمييز وظيفي، لا علاقة له بالانتماء ولا بالوراثة، وحين اقترب نظام الحكم من النموذج الفارسي، لم يصل إلى المبالغات التي عرفتها تقاليد الحكم الفارسي والطبقية وتأليه الحاكم.

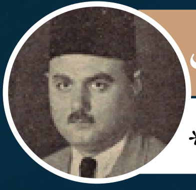
٥ إن العلاقة السياسية ظلت تمتاز بالبساطة، فلم تعرف التجريد المثالي الذي عرفه النموذج اليوناني، ولا التركيب النظامي الذي عرفه النموذجان الروماني والكاثوليكي، ولا الاستيعاب المطلق الذي سيطر على النموذج القومي.

٦ إن النموذج الإسلامي يجمع بين الفكر والحركة، ويقيم توازناً بين الحاكم والمحكوم. وفي نفس الوقت لا يتجاهل أن السيادة بحاجة للقوة، وأن القوة تحمي الشرعية، وإن كانت لا تصنعها. وإن شرعية الحكم تستمد من تمسكه بالشريعة، وتذهب الشرعية بالخروج على الشريعة.



٧ في النموذج الإسلامي كان الدين هو الأساس المتقدم، والسياسة تابع له. وفي جل النماذج كانت السياسة هي المنطلق الأول، والدين أداة من أدوات السياسة. ومن مفارقات بعض النماذج، أنه يحارب الدين داخل مجتمعه ويسعى ويعاون على نشره في الخارج (كما في النموذج القومي)؛ فالغرب يحارب الدين داخلياً، ويسهم في نشره في الخارج، لأنه يأتي بالولاء للسادة، ويربط الأنصار الجدد بهم.

كلمة أخيرة: إن هذه النماذج لا يخلو كل منها من إيجابيات وحسنات.



الأستاذ حسن أحمد الخطيب

رحمه الله*



الشريعة الإسلامية

أعدل الشرائع وأحكمها

الشريعة الإسلامية أعدل الشرائع وأحكمها، أساسها رعاية المصالح ودرء المفاسد، وغايتها إسعاد البشر في معاشهم ومعادهم، ولا غرو.. فهي قبس من نور هداية الله ومشتقة من سنا وحيه، ومرآة مجلوة انعكست فيها سمات الرسالة وإرشاد النبوة، ثم هي إلى ذلك مجلى آراء العلماء المجتهدين، وميدان لذوي الأفكار الحرة المخلصة لله وللحق، استهدوا بهديه ومشوا وفي يدهم مصباح هدايته، فعرفوا منه وجوه المصالح العامة والحِكم التشريعية السامية، وبها حكموا على الحادثات الجزئية والمسائل الفرعية، فاستقام لهم من ذلك كله تشريع قيم، واستوى منه قانون سماوي سداه جلب المصالح ولُحمته درء المفاسد.

---

* الشيخ حسن أحمد الخطيب، المدرس بكلية دار العلوم العليا، كتاب: التشريع الإسلامي، ط: مطبعة العلوم بشارع الخليج بجنينة لاظ، ١٩٣٦م، ص٣-١٠.

انتظم جميع ما يحتاج إليه الأفراد والأمم؛ من عبادات ومسائل مدنية وتجارية وشئون جنائية وأحكام سياسية واجتماعية، فقد نظم علاقة العبد بربه، وحدد علاقة الفرد بأسرته ومجتمعه، وبيّن علاقة المجتمع بالفرد، ووضع أساس النظم والعلاقات بين الأمم بعضها وبعض، ورائده في ذلك كله تحقيق العدل المطلق والمساواة التامة بين الناس كافة، لا فرق بين عربي وعجمي، ولا بين أسود وأبيض، ولا بين ملك وسوقة، ولا بين ضعيف وقوي.. لا مقصد له إلا إقرار الحق والمعدلة..



ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٨]. وكان على رسول ﷺ وسق من تمر لرجل من بني ساعدة فأتاه يقتضيه، فأمر رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار أن يقتضيه فقضاه تمراً دون تمره، فأبى أن يقبله، فقال: أترد على رسول الله ﷺ؟ قال: «نعم، ومن أحق بالعدل من رسول الله»؟ فاكتحلت عينا رسول الله ﷺ بدموعه ثم قال: «صدقَ، ومَن أحق بالعدل مني؟ لا قدّس الله أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من شديدها ولا يتعتعه»... إلخ[1].

وجاء في كتاب عمر رضى الله عنه إلى أبي موسى الأشعرى: «آسِ بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك، حتى لا ييأس الضعيف من عدلك ولا يطمع الشريف في حيفك». وفسّر الميزان بالعدل في قوله

---

[1] رواه الطبراني في الأوسط والكبير.



تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧]، وقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

أصول التشريع الإسلامي

استنبط جمهرة فقهاء السلف من الصحابة والتابعين ومَن تلاهم من علماء التشريع الإسلامي المجتهدين، ما ذهبوا إليه من الآراء والأحكام من أصول أربعة:

الأول: القرآن المجيد

ولا شك أن الآيات القانونية أو كما يسميها الفقهاء «آيات الأحكام» ليست كثيرة في القرآن؛ إذ فيه نحو ستة آلاف آية ليس فيها من الأحكام العملية من دينية وقضائية وسياسية ما يبلغ عُشر آياته. ورأى بعضهم أنها لا تكاد تزيد على مائتين[٢]، وعدّها بعضهم خمسمائة[٣].

تعرّض القرآن فيها لجميع ما يصدر عن الإنسان من العبادات، من صلاة وصوم وحج وزكاة، إلى الأمور الجنائية مِن قتل وسرقة وقطع طريق وزنا، إلى ما يتعلق بالأسرة من زواج وطلاق وميراث، إلى الأمور المدنيّة من إجارة وبيع وربا، إلى الشئون الدولية كالقتال وبيان علاقة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم وما يتصل بذلك من العهود وغنائم الحرب.

٢ تاريخ التشريع، للخضري، ص٤٥.

٣ الوحي المحمدي، ص٢٢٥.

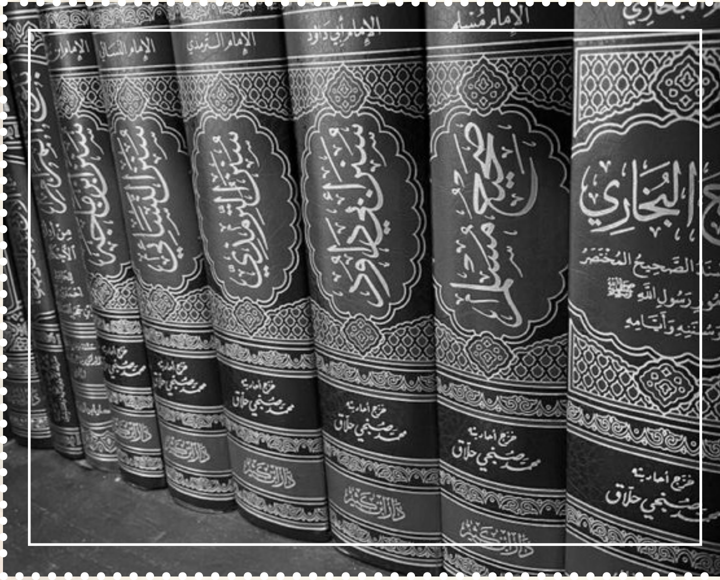
وأنت إذا نظرت إلى الصفة الغالبة في تشريع القرآن وجدته لا يتعرض كثيراً للتفاصيل الجزئية، وإنما يتعرض غالباً للأمور الكلية، كما أنك تجده في تشريعه كله مصلحاً مجدداً، هدم كثيراً من عادات الجاهلية وتقاليدها في زواجهم وطلاقهم وإرثهم ومبايعاتهم الربوية، وحسبك أنه لاحظ في كل ما جاء به إقرار العدالة والمساواة، والوفاء بما يلزم للجسم والروح معاً في حدود الاعتدال لا إفراط ولا تفريط، وفي دائرة المبادئ السامية والفضائل الروحية. وحجيّة القرآن مُجمع عليها، لم يخالف في ذلك مخالف من المسلمين.

الأصل الثاني: السُّنة

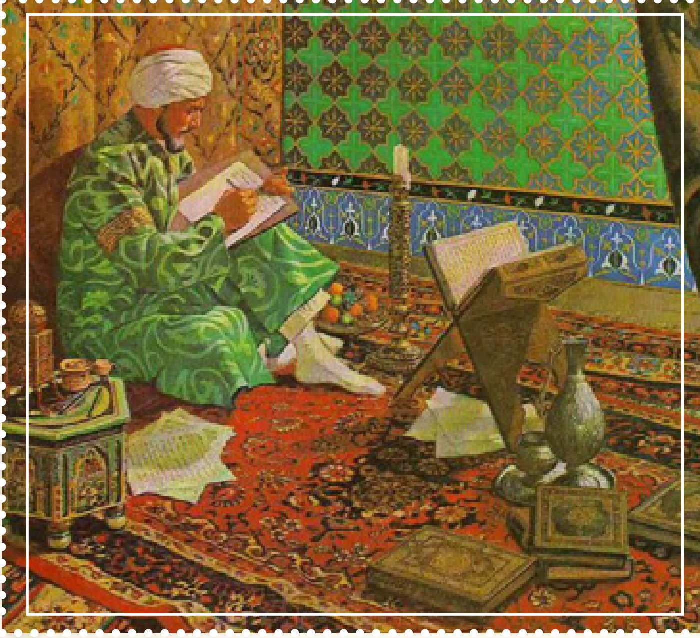
وهي ما صح عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، وهي شارحة للقرآن تُبين مجملة وتُقيد مُطلقه وتُؤوّل مُشكَله، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وكان ﷺ يقول: «صلّوا كما رأيتموني أصلي».

ويقول ﷺ: «خذوا عني مناسككم».



وهي إلى هذا قد تأتي بما لم يَرِد في القرآن بنص صريح، وإن كانت راجعة إليه، وقد اختلف العلماء في طريقة رجوع السنة إلى القرآن، وبسط الكلام في ذلك بسطاً أبو إسحاق الشاطبي في الجزء الرابع من كتاب (الموافقات)، ومما جاء فيه: أن التشريع القرآني يرجع إلى معانٍ كلية، وأن ما في السُّنة من أحكام لا يعدو هذه المعاني، وذلك أن القرآن جاء معرفاً لطريق السعادة في الدارَين لنسلكه، ولطريق الشقاوة فيهما لنحذره، والسعادة في الدارين إنما تتوفر للمرء بثلاثة أشياء:



١ بالمحافظة على الدين والنفس والنسل والمال والعقل.. وهي الضروريات الخمس.

٢ وبتشريع ما يؤدي إلى التوسعة ورفع الضيق والحرج؛ كإباحة الفِطر في السفر والمرض.. وذلك قسم الحاجيات.

٣ وبالتحلي بمكارم الأخلاق ومحاسن العادات، وهي المعروفة بالتحسينيات.

فالكتاب أتى بهذه الأمور الثلاثة أصولاً يُرجع إليها، والسُّنة أتت بها تفريعاً على الكتاب وتفصيلاً لما ورد فيه منها؛ فليس في السُّنة إذا حللتها ما لا يرجع إلى هذه العناصر الثلاثة؛ فالكتاب والسنة بعد التحليل يرجعان إلى أصول واحدة[٤]، وذلك مصداق قوله ﷺ: «شيئان لن تضلوا بعدي ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسُنة رسوله». وكون السُّنة أصلاً من أصول التشريع الإسلامي مكملاً للقرآن الكريم رأي الجمهرة الغالبة بل هو رأي من يُعتد به من علماء المسلمين، وكنا نظن أن ذلك مُجمع عليه وإنما الخلاف بينهم في طريقة ثبوتها وشروط قبولها.

ولكن الشافعي رضي الله تعالى عنه ذكر في الجزء السابع من كتابه المرسوم بـ(الأم)[٥] أن طائفة رأتْ رفض السُّنة كلها وعدم العمل بالحديث واقتصرت على القرآن وحده، قالوا: «لأنكم تروون الحديث عن

٤ مفتاح السنة، ص١٢.
٥ ص٢٥٠، وما بعدها، وانظر: ضحى الإسلام، من٤٢٠ من الجزء الثاني.

رجل عن آخر وليس أحد إلا وهو عُرضة للخطأ أو النسيان، فلسنا نقبل منها شيئاً إذا كانت عرضة للوهم، ولا نقبل إلا كتاب الله الذي لا يسع أحداً الشك في حرف منه»!

وحكى في (الأم) أن هذه الطائفة انقسمت قسمين:

أحدهما: لا يقبل خبراً وفي كتاب الله البيان، وقال: «مَن جاء بما يقع عليه اسم صلاة وأقلّ ما يقع عليه اسم زكاة فقد أدى ما عليه، وما لم يكن في كتاب الله تعالى فليس على أحد فيه فرض»!

والفريق الآخر يقول: «يُقبل الحديث إذا كان فيه قرآن»!

ومما يؤسف له أن الشافعي لم يُسمّ هذه الجماعة بقسميها، ولا ذكر زعيماً من زعمائها، وإن كان (الخضري بك) يظن أن القائل بهذا الرأي بعض علماء الكلام على مذهب المعتزلة[٦].

ولا شك أن مذهب الضلال -كما قال الشافعي- في هذين المذهبين واضح، ولذلك اختفى بما صُدم به من قوة أصحاب الحديث، وانتصر مذهب الاعتماد على السنة كأصل من أصول التشريع الإسلامي بعد القرآن، فإن الشك في بعض الأحاديث أو الاستيقان بكذب بعضها، لا يوجب رفض ما يَثبُت منها بطريق التواتر العملي أو القولي أو بطريق الشهرة والقبول من الأمة.

وقد أفنى العلماء المخلصون لدينهم وربهم أعمارهم وتجشموا الصعاب واقتحموا العقاب، في سبيل تخليص الآثار الصحيحة من باطلها وزيفها، حتى سلم لنا منها الجم الغفير؛ فكيف نترك هذا التراث العظيم وفيه من الجوهر الغالي والدر الثمين ما لا يصح أن ينزل بقيمته أو يصدفنا عن النظر إلى حر جوهره، بعضُ ما علَق به من الترب أو تخلله من الشوك؟!

---

٦ تاريخ التشريع، ص١٩٧.

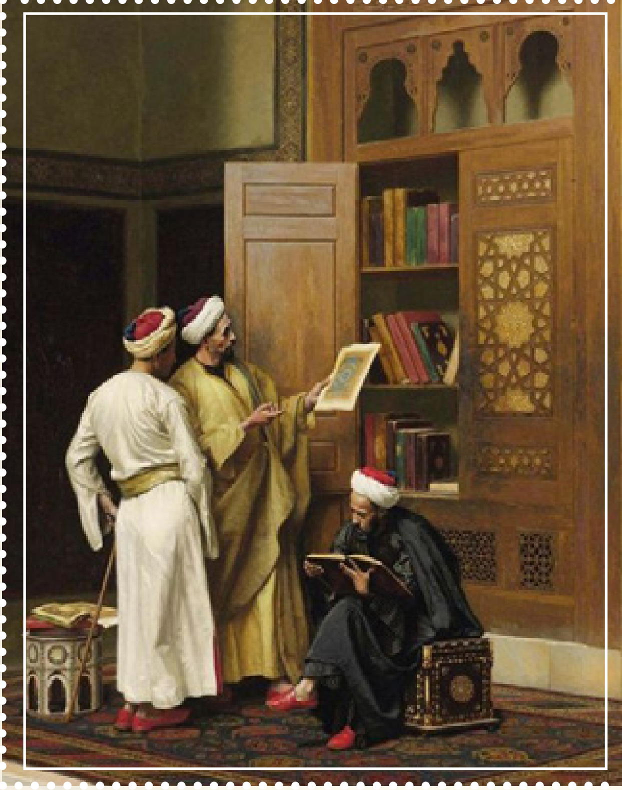
بل الواجب علينا أن ننفض عنه ذلك التراب ونعضد عنه تلك الأشواك؛ ليظل الباقي بوجه مشرق وصفحة ناصعة البياض، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١-٢٣].

الأصل الثالث: الإجماع

وهو اتفاق المجتهدين وأهل الرأي في عصر من العصور على حكم شرعي.



أخرج البغوي عن ميمون بن مهران قال: «كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سُنة قضى بها، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال: «أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء؟» فربما اجتمع عليه النفر كلهم يذكر فيه عن رسول الله قضاء، فإن أعياه أن يجد فيه سُنة عن رسول الله ﷺ جمع رءوس الناس وخيارهم فاستشارهم، فإن أجمع رأيهم على شيء قضى به. وكان عمر يفعل ذلك فإن أعياه أن يجد ذلك في القرآن والسُّنة سأل: «هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء؟» فإن كان لأبي بكر قضاء قضى به، وإلا دعا رءوس الناس فإذا اجتمعوا على أمر قضى به».



وروي عن سعيد بن المسيب عن علي قال: «قلت: يا رسول الله، الأمر ينزل بنا لم ينزل فيه القرآن ولم تمضِ فيه منك سُنة». قال ﷺ: «اجمعوا له العالمين» أو قال: «العابدين من المؤمنين، فاجعلوه شورى بينكم ولا تقضوا فيه برأي واحد»[٧].

والإجماع بالمعنى المتقدم في عصر الصحابة ميسور؛ لأن عدد المجتهدين منهم إذ ذاك محصور فيمكن استشارتهم والاطلاع على ما يتفقون عليه من رأي، ويعتبر بذلك أصلاً من أصول التشريع. وقد رأى جمهور الفقهاء أنه إذا لم يكن في نازلةٍ كتابٌ ولا سُنةٌ وأتى فيها السلف بفتوى ولم يُعلَم عن أحد منهم خلاف في تلك الفتوى.. رأوا ذلك حجة في الدين، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وقالوا: إن اتباع غير سبيل المؤمنين هو مخالفة الإجماع.

والشافعي بعد أن سلم بالإجماع وكونه حجة في التشريع عاد في مناظرته فأنكر واستبعد وجود الإجماع وطريقة نقله. كما روي عن الإمام أحمد أنه قال: «من ادعى الإجماع فهو كاذب»[٨]. والشيعة الإمامية لم يروا الإجماع أصلاً من أصول التشريع؛ لأن مذهبهم مبني على القول بعصمة الأئمة وأن آراءهم كنصوص من قِبل الشارع فلا أثر لقول من ليس من الأئمة»[٩].

---

٧ تاريخ التشريع، من١٢٩، وفجر الإسلام، من٢٨١، ٢٨٢.

٨ تاريخ التشريع، ص٢١٨-٢٢٠.

٩ تاريخ التشريع ص ٢٧٦.

وفي العصر الحاضر الذي ارتبطت فيه الأمم وسهلت فيه المواصلات، يمكن اتصال العلماء المجتهدين بعضهم ببعض، إما بالمراسلة أو بالاجتماع في هيئة مؤتمرات، وعلى هذا فالإجماع ميسور متى فُتح باب الاجتهاد، والعمل به واجب وبخاصة في المسائل الكبرى التي تهم العالم الإسلامي.

الرابع: الرأى والقياس

هو أصل من أصول التشريع إذا لم نجد نصاً في كتاب ولا سُنة، وقد كان يُراد به في العصر الأول الفتوى بناء على القواعد العامة للدين، أو بناء على تحقيق العدالة، أو هو كما فسره ابن القيم: «ما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجه الصواب».

ثم نُظم بعدُ وصار يُعرف بالقياس، وقد وردت أحاديث وآثار تدل على العمل به في عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين، وأنه في المنزلة الثالثة من أصول التشريع؛ فمن ذلك ما ورد أن النبي ﷺ لما أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: «وكيف تصنع إذا عرض لك قضاء؟» قال: «أقضى بما في كتاب الله». قال ﷺ: «فإن لم يكن في كتاب الله؟» قال: «فبسُنة رسول الله ﷺ». قال: «فإن لم يكن في سُنة رسول الله؟» قال: «أجتهد رأيي لا آلو». قال معاذ: فضرب رسول الله ﷺ صدري ثم قال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله».

الشريعة الإسلامية

المستشار علي علي منصور

رحمه الله

هي الحل لمشاكل البشرية

ما مِن شك في أن الديانات السماوية التي نزلت على الرسل قبل الإسلام لم تكن عامة، وإنما كانت خاصة مقصورة على علاج بعض ما فشا من عيوب وآثام في جماعة معينة، ولذا نجد بعض الرسل أُرسل على التحديد إلى مائة ألف «سيدنا يونس» وكذلك نجد رسولين من قِبل الله في زمن واحد، كل منهما أرسل إلى جماعة معينة في قطعة معينة، كما هو الشأن بالنسبة إلى سيدنا إبراهيم ولوط. وفي سورة "يس" ما يدل على إرسال ثلاثة في وقت واحد: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤].

---

* المستشار علي علي منصور، مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، ط١، دار الفتح/بيروت، ١٩٧٠م، ص١٧-٢٥.

وقوام الرسالات السماوية كلها بالدعوة إلى توحيد الله فاطر السماوات والأرض، والذي أنشأها إنشاءً أولياً وأعطى كل شيء خَلقه ثم هدى، وإلى جانب التوحيد كانت تشمل الرسالة الحض على الفضائل والأخلاق والامتناع عما فشا في المرسَل إليهم من موبقات؛ كالقتل والزنى والسرقة والغش في المكيال والميزان، وفي التعامل والتزام الصدق والبُعد عن الكذب والخيانة والتحلي بالتواضع والتسامح: «من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر».

وكانت آخر الديانات السماوية قبل الإسلام هي المسيحية، وقد حُرفت كما حُرفت تعاليم اليهودية مِن قَبلها، حتى في قوامها الأصلي؛ فقالت اليهود: «عزير ابن الله»، وقالت النصارى: «المسيح ابن الله». ولذلك كان لا بد من أن يُدرَك الله الناس بالهداية، وشاءت إرادته جل وعلا أن تكون رسالة الإسلام خاتمة الرسالات، فكان لابد أن تشمل تنظيم أمور الدين والدنيا.

الإسلام دين ودولة

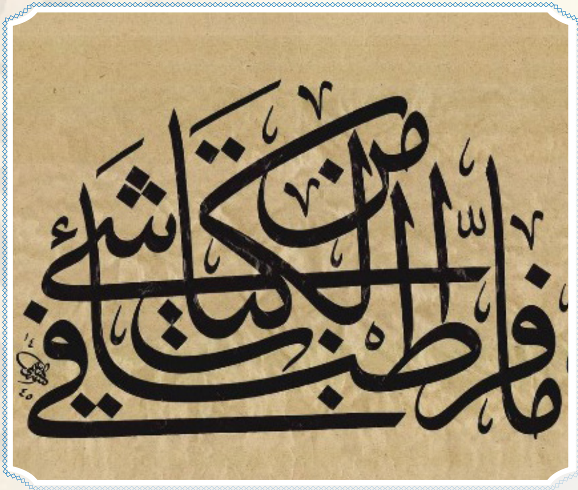


والإسلام دين ودولة وعقيدة وشريعة، وأحكامه العامة وقواعده الأصولية محكمة، نزلت من الله وحياً على خاتم الرسل محمد بن عبد الله ﷺ، ومجموع آيات هذا الوحي هو «القرآن الكريم»، كتاب المسلمين المقدس، نزل به الروح الأمين جبريل من اللوح المحفوظ دفعة واحدة، ثم أُوحي به مُنجّماً بحسب ما دعت الحاجة، وبحسب ما جدّ من الحوادث، تلطفاً من الله ورحمة، إذ

أن الأمة العربية كانت إذ ذاك أميّة في غالبية أفرادها، فحَفَظ الآيات مَن حفظها، وهم جمهور الصحابة، وكتبتها القلة الكاتبة، وكلّف الله رسوله ﷺ أن يبيّن للناس ما نزل إليهم: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

وما كاد الرسول العظيم يلحق بالرفيق الأعلى حتى شرح الله صدر الخليفة الأول أبي بكر والصحابة معه إلى جمع القرآن مكتوباً. وفي عهد ثالث الخلفاء عثمان بن عفان نُسخت من هذا المكتوب نسخٌ وُزعتْ على الأمصار في مختلف بقاع الدنيا، فكانت كل نسخة إماماً للمصحف الشريف، وعنه تتابع النقل إلى عهد الطباعة، حيث عمّ نشره، وبهذا صان الله سبحانه وتعالى كتابه الكريم من العبث والتحريف والتبديل: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

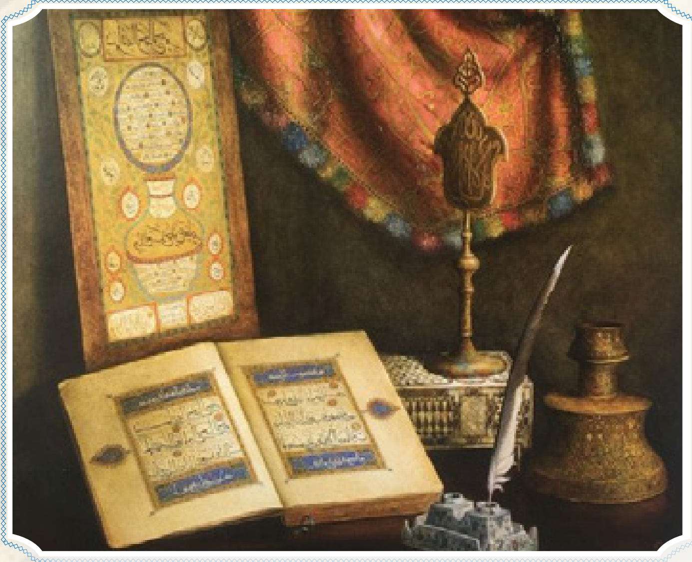
والكتاب والسُّنة هما المصدران الأساسيان للشريعة الإسلامية، ويعتبرهما الكثيرون المصدرَين الوحيدين، وما بعدهما: من إجماع أو قياس واستصلاح، مصادر ثانوية ومَعينها هو الكتاب والسُّنة، وجاءت فيهما كل القواعد العامة للشريعة الخاتمة في القرآن الكريم، وصدق الله إذ يقول: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الأنعام: ٣٨].



شريعة شاملة لأمور الدين والدنيا

لقد عني الإسلام بأمور الدنيا عنايته بأمور الدين، ونحن حين نعبر بأمور الدنيا، نقصد معنى اللفظ بجميع ما يُفهم منه وما يحتمله؛ فالدين الإسلامي -فضلاً عن القواعد التي تنظم المعتقدات والعبادات-

تضمن أسمى ما ينظم علاقات الناس من قواعد قانونية وخُلقية، وفي هذا الصدد لم يقنع بالقواعد التي تنظم صلات الأفراد فيما بين بعضهم البعض، وإنما تجاوز ذلك إلى وضع الأسس الكاملة التي تقوم عليها الدولة.



فالخلافة بَيعة، والأمر بين الناس شورى، والناس جميعاً سواسية، وكل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعِرضه، وحريات الناس مصونة، ورقابتهم على الحكام مشروعة، والملكيّة الفردية ليست مطلقة تجنح إلى الكنز والاستعلاء والاستغلال، ولا هي معدومة فيفقد الناس حوافز الجد والتنمية، وإنما هي وسط بين هذا وذاك، وسطية تجعل الملكية وظيفة اجتماعية، فالمال مال الله، ونحن مستخلفون فيه، والناس عيال الله.. ومن ثم كان للفقير في مال الغنيّ حق معلوم لا منّ فيه ولا مهانة، حق كامل يسع ضروريات الحياة لكل فرد محتاج، بحيث توفر الدولة له السكن والطعام واللباس والدابة.

ولم يقنع الدين الإسلامي بذلك؛ بل تضمن أسمى ما يمكن أن تقوم عليه العلاقات بين الدول بعضها بالبعض في حالتَي السلم والحرب: من قواعد لحفظ السلام، وللمعاهدات الدائمة والمؤقتة، ولإنشاء هيئة دوليّة تحكم في الخلافات التي تجدّ بين الدول.. والدولة التي لا تخضع إلى ذلك يقاتلها جيش الهيئة الدولية حتى تفيء إلى الحق والعدل: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

ثم ارتفع الإسلام بعد ذلك إلى السِّماكين، فنادى الناس جميعاً في مختلف الشعوب والديانات إلى أخوّة إنسانية شاملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣]. وفي الحديث: «كلكم لآدم، وآدم من تراب». ولا بدع في ذلك، فالجميع عباد الله وهو أرحم الراحمين، ﴿أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وفي كمال الشريعة الإسلامية يقول الدكتور سليمان مرقص، أستاذ القانون المدني بجامعة القاهرة: «ففي الكتاب والسُّنة -وهما أهم مصادر الشريعة الإسلامية- الكثير من القواعد القانونية المتعلقة بالزواج والطلاق والنسب والميراث والوقف والوصية والتجارة والبيع، ومختلف العقود والحدود الجنائية وغيرها من القواعد الجنائية، ولقد تناول فقهاء الإسلام هذه الأحكام بالشرح والتفصيل، وفرعوا عليها الكثير من الحلول حتى غدت الشريعة الإسلامية نظاماً قانونياً كاملاً يعدل أرقى الشرائع، بل إن بعض نظمها يفضل ما يقابله من نظم في أحدث الشرائع العصرية».

شريعة تحوي أسمى وأكمل الحلول لمشاكل البشرية

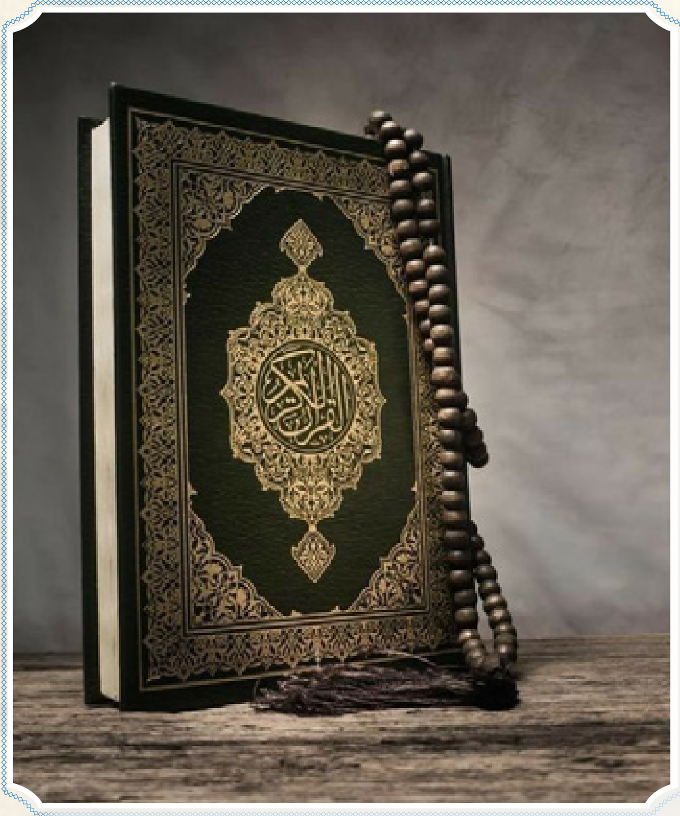
إنَّ الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يختم الأديان والرسل برسالة محمد بن عبد الله ﷺ تخيّر لها الوقت المناسب عندما تهيأت البشرية للنضج، ولما كانت هذه الرسالة عامة لجميع الناس في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة، نزل الوحي بنوعين من الأحكام الفقهية التشريعية في نوعين من المسائل:



١ مسائل لا تتأثر باختلاف الأزمنة والأمكنة والبيئات والعادات

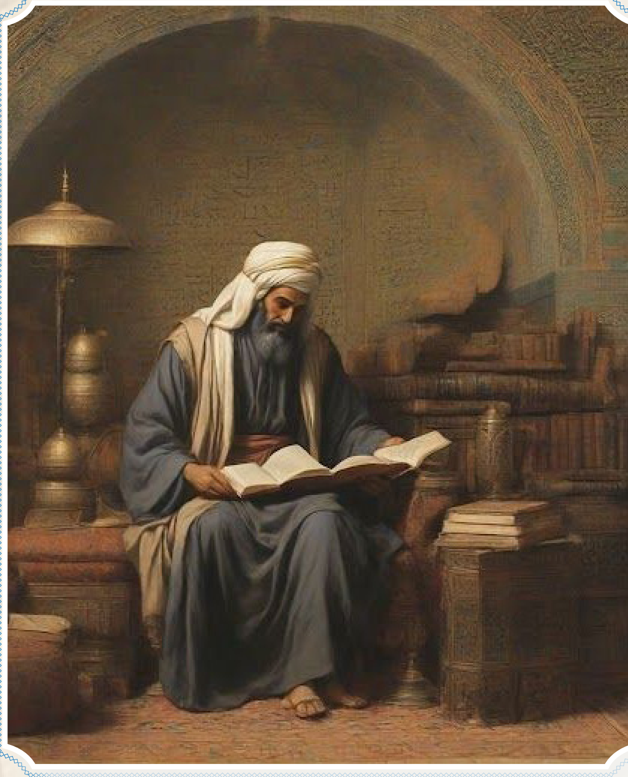
ونزلت قواعده الأساسية مُحكمة محددة في الكتاب «القرآن» وكُلّف الرسول بوحي من ربه بأن يفصّل للناس هذه الأحكام العامة، وفي ذلك المعنى يقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. وقوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

والأحكام الشرعية في هذا النوع الثابت الذي لا يتغيّر بزمان ولا مكان، سُميت بالأحكام القطعية، ومنها أحكام العقائد والعبادات.



٢ ومسائل أخرى من شأنها أن تتأثر بظروف الزمان والمكان

وتختلف باختلاف البيئة والعُرف، وبحسب ما تدعو إليه المصلحة في كل منها، واكتفت الشريعة الإسلامية في هذا النوع بأن وضعت لها القواعد العامة الكلية المرنة، وتركت الأحكام الفرعية إلى اجتهاد العقل البشري احتراماً له ومسايرةً للظروف والمصالح. والحكمة في ذلك أنه لا يصح في أمور العقائد والعبادات وصورها ورسومها أن تُترك لأفهام الناس واجتهاداتهم؛ لأنَّ الله لا يُعبَد إلا بما شَرَع، ولأنه لا يصحّ الاختلاف في ذلك. أما الفروع التي لا يضر الاختلاف فيها وتخضع



لظروف الزمان والمكان لم يكن يصلح أمر الناس على توحيدها، وإلا لجمدت العقول ولاصطدمت الشريعة بظروف الزمان والمكان وبمصالح الناس.

ولذا رحم الله عباده بأن فتح فيها باب النظر والاجتهاد حسبما يساير مصالحهم، وحديث معاذ بن جبل نصٌّ في الاجتهاد؛ إذ لما أرسله الرسول إلى اليمن قال له: «بم تقضي يا معاذ؟» قال: بكتاب الله. قال: «فإن لم تجد؟» قال: فبسُنة رسول الله. قال: «فإن لم تجد؟» قال: أجتهد برأيي.. فأقرّه على ذلك.

حدث للناس بعد عهد الرسالة حوادث وواقعات ونوازل، وكان الخلفاء الراشدون يلتمسون لها الحلول في نصوص الكتاب أو السنة، فإن لم يجدوا فيها اجتهدوا واجتهد الصحابة معهم، فإن اتفقوا على رأي واحد كان ذلك نوعاً من الإجماع وهو المصدر الثالث للتشريع الإسلامي، وإن اختلفوا أخذ بالرأي الغالب.

وكانت هذه الاجتهادات محفوظة في الصدور غير مكتوبة في كتب جامعة. ولما انتشر الإسلام وشرَّق إلى الصين وغرَّب إلى الأندلس وتفرق الصحابة في الأمصار، دعت الضرورة إلى التدوين، وجلس الفقهاء من أصحاب الاجتهادات والفتوى في المساجد لتدريس الفقه.. ومنهم أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وغيرهم كثير. إلا أنَّ هؤلاء الأربعة كثر تلامذتهم وزادوا فيما تعلموه منهم حسبما جدَّ لهم من أحداث أو فتاوي؛ ففتاوي أبي حنيفة وجميع ما دُون من آراء تلاميذه وأتباعه جُمع وسُمي بمذهب أبي حنيفة، احتراماً له وتقديراً لأستاذيته، وبنفس الطريقة نشأ وعُرف مذهب الإمام مالك ومذهب الإمام الشافعي ومذهب الإمام أحمد بن حنبل.

ومن مجموع هذه الاجتهادات تكوّن الفقه الإسلامي، وهو ثروة تشريعية وقانونية لا مثيل لها في العالم قديمه وحديثه، فيه الحلول لجميع مشاكل الحياة في جميع الأزمان، وفيه أحدث النظريات القانونية.

مصادر الشريعة التبعية

ومن أهم مزايا الشريعة الإسلامية مصادرها التبعية، وهي: الإجماع، والقياس، والاستحسان، والمصالح المرسلة.. قلنا إن المصادر الأصلية للشريعة -وهما الكتاب والسنة- قد لا توجد فيها نصوص صريحة لمواجهة أحداث تجدّ للناس بمرور الزمن؛ فلأئمة المسلمين المحيطين لعلوم الشريعة واللغة في كل زمان أن يجتمعوا، وما يجمعون عليه يسمى بالإجماع وهو مصدر ثالث للتشريع الإسلامي، ولذا أُنشئ (مجمع للبحوث الإسلامية) في مصر برئاسة شيخ الأزهر، تمثل فيه جميع علماء البلاد الإسلامية، ويجتمع دورة كل عام، والحديث: «لا تجتمع أمتي على ضلالة».



والقياس من مصادر الشريعة، وهو قياس مسألة لم يرِد فيها للشرع نص، بمسألة أخرى مشابهة لها ورد فيها نص.

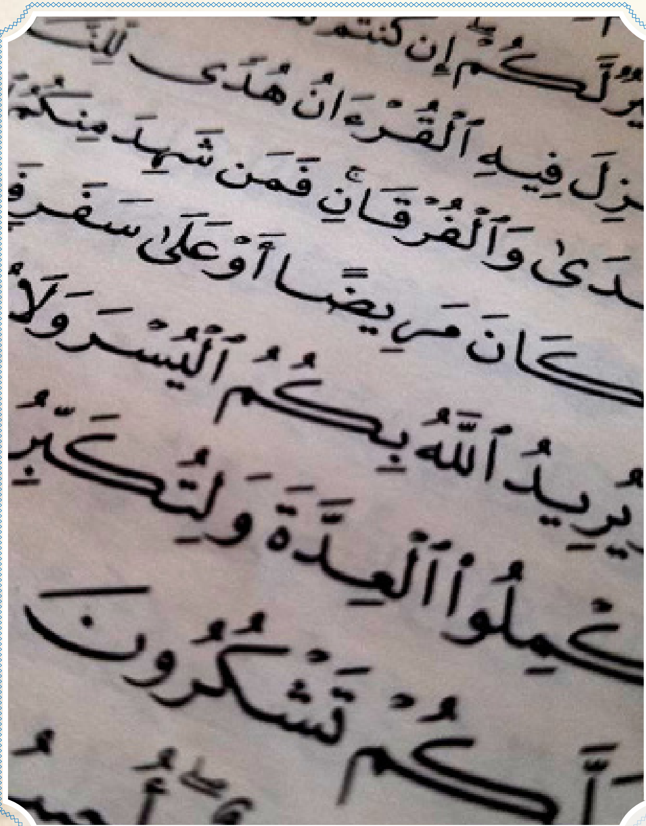
وكذلك الاستحسان، والحديث: «ما رآه المسلمون حسن فهو حسن». ويعرفه ابن رشد بأنه: الالتفات إلى المصلحة والعدل.

أما المصالح المرسلة، فهي ما يُسمى في العصر الحاضر بالمصالح العامة، ومن قواعد الشريعة: إذا وُجدت المصلحة فثَم شرع الله. ويقول ابن القيم: «إذا ظهرت أمارات الحق وأدلته من أي طريق فذلك من شرع الله ودينه ورضاه وأمره»[٢].

ولقد كتب ابن تيمية في ذلك كثيراً، وكذا الإمام محمد عبده، وغيرهما؛ حيث قالوا: إن الأحكام الشرعية نوعان:

- **الأول:** مرجعه إلى بيان العبادات ووسائل التقرب إلى الله تعالى، وهذا النوع من الأحكام يجب أن يكون وفق ما طلب الله وأمَر، لأن ذلك حقه ولا يُعلم إلا من جهته، ومنه الصلاة والصوم والزكاة والحج.

- **والثاني:** مرجعه إلى تدبير شئون الناس في الدنيا؛ من أعمال ومعاملات، فكتاب الله صرح بأن أساسه رعاية مصالح الناس وإقامتها على العدالة الشاملة والمساواة الحكيمة والنظام المستقر، مع دفع الضرر ورفع الحرج؛ لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. وقول النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار». ورُوي عن الإمام مالك قوله: «الاستحسان والاستصلاح تسعة أعشار العلوم».



---

٢ في كتابه: إعلام الموقعين، جـ٣ ص٥٤٣.

أمثلة من المقارنات



 ينقسم فقه الشريعة الإسلامية إلى قسمين رئيسيين:

- **الأول:** العبادات، وتشمل القواعد التي تنظم صلة الإنسان بربه سبحانه وتعالى.

- **الثاني:** المعاملات، وتشمل القواعد القانونية التي تنظم صلة الإنسان بأخيه الإنسان في وطنه، وفي الدول الأخرى. كما تنظم صلة الدول بعضها بالبعض، وهذا القسم يشمل مختلف أنواع القوانين الوضعية بمسميات عصرية، وقد نجد لها مقابلاً في مصطلحات فقهاء الشريعة الإسلامية.

فالقانون العام الدستوري والإداري، يقابله في الشريعة عبارة «السياسة الشرعية» أو «السياسة الحكمية»، والقانون المدني والتجاري يقابله لفظ «العقود». والقانون الدولي العام والخاص يقابله «السير والمغازي».. وهكذا، ولنبدأ إذن بذكر بعض الأمثال من المقارنات بين مسميات الشريعة الإسلامية وما يقابلها من مسميات القوانين الوضعية:

السياسة الشرعية أو السياسة الحكمية: القانون الدستوري والقانون الإداري

والقانون الدستوري في مفهومنا العصري يعدد حقوق الأفراد في الدولة وحرياتهم، ويعالج كيفية بناء وإنشاء الأجهزة الأساسية التي تتكون منها الدولة، ويطلق عليها البعض السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية، ومدى انفصالها أو تعاونها ومراقبة بعضها البعض.



والسياسة الشرعية أو سياسة الحكم في دار الإسلام تشمل ذلك كله في مصطلح الفقهاء، فتحتها تندرج الخلافة «رئاسة الدولة»، والشروط التي يجب أن تتوافر في الخليفة «أمير المؤمنين»، وكيفية اختياره بوساطة أهل الحل والعقد، ومن هم؟ هل هم فئة خاصة أم هم عامة الناس؟ وما كُنه الصلة بين الخليفة والشعب؟ هل هو وكيل عنهم ولهم عزله إن أساء أو حاد عن الدين والمصلحة العامة؟ ثم كيفية إنشاء الدواوين والمصالح العامة «الوزارات والولايات والإمارات»، وكيفية تعيين الوزراء والولاة والأمراء، ومَن له حق مراقبتهم وعزلهم[٣].

---

٣ تُراجَع مؤلفات الماوردي وابن تيمية والشهرستاني.



نجم الدين أربكان
رحمه الله*

القفزة العلمية للحضارة الإنسانية

اسمعوا! يأتي أدعياء العلم ويحاولون التقليل من شأن الإسلام، لماذا؟ إنه يقول: «هناك علم في هذا العالم». ما هو العلم الذي تتحدث عنه؟ فيقول: «اسمع! يذهبون إلى القمر ويصعدون إلى النجوم».

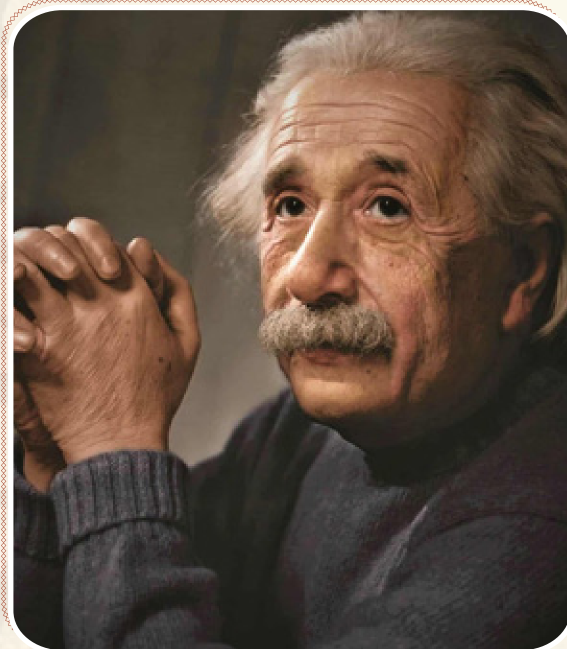
تعالوا نرى ما هي الحسابات التي يصعدون من خلالها إلى القمر والنجوم، هو لا يعرف أياً منهم. إن سألتموه: من أين جاءت هذه الحسابات؟ فإنه لن يعرف أيضاً. في حال كان يعرف هذه الحسابات فعليه أن يأتي إلى هنا، سيقول: «هناك بعض المبادئ التي

نجم الدين أربكان، الإسلام والعلم، ترجمة: د. سوسن أبو هنود، ط١ (أنقرة: VGM، يوليو ٢٠٢٣م)، ص١٨ وما بعدها. جزء من محاضرة ألقاها البروفيسور نجم الدين أربكان عن الإسلام والعلم.

أثبتناها من خلال التجارب، نحن نؤمن بهذه المبادئ، ونعمل حساباتنا بناء عليها». ما هي تلك المبادئ؟ إنها: «لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار»، و«المادة لا تَفنى ولا تُستحدث»، إذن عندما نسأل: ما هي المادة والطاقة والقوة التي تتحدث عنها؟ لا يستطيع هؤلاء الأشخاص المتعجرفون شرح أي واحدة منها. لماذا؟

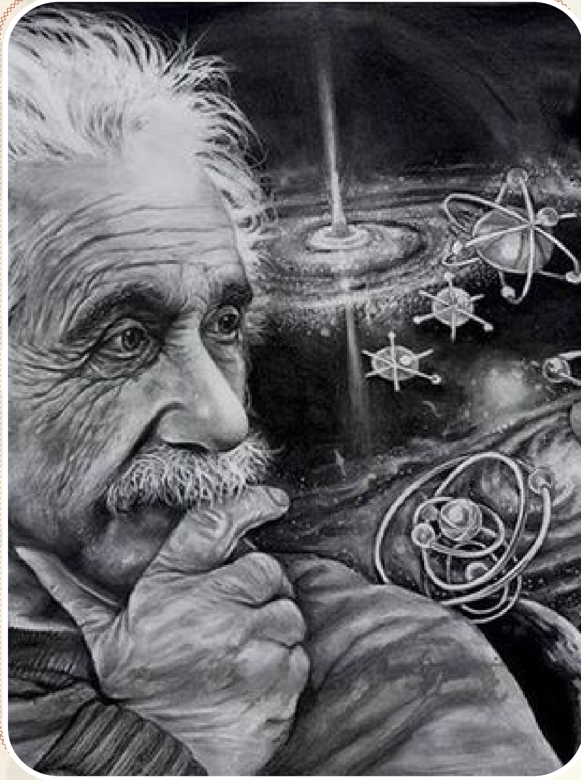
لأنهم لا يعرفون ما هو أصل العلم، إنهم يظنون أن تلك التطبيقات البسيطة هي العلم لكنهم لو يعرفون أن العلم الحقيقي يبدأ من تلك النقطة التي علقوا عندها!

ماذا تفعل أمامنا دون أن تعرف ما هي المادة؟ ماذا تفعل هنا دون أن تعرف ما هي الطاقة وما هي القوة؟ هل فعلاً يوجد ما تسمونه «المادة»؟ لا يوجد خيار وسط لديكم، أحدكم يقول: «نعم، يوجد مادة»، والآخر يقول: «لا، لا يوجد مادة، إنها موجة وو...».



بالطبع سمعتم باسم أحد علمائهم المشهورين؛ العالم اليهودي (آينشتاين)، هذا العالم اليهودي بعدما أفنى حياته بالعلم، قال في أواخر حياته: «عانيت حقاً لفترة طويلة من حياتي من مسألة المادة والطاقة والقوة، وقمت بإجراء الكثير من الحسابات، لكني لم أستطع فهم ماهيتها طوال حياتي، حتى اسمحوا لي أن أقول لكم شيئا، أتساءل: لو أننا استخدمنا مفاهيم أخرى بدلاً من مفاهيم المادة والطاقة والقوة أثناء قيامنا بالحسابات، هل كنا سنحسب بسهولة أكبر؟ أنا لا أعرف ذلك أيضاً، لكن هناك شيء واحد أشعر به، وهو أنه لا وجود لثلاثة مفاهيم منفصلة، مثل الطاقة والمادة والقوة. أشعر أن هناك ترابطاً في هذا الموضوع، يجب أن يكون هناك

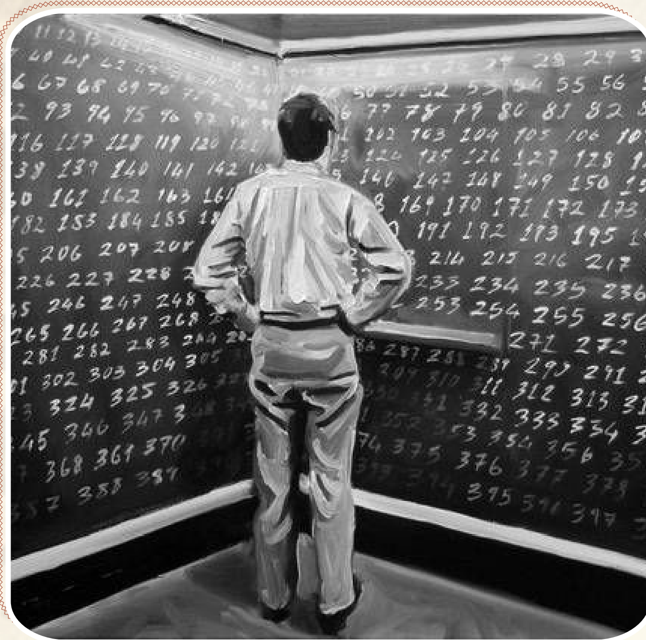
مفهوم واحد فقط، يتمثل أحياناً في حالة الطاقة وأحياناً في حالة المادة وفي بعض الأحيان في حالة القوة، إنني أشعر بذلك الشيء، ولكن لا يمكنني العثور عليه».



في الواقع، عندما تنقسم الذرة، تصبح المادة طاقة، وإذا كان من الممكن تجميع الطاقة في مكان واحد ستتشكل منها المادة، إذن ما هي المادة؟ وما هي الطاقة؟ عندما نسأل ما هو أصل المادة والطاقة.. أكبر علماء الغرب اليوم مثل آينشتاين لا يستطيع معرفة الجواب، وهم يعترفون بأنهم في مأزق بسبب عدم وجود إجابة.

هل تذكرون ذلك الشخص الذي ينظر للمسلمين بازدراء؟ ذلك الشخص عليه أن يعرف أن العلم الغربي الذي يستند إليه عالق في طريق مسدود، وذلك بسبب عدم فهمه تلك المفاهيم، ولأنه اليوم إذا أراد أن يحسب استناداً إلى تلك المبادئ فإنه لن يستطيع الحساب أيضاً، إنهم في مأزق! نحن ندرّس الدكتوراه في الجامعة، وكذلك جميع الدول الغربية الأخرى أيضاً، عندما تكون هناك مشكلة معقدة في دراسات الدكتوراه لدينا، لا يمكننا التعامل مع هذه المشكلات بأنفسنا، هم لا يستطيعون الاعتراف بهذا، أما نحن علينا أن نعترف بذلك.

الآن، أتمنى بشدة لو كان هنا باحث حاصل على درجة الدكتوراه من الجامعات الغربية، وناقش معه هذه المسألة، وتكونون أنتم الحكم بيننا، أنا أقول:



أولاً: الغرب نفسه لا يعرف ما هي الحسابات التي قام بها والمفاهيم التي يستخدمها اليوم.

ثانياً: إنه في مأزق بينما يجري هذه الحسابات، إن القدرات الرياضية والحسابية لدى الغرب لا تكفي لحل هذه المسألة! إذن ماذا تفعلون بتلك الأطروحات في الدكتوراه؟ اسمعوا.. دعوني أخبركم ماذا نفعل نحن.

علم الغرب ليس كافياً للحساب

على سبيل المثال، لنفترض أن إحدى دراسات الدكتوراه لدينا، تدرس سفينة تجر من هنا، كيف ستحدث خلف هذه السفينة موجات؟ لو قالوا لنحسب هذا، فإن ما نفعله كعلم في جامعاتنا هو كالتالي: نترك السفينة تجري ونلتقط صوراً للأمواج خلف السفينة، نرى أن هناك موجات تنشأ، نبدأ بحساب تلك الأمواج، ما نفعله من أجل الحساب هو كتابة هذه المبادئ الثلاثة في صيغ. بعد كتابتها، نقول: هيا! قم بحل هذا! لا يمكننا حلها، أي لا يمكننا اتباع سلسلة من الأفكار، فنحن عالقون في مكان واحد لأننا لا نختار مفاهيم جيدة، بعد ذلك نتساهل، لكن هذه التساهل ليس علماً!

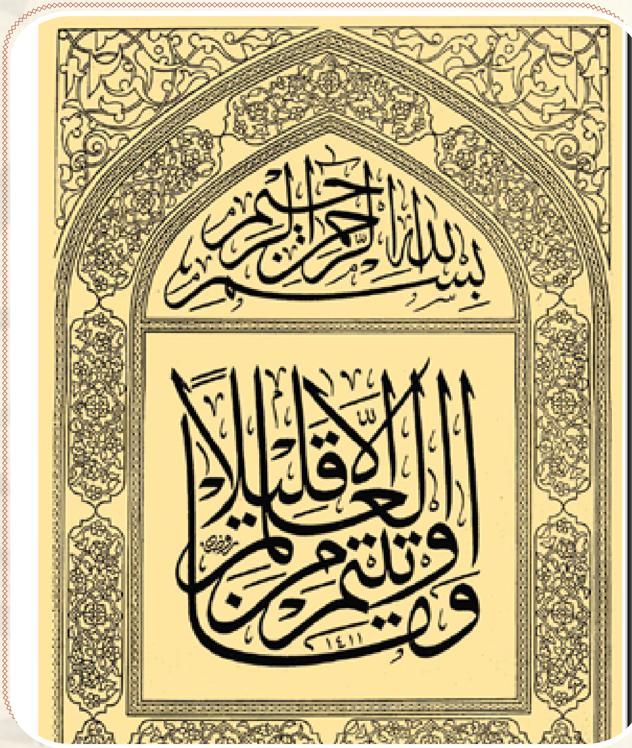
هذا موضوع التساهل مثل رسم الرسام، نلعب بالحسابات ونحن نقول بأن هذا مهم وذاك ليس مهماً، ونحاول أن نشبّه كل هذا بالشكل الذي التقطنا صورته، ونريد أن يكون هذا الشكل هو نتيجة الحسابات التي نجريها هنا. لماذا نتبع هذا الأسلوب في البحث؟ لأن معلوماتنا الرياضية لا تكفي لحل المبادئ والمفاهيم التي

استخدمناها، لأن الطريق الذي نتبعه لحل هذه المسائل هو طريق مسدود! لا تنغروا بأن العلوم في الغرب اليوم استطاعت الوصول إلى القمر بالصواريخ. وصل الغرب في المجال العلمي إلى طريق مسدود وعلق هناك !

انطلاقاً من هذه الأمثلة، ماذا يوجد في وسط وقلب الغرب الذي يظهرونه دائماً كقوة تقف أمام الإسلام؟ لقد أخبرتكم بهذا حتى أوضح لكم. هناك بعض المتعجرفين الذين يقولون: «هذه الحسابات تُستخدم، ولكن أنتم لا تعرفونها». في الحقيقة، هم الذين لا يعرفون ما يستخدمون والطريق الذي وصلوا إليه بات طريقاً مسدوداً!

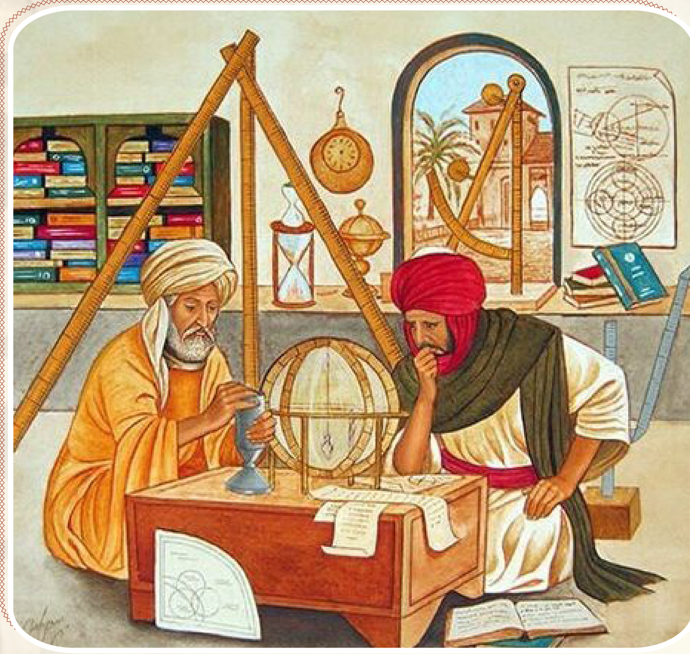
إذن ماذا سيحدث؟ من أجل مناقشة إمكانية الخروج من هذا الطريق المسدود، نحتاج إلى دراسة منظور الإسلام إلى هذه العلوم.

اسمعوا! كيف ينظر المسلمون إلى هذه الصيغ وهذه الحسابات؟



أولاً: من هو صاحب كل هذه الصيغ وكل هذه المعلومات التي استخدمها ذلك الرجل الغربي المتعجرف؟ علينا أولاً أن نبحث في هذا الموضوع. أياً كان ما يعرفه هذا الرجل الغربي، فليضعه أمامنا، وليقل: «أنا أعرف هذا». دعونا نجمع كل ما يعرفه، بالنهاية هذا هو حجم معرفته، هذا كل ما يعرفه، كلنا نعلم جيداً أننا لو جمعنا كل معرفة الناس، فلن تساوي حتى نقطة واحدة في بحر علم الله اللامتناهي، لهذا لا يحق لذلك الرجل أن يتغطرس! لو

عِلم عبوديته وقدّر علم الله الواسع لما تصرف على هذا النحو، ولرجا الله أن يزوده بالعلم من عنده. لو جمعنا كل علم ذلك الرجل، ووصل حجم هذا العلم إلى هذا القدر، من هو صاحب هذا العلم؟! كيف حصلت كل هذه المعرفة؟ علينا أن نتمعن في هذا! نحن نعلم أن كل هذه العلوم التي وصلت إليها البشرية اليوم هي نتاج لتراكم المعلومات عبر التاريخ.



التطور التاريخي للعلوم

تعود الوثائق المكتوبة الموجودة لدينا اليوم إلى قبل خمسة آلاف سنة.. أتساءل: ما الذي كان يعرفه الناس قبل هذه السنين؟ لا نملك معلومات عن هذا الموضوع لعدم وجود أي وثيقة تعود إلى ذلك الزمان، لذلك دعونا نعود من يومنا هذا إلى الوراء ولنرى كيف تطور العلم، في تاريخ البشرية خلال الخمسة آلاف سنة الماضية.

لنفترض أن الإنسان الأول لم يكن يمتلك أي معرفة، كيف تطورت المعرفة الإنسانية في الخمسة آلاف سنة الماضية؟ قبل خمسة آلاف سنة عاش الإنسان، الإنسان الأول، في كهف في العصر الحجري، لم يكن يعرف ما هي النار بعد، وهكذا أعطى الله تعالى الناس تدريجياً العقل والذكاء وبعض النعم الأخرى.. الإنسان مخلوق مختلف عن المخلوقات الأخرى.. الحيوانات مثل الأسد أو القرد تمتع بقدرات معينة، لكنهم

لا يمتلكون الذكاء البشري، على سبيل المثال عندما يُلقي شخص حجراً على حيوان أمامه، يمكن للإنسان أن يقدر بعقله حجم الحجر اللازم حتى يتمكن من ضرب هذا الحيوان، إنه يقدر هذا بواسطة عقله، أما الحيوان فلا يمكنه أن يفكر في الحجم أو في الشيء الذي سيرميه على عدوه.

أعطى الله تعالى الناس ذكاءً ونعماً أخرى، وبفضل هذه النعم بدأ يقدّر الأشياء، يعد اكتشاف النار من القضايا المهمة من المنظور المعرفي في تاريخ البشرية؛ لعل الناس رأوا حمم البراكين، حكوا الحجارة والأخشاب ببعضها، أشعلوا النار، نحن لا نعرف كيف حدث هذا، لكن البشرية عرفت النار تدريجياً، بعد ذلك، تعلم الناس أشياء مختلفة، في أوقات مختلفة، تعلموا شيئا فشيئاً حتى يومنا هذا.

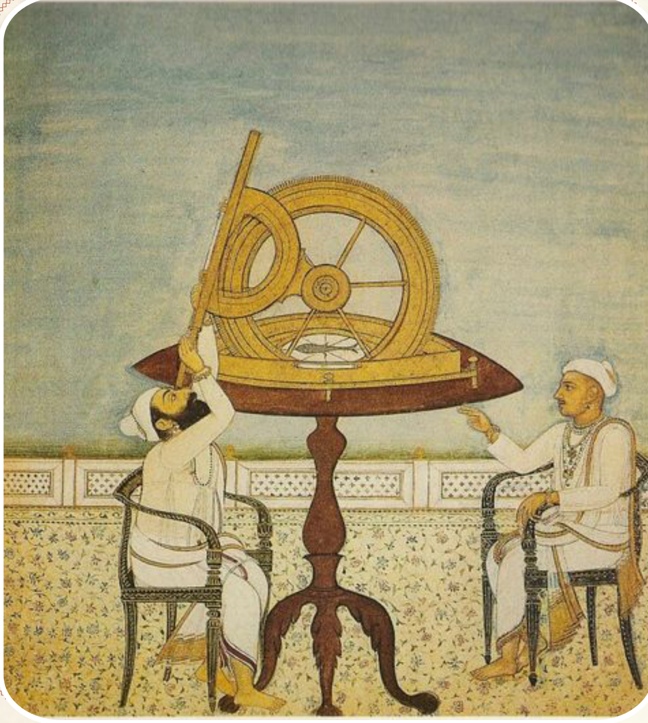
أتردد في أن أقول إن معرفة الإنسان الأول هي معرفة الإنسان في العصور الأولى، لأننا لا نعرف ما هي المعرفة التي كان يمتلكها سيدنا آدم عليه السلام، نحن نعرف المعرفة التي كانت لدى الناس الذين عاشوا في العصر الحجري.

أتساءل: في الخمسة الآلاف سنة من تاريخ البشرية، منذ البداية وحتى يومنا هذا، كيف استطاع الناس أن يكتسبوا المعرفة التي نمتلكها اليوم؟



قد يكون التفسير الطبيعي هو القول بأن الناس اكتسبوا معرفتهم الحالية خطوة بخطوة مع مرور الوقت،

لكن الدراسات التي أجريت في تاريخ العلوم، تقول بأن المعرفة التي اكتسبها الناس لا تبدو وكأنها اكتسبت تدريجياً بخطوات منتظمة، إذن كيف تشكلت المعرفة؟ عندما نبحث في هذا الموضوع نجد التطور التالي:



بدأ الناس في العصور الأولى باكتساب المعلومات تدريجياً، توصلوا إلى نقطة ما، بعد ذلك ازدادت المعرفة فجأة، واستمرت تلك الزيادة، ولكن ببطء، أين هي النقطة التي ازدادت فيها المعرفة البشرية بسرعة؟ هنالك نقطتان مهمتان (نقطة ب و ج): ما هي تلك العصور التي ازدادت المعرفة فيها؟ العلم اليوم يقول بأن أول نقطة بدأت فيها المعرفة بالازدياد، هي في عصر السعادة (العصر النبوي)، الذي يصادف القرن السابع. في العصر النبوي، بدأت المعرفة البشرية بالازدياد فجأة، إلى متى استمر تطور المعرفة؟ استمر التطور إلى (نقطة ج)، والمقصود بها العصر الرابع عشر والخامس عشر ميلادياً (العصر السابع والثامن هجري).

تظهر الدراسات في تاريخ العلم أن المعرفة البشرية تطورت بهذه الطريقة. إحدى النقطتين (ب) تشير إلى التاريخ الذي أخذوا فيه العلوم الإسلامية من جميع الناس وبدأوا في تطويرها. النقطة الأخرى (ج) هي التاريخ بعد الحروب الصليبية، في عصر النهضة.. عندما بدأ الأوروبيون بتطوير علومهم بعد أن تلقوها من المسلمين، لذلك هنالك فترة سبعة قرون في تاريخ البشرية، منذ العصر النبوي وحتى عصر النهضة، طور خلالها المسلمون العلوم البشرية جمعاء.



تظهر الدراسات أن المسلمين طوروا ما لا يقل عن ٦٠-٧٠% من المعرفة البشرية اليوم. ما معنى هذا؟ هذا يعني أن أكثر من نصف المعرفة التي يمتلكها الشخص الذي يتعجرف ويحاول التقليل من شأن المسلمين، هي من نتاج معرفة المسلمين، وتصرفه بهذا الشكل هو بسبب جهله هذه الحقيقة.

هل هو حقاً كذلك؟ بمعنى آخر، هل ازداد حقاً تطور هذه العلوم في العصر الإسلامي؟

قبل الشروع في البحث في هذا الموضوع، أود أن أخبركم بثلاثة أمور لكل من هاتين النقطتين؛ انظروا للخدمة التي قدمها المسلمون للعلم في العصر النبوي.. كيف تلقى الأوروبيون المعرفة من المسلمين في عصر النهضة؟

إن هؤلاء الأشخاص الذين يقولون بأنه هناك فقط علوماً غربية لكنكم لا تعرفونها، هم أيضاً مليئون بأفكار مغلوطة تعلموها من المستشرقين المعادين للإسلام. هل تعرفون ماذا يقولون؟ يرددون كلام المستشرقين هذا:

«في الحقيقة، لم يخدم المسلمون العلم بالقدر الذي تعتقدونه، هم أخذوا وتعلموا العلوم الموجودة في اليونان القديمة والهند القديمة ومصر القديمة، وطوروها بالقدر الذي تتيحه الطبيعة البشرية، وبعد ذلك قاموا بإعادة تسليم هذه العلوم لأصحابها الأوروبيين».



هذا تماماً خاطئ! لقد درس المسلمون بالفعل علوم المصريين والإغريق والهنود القدماء، لكن هناك ثلاث نقاط مهمة في هذا الموضوع:

١ لقد شرحوا من أين أخذوا هذا العلم ومن أي كتاب، لقد قالوا: «قرأناه في كتاب ليموس، وقرأناه في كتاب إقليدس، وفي كتاب فيثاغورس». لقد ذكروا دائماً المصدر الذي أخذوا منه.

٢ لم ينقل العلماء المسلمون العلوم التي اكتسبوها من هذه الكتب القديمة على الفور، إنما قاموا أولاً بتصحيحها.

٣ عندما تلقّى العلماء المسلمون المعرفة عن الإغريق والمصريين والهنود، كانوا على مستوى معرفي عالٍ، وكانت الأمم التي أخذوا عنها العلوم في مستوى أقل، لذلك كان اتجاه اكتسابهم العلوم من أسفل إلى أعلى، ماذا يعني هذا؟ الآن دعوني أشرح لكم ذلك..

لقد أخذ المسلمون المعرفة السابقة ممن هم في مستوى معرفي أقل منهم، من جهة أخرى عندما انتشرت الحروب الصليبية وبدأ الأوروبيون في الحصول على بعض المعرفة من المسلمين من خلال الاتصال بهم، لوحظت ثلاثة أمور:

(أ) لم يقل الأوروبيون عمن تلقوا هذه المعرفة قط! فقد قرأوا كتب المسلمين، لكنهم لم يشيروا في كتبهم ما هي المعلومات التي حصلوا عليها وعمن تلقوها، فلما قرأ الأوروبيون الآخرون هذه الكتب ظنوا

أن الكاتب كتبها بنفسه، هناك بعض الأشخاص الذين رُفع من شأنهم كثيراً، غير مستحقين هذا الشأن، في أوروبا بسبب ذلك، حتى أن أسماءهم ذُكرت في كتبنا اليوم وما زلنا نعتقد أنهم الذين وضعوا تلك المبادئ، بينما الحقيقة أنهم اكتسبوها من خلال قراءة كتب المسلمين، يا ترى هل هذا صحيح؟ سأعطيكم أمثلة لإثبات ذلك، دعونا أولاً ننهي هذه التفاصيل.

(ب) لقد تلقى الأوروبيون المعرفة من المسلمين دون أن يفهموها، كيف يمكن للشعب الأوروبي الموقر، الذي نعتبره اليوم عظيماً، ألا يفهم يا سيدي؟ سنرى معاً ما أخذوه دون فهم.

(ج) عندما أخذ الأوروبيون العلوم من المسلمين، لم يكن مستواهم المعرفي مناسباً لاكتساب هذه العلوم، بمعنى آخر: لقد أخذ الأوروبيون المعرفة من المسلمين من مستوى معرفي أعلى منهم. عندما كان الأوروبيون يدرسون تلك العلوم، لم تكن لغتهم تكفي لاكتسابها، لم يتمكنوا من فهم المفاهيم المذكورة في كتب المسلمين.

في القرن الثامن عشر، بدأوا فهم المفاهيم المذكورة في كتاب ترجموه في القرن الرابع عشر! يعني بعد أربعة قرون، وبعض العلوم فهموها بعد خمسة قرون!

الأخوة الأعزاء، باختصار: لقد بيّن المسلمون عمن أخذوا العلم، لم يأخذوها كما هي، إنما صححوها أولاً، كانوا على مستوى معرفي أعلى من الأمم التي تلقوا منها المعرفة لكن الغربيين لم يذكروا ماذا وممن أخذوا العلم، كان عليهم قضاء قرون عديدة لفهم المعرفة التي حصلوا عليها.

إننا نتحدث الآن عن هذه المواضيع هنا براحة، لكن المهم هو التحدث عنها أمام المستشرقين المعادين للإسلام ودفعهم لتقبلها، لذلك علينا أن نثبت أن القضايا التي تحدثنا عنها تتوافق مع الحقيقة.

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾



الصادعون بالحق

من تراث العلماء والدعاة الأسرى



د. علي العمري
فك الله أسره*

معالم النهوض
في المجتمع النبوي

لقد أفلح النبي ﷺ في تحويل مجتمع المدينة من مجتمع متنافر تسوده الفوضى وتحكمه الحروب وتعلو فيه راية الشرك، إلى مجتمع عماده التوحيد، وسِمته الألفة، وعنوانه الانضباط.. كيف فعل ذلك كله في عشر سنوات؟ وكيف استطاع أن يُخرج للدنيا أشرف جيل تَمَثّل الإنسانية في أعلى صورها، ومثّل الحضارة في أسنى دررها؟ وأية أسس دعوية وتربوية اتكأ عليها فبلغ بفضل الله ما بلغ من إصلاح وتوجيه؟

---

* د. علي العمري، أيام في المدينة، ط ١ (الرياض: الأمة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م)، ص١٥ وما بعدها.

سنحاول أن نجيب على هذه الأسئلة، ونحاول أن نبين معالم الخطوط العريضة التي سار عليها النبي ﷺ، ليكون ذلك معياراً لنا نقابل بينه وبين واقعنا، ونزن به مسيرتنا فنتبين وجوه الخلل، ونتهدّى إلى مواطن النقص. فإلى معالم النهوض أو الإصلاح النبوي في المجتمع المدني:

المعلم الأول: تحقيق الإخاء وحضارة البناء



أول خطوة صنعها النبي ﷺ في المدينة المنورة هي تحقيق الإخاء، حيث آخى بين المهاجرين والأنصار. وكانت هذه الأخوّة أخوّةً صادقةً عميقة، ولم تكن مجرد مظهر أجوف، وبلغ من قوتها أن كان الأخ ينزل لأخيه عن ماله وداره، ويتحدث في خاصة أمره، ويأمره وينهاه، ويتابعه في دقيق أمره وجليله، فيعظه بالقيام إذا رأى تقصيراً، ويلح عليه في الفطر إذا رآه أثقل على نفسه بالصيام! وهكذا يتعامل كل واحد منهم مع أخيه وكأنه يتعامل مع نفسه!

 وإنما بلغت هذه الأخوة هذا المبلغ بأمرين اثنين هما: تحقيق الألفة وإزالة الكلفة. أما الألفة فعلامتها أن يكون بين الأخوين أنس ومودة وأكل وشرب وعبادات مشتركة وزيارات خاصة، وهلم جراً من علائم الحب الصادق، والألفة العميقة. وأما زوال الكلفة فآيتهُ أن ينظر المرء لأخيه كما ينظر لنفسه حتى كأنهما روحان في بدن، فلا يستحيي من نصحه، ولا يبالي أن يشتد عليه إذا كان في ذلك مصلحتُه، ويرى مالَهُ

كمالِهِ يأخذ منه ويذر، ويحوطه في أهله وملكه كما يحوط نفسه.. إلى غير ذلك من علامات الانسجام الروحي، والتوافق النفسي.



ولما صح للنبي ﷺ ما أراد من تحقيق الإخاء كمل ذلك بحضارة البناء، إذ بناء الأخيار يعقبه بناء الديار. ولاحِظ أنني ما قلتُ هنا: (تشييد) البناء، بل قلت: (حضارة) البناء، لأن البناء وحده لا يعني شيئاً ما لم يكن مقترناً بالقيم الحضارية الأخلاقية. لقد شيد النبي ﷺ مسجده ولم يكن أكثر من بناء بسيط عماده اللبن وجذوع النخل، ولكنه كان موئل الحضارة، ومنبع الإنسانية، وعنوان التربية، ومعهد التعليم، ومُنْطَلَق الجيوش، كان صورة مثلى لحضارة البناء، وإن كان دون غيره في زخرف البناء.

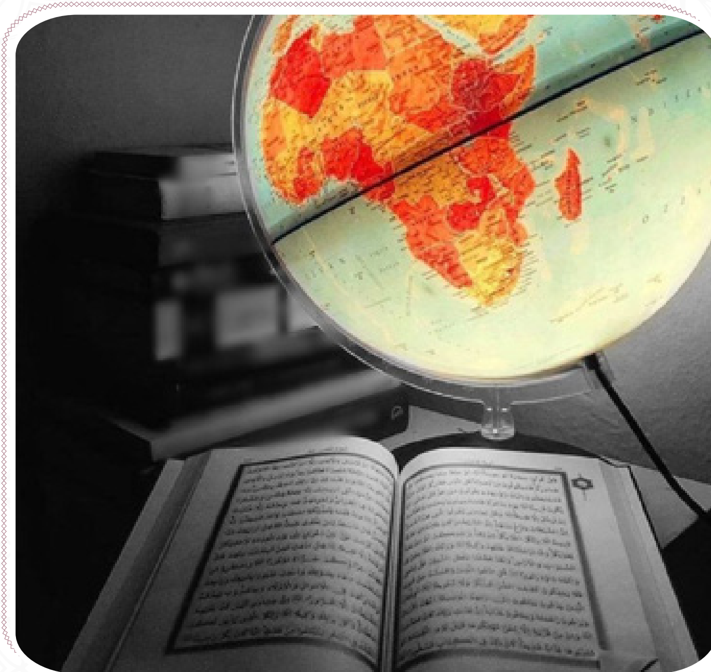
وحين جاء الهرمزان إلى المدينة زمن عمر بن الخطاب ذُهل مرتين، مرة حين رأى البناء المتواضع للمسجد النبوي، ومرة حين رأى عُمرَ رضي الله عنه نائماً تحت ظل شجرة قد توسّد إحدى يديه! عُمَر الذي كان ذكره يعطر الآفاق، ويملأ قلوب الملوك رعباً لا يملك قصوراً ولا ضِياعاً! وما ثَم إلا دار من طينٍ يتركها أحياناً ليقيل في ظل شجرة! والمسجد النبوي الذي كان منبعث الجيوش الفاتحة ليس أكثر من بناء سقفه من جريد النخل، ولكنه تضمن من اليقين والإيمان ما جعل عمر يضع فيه كنوز كسرى فلا يمسها أحد!

وحين رأى الهرمزان ما رأى من (حضارة البناء).. بناء الأخيار والديار، قال قولته الشهيرة: «عدلتَ فأمنتَ فنمتَ»[١]. وصدَق، فكيف لا يكون عادلاً من قال: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟!».

فلنتعلم ذلك.. ولتكن عنايتنا بحضارة البناء أكثر من عنايتنا بزخرفته وتجميله، إننا معاشر المسلمين لا نبني ليقول الناس: ما أحسن هذه المباني والمصانع والدور! لا، بل نبني ليكون ذلك البنيان رافداً من روافد الحضارة الإنسانية، ومشعلاً من مشاعل القيم، ولا يتحقق ذلك إلا بوسيلتين اثنتين:

- الوسيلة الأولى: صحة العَرض.
- والوسيلة الثانية: عمارة الأرض.

وأعني بصحة العرض أن يكون العلم الذي نحمله للناس فيه صلاح لهم، وخير، وموظفاً لترشيد الإنسانية وهدايتها، أو بعبارة أخرى: أن نكون ممثلين لمظاهر الحضارة لا لحضارة المظاهر. ما فائدة التقنية والعلوم والمعارف إذا أفضت إلى إفساد حياة الناس؟! ألم يقل سبحانه وتعالى عن الكافرين: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ



١ انظر: فضائح الباطنية للغزالي (ص٢١٢)، وفيض القدير (٤/٣٧٨).

﴿الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧]؟ إن هذه الآية تصور لنا ما نريد أحسن تصوير، إنها تتحدث عن قوم عندهم حضارة في الدنيا، عندهم معلومات وتقنيات وتطورات، ولكنها خاوية الجوهر، غارقة في الدنيوية المادية، منقطعة عن أنوار الآخرة. عندهم الآن الأموال والفنادق والعمائر وعجائب الصناعات، ولكن ذلك كله لا بركة فيه، تأتيهم الأمراض والأوجاع والفيضانات فتقضي على مليارات الدولارات!

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

المعلم الثاني: الجمع بين مطالب الدنيا وأشواق الآخرة

كان النبي ﷺ يحب أن يجمع أصحابه بين الدنيا والآخرة، وكان يربيهم على ألا يجور أحد منهما على قسيمه، وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه يتناوب هو وأخٌ له أنصاريّ على حضور مجلس النبي ﷺ، فكان أحدهما يذهب لرعي الغنم والآخر يحضر المجلس ثم يلتقيان فيحدث هذا أخاه بما سمع، فإذا كان الغد جلس الأول ورعى الثاني وهكذا[٢].



٢ رواه البخاري ومسلم، عن عمر رضي الله عنه.

وكان ﷺ يدخل إلى المسجد أحياناً فيرى بعض الصحابة في غير وقت صلاة، فينكر عليه جلوسه في المسجد في هذا الوقت؛ لأن هذا الوقت في الحقيقة هو وقت العمل والنزول إلى الميدان. وقد صح أنه ﷺ كان يكون في حاجة أهله ويتناول معهم طعامهم وشرابهم؛ فهذا هو الجمع بين مطالب الدنيا وأشواق الآخرة.

المعلم الثالث: العناية بالمظهر وصلاح المخبر

وذلك تكاملٌ جميل رسّخه النبي ﷺ في أصحابه، فكان أحدهم جميل المنظر حسن الثياب، نقي المخبر مخموم القلب. واستمع إلى وصف عثمان بن عفان رضي الله عنه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله: «اللهم عِلْمي به أن سريرته خير من علانيته»[٣].

وانظر إليه ﷺ يعظ صحبه في حسن المظهر فيقول: «إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رحالكم وأصلحوا لباسكم؛ حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس»[٤]. ويقول ﷺ: «حُبب إليّ من دنياكم النساء والطيب»[٥]. ويقول ﷺ: «إن الله جميلٌ يحبّ الجمال»، وكان ﷺ يستقبل الوفود في لباس خاص، ويجعل لمنبر الجمعة لباساً خاصاً.

وكان الشافعي رحمه الله وهو مَن هو في إمامته ينفق ثلث ماله في الطِّيب. وهذا كله يؤكد عناية الإسلام بمسألة الجمال.. جمال المظهر، ولكنه لا يكتفي بها بل يدعو المسلم إلى العناية بمخبره، وتنقية سريرته. وقد سُئل أحد أئمة السلف فقيل له: ما ترى في الرجل يلبس الجميل ويستجيد النعال؟ فقال له: «إذا اتقى الله فليلبس ما شاء».

---

٣ أخرجه ابن سعد في الطبقات، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق.
٤ رواه أحمد، وأبو داود واللفظ له، والطبراني في الكبير، من حديث سهل بن الحنظلية رضي الله عنه، وصححه الحاكم، وأقره الذهبي، وحسّن إسناده النووي في رياض الصالحين، ورمز له السيوطي بالصحة.
٥ أخرجه أحمد، والنسائي في عشرة النساء، وغيرهما وصححه الحاكم.

ولا شكّ أن للإسلام ضوابط في باب اللباس، ولكن ذلك لا يحجر على الناس أن يلبسوا جميلاً ويتخذوا جديداً، ما اتقوا واجتنبوا المحذور.

ومن لطيف الأخبار في هذا المعنى ما رُوي عن الحافظ الإمام ابن حجر رحمه الله، فقد ذُكر أنه ركب يوماً مركباً حسناً، ولبس حُلة فاخرة، فلقيه رجل فقير من يهود فقال له: أو لم يقل نبيكم: الدنيا سجن المؤمن وجَنة الكافر[٦]؟ قال: بلى.

قال اليهودي: أفهذا الذي أنت فيه سجن؟ أوَ هذا الذي أنا فيه جنة؟ فقال ابن حجر: «إنّ الدنيا سجن للمؤمن إذا قاسها بنعيم الآخرة الذي ينتظره، وإن الدنيا جنة للكافر إذا قاسها بعذاب الآخرة الذي ينتظره»!



ويا لها من نظرة فقيه! فمهما كان نعيم المؤمن في الدنيا.. فهو سجن إذا قيس بموعود الله للمؤمنين من نعيم الجنان. ومهما كان بؤس الكافر في الدنيا.. فهو جنة إذا قيس بعذاب جهنم والعياذ بالله.

---

٦ رواه مسلم عن أبي هريرة له.

المعلم الرابع الإيمان بشمولية العقيدة والعبادة

الإيمان في المنهج النبوي ليس ألفاظاً تُقال فحسب، بل هو قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجَنَان. قال ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن.. من لا يأمَن جاره بوائقه»[٧]. وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[٨]. وقال ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[٩].



هذه النصوص صريحة الدلالة في أنّ الإيمان ليس اعتقاداً قلبياً فحسب، بل هو ممارسة يومية حياتية، وتعامل إنساني راق مع البشر، وبهذا يظهر أثر إيمان المؤمن في عمله وبيته وحيه وشارعه، وفي كل تصرف من تصرفاته.

هناك إذن شمول في مفهوم العقيدة، ويقابله أيضاً شمول في مفهوم العبادة؛ فليست العبادة في المنهج النبوي المدني طقوساً وشعائر تؤدى فحسب، بل هي شاملة لكل فعل صالح من أفعال الإنسان ما دام يحتسب فيه النية ويبتغي مرضاة الله. إن المؤمن ليتعبد بأكل

---

٧ رواه البخاري في الأدب من حديث أبي شريح الله.

٨ رواه البخاري في الأدب، ومسلم في الإيمان، من حديث أبي هريرة له.

٩ رواه مسلم في الإيمان، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

طعامه، وراحة منامه، ودرس علمه، وإنجاز عمله، والجد في وظيفته، والنفقة على أهله، وإدخال السرور على من حوله، والاستماع إلى المباح من الإنشاد ومشاهدة الجائز من البرامج المسلية.. كل هذه مع حسن القصد عبادات يؤجر عليها الإنسان، وترتفع بها درجته. وهل أبلغ من قوله ﷺ: «وَإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَةٍ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ حَتَّى اللُّقْمَةُ الَّتِي تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ؟»[١٠].

وهذه العبودية الشاملة تقوم على أمرين اثنين: إرساء المنهج وجودة المنتَج؛ فلا بد أن تكون العبادة على منهج الكتاب والسنة، ولابد كذلك أن تكون متقنة، فليست العبرة بكثرة التعبد فحسب، بل العبرة بالخشوع والإتقان وحضور القلب، وركعتان في سكينة وإقبال خير من عشرة في غفلة وسهو. وقل مثل ذلك في جوانب العبادة الأخرى، فالتفرغ لوظيفة وإتقانها بنية التعبد خير من مزاحمة الوظائف والمهام دون إتقان وتجويد. وفي الحديث: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»[١١].



المعلم الخامس: تحقيق العدل وكثرة البذل

أتى عباد بن شرحبيل رضي الله عنه إلى المدينة، فدخل حائطاً من حيطانها، فأخذ سنبلاً ففركه فأكل منه، وجعل منه في ثوبه، فجاء صاحب الحائط فضربه وأخذ ثوبه، فأتى عباد النبي ﷺ، فقال: «ما علّمته إذ كان جاهلاً، ولا أطعمته إذ كان جائعاً»، فردّ عليه الثوب وأمر له بنصف وسق أو وسق[١٢].

---

١٠ رواه البخاري. ١١ رواه البيهقي في الشعب، وصححه الألباني. ١٢ رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وهو في السلسلة الصحيحة.

في هذه القصة صورة مشرقةٌ من (معلم العدل) الذي أقامه النبي ﷺ، العدل الذي ينظر للمسألة من كافة جوانبها قبل أن يصدر حكمه، فالنبي ﷺ لم يعجل بعقوبة عبّاد، بل التفت إلى ما كان عليه من شدة الجوع والحاجة والفاقة، فراعى ذلك مع أنه هو الذي قال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لو أنَّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[١٣].

وانظر كذلك إلى موقف النبي ﷺ من أبي ذر لما قال لرجل: يا ابن السوداء، فقد غضب ﷺ وقال لأبي ذر: «أعيّرته بأمه؟!»[١٤].

وأما البذل فقد ربى النبي ﷺ أصحابه عليه، فهم يبذلون الغالي والنفيس نصرة لدينهم، ويبذلون من أوقاتهم وأموالهم وخبراتهم كل ما يستطيعون، خدمةً لنبيهم وتعريفاً بإسلامهم.

وكان من ثمرة التربية النبوية على كثرة البذل أن صار كل إنسان في ذلك المجتمع الراشد يعطي ويبذل، فكل بيت من بيوت المسلمين بالمدينة كانت له إسهامات في نصرة الدين، إما بمال أو بنفس أو بقول أو بجُهد. وليس هناك بيت عاطل.

---

١٣ رواه البخاري، ومسلم، من حديث عائشة رضي الله عنها.

١٤ رواه البخاري، من حديث أبي ذر له.



م. خالد حربي

فك الله أسره

ميراث المرأة بين

الإسلام والأديان الأخرى

يدرك أعداء الإسلام أن الدور العظيم الذي تقوم به المرأة المسلمة في واقع أمتها وفي خدمة دينها؛ لذلك لا تفتأ رحى الحرب تدور تجاه المرأة المسلمة بهدف إفسادها؛ لأنه إذا فسد الرجل فإنه يفسد نفسه أما إذا فسدت المرأة فإنها تفسد أسرة بكاملها، ومن أهم محاور الحرب على المرأة المسلمة محاولة إخراجها من الانتماء والتحاكم إلى شريعة الإسلام؛ بزعم أن هذه الشريعة قد غبنتها مكانتها وهضمتها حقها.

---

* خالد حربي، مقال: ميراث المرأة بين الإسلام والأديان الأخرى، موقع إلكتروني: طريق الإسلام، ٢٠٠٨م.

ومن أمثلة ما يشيعونه لهذا الغرض هو زعمهم أن الشريعة ميزت الرجل على المرأة في الميراث، فأعطتها دائمًا نصف ما للرجل، وهذا من الكذب الصريح على الإسلام، فحقيقة الأمر أن الإسلام وضع قاعدة العدل الإلهي في تعاملاته، وهي: «المساواة بين المتماثلات والتفريق بين المتباينات»، وهذا هو العدل الحقيقي الذي تحتاجه البشرية، فيرضى ضميرها وتنعم سريرتها وتستقر حياتها.

وفي مجال الميراث لم ينظر الإسلام إلى نوع الوارث وجنسه، لكنه نظر إلى اعتبارات ثلاثة، وقسّم الميراث على أساسها:



- **الاعتبار الأول: درجة القرابة بين الوارث ذكرًا كان أو أنثى وبين المُوَرَّث المتوفَّى، فكلما اقتربت الصلة..** زاد النصيب في الميراث.. وكلما ابتعدت الصلة قل النصيب في الميراث، دونما اعتبار لجنس الوارثين.. فابنة المتوفى تأخذ مثلاً أكثر من والد المتوفى أو أمه.

- **الاعتبار الثاني: موقع الوارث من الحياة..** فالأجيال التي تستقبل الحياة، وتستعد لتحمُل أعبائها، عادة يكون نصيبها في الميراث أكبر من نصيب الأجيال التي تستدبر الحياة وتخفف من أعبائها، بل وتصبح أعباؤها -عادةً- مفروضة على غيرها، وذلك بصرف النظر عن الذكورة والأنوثة للورثة؛ فبنت المتوفى ترث أكثر من أمه -وكلتاهما أنثى- وترث البنت أكثر من الأب! حتى لو كانت رضيعة لم تدرك شكل أبيها..

وحتى لو كان الأب هو مصدر الثروة التي للابن، والتي تنفرد البنت بنصفها! وكذلك يرث الابن أكثر من الأب، وكلاهما من الذكور.

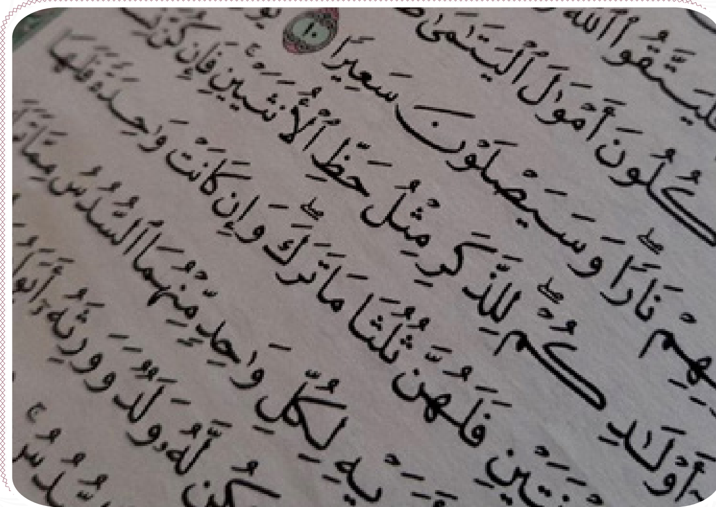


- **الاعتبار الثالث: التكليف المالي الذي يوجبه الشرع على الوارث حيال الآخرين..** وهذا هو الاعتبار الوحيد الذي يفرّق فيه بين الذكر والأنثى.. ليس باعتبار الجنس، ولكن باعتبار التكليف والأعباء المالية. فإذا ما تساوى الورثة في القرابة، وفي موقعهم من الحياة فكانوا جيلاً واحدًا كالأخوة أو الأبناء، هنا ينظر الشرع إلى التكاليف والأعباء المالية المناطة بهم. فالأخت المتزوجة هي في إعالة زوجها، لكنها ترث نصف أخيها الذي يعول زوجته وأولاده، فإذا كانت أخته غير متزوجة فهو يعولها أيضًا فترث نصفه ومالها ذمة مالية خاصة بها لكنه لا يزال مسئولاً شرعًا عن رعايتها وكفالتها، وكذا الحال مع الأبناء. لذلك قال الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].

فتفريق الشرع هنا ليس تفريق بين المتماثلات، لكنه تفريق بين المتباينات التي يجب التفريق بينها. فالشرع يوجب على الرجل مهراً للمرأة، لكنه لا يوجب على المرأة مهراً للرجل. كذلك على الرجل إعداد مسكن الزوجية وتجهيزه، ثم الإنفاق على المرأة وإعالتها هي وأولادها، كذلك يجب على الرجل الغرامات كالديات والقصاص. حتى في حالة الطلاق لا يترك الشرع المرأة لمواجهة أعباء الحياة بمفردها فيلزم زوجها السابق بنفقة متعة أو نفقة كفالة، ما دام لم تتزوج المرأة من زوج آخر.

وبناء على هذه التكاليف والأعباء المالية أعطى الإسلام للرجل في حالة تساوي درجة القرابة وموقعها من استقبال الحياة.. أعطاه ضعف المرأة وألزمه بالإنفاق عليه وإعالتها. وهو ما يعطي المرأة مكانة مميزة ومعتبرة في أحكام الميراث في الشريعة الإسلامية.

وانحصرت حالات هذه الاعتبار في أربع حالات فقط:



١ في حالة وجود أولاد للمتوفى، ذكورًا وإناثًا (أي الأخوة أولاد المتوفى) لقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].

٢ في حالة التوارث بين الزوجين، حيث يرث الزوج من زوجته ضعف ما ترثه هي منه. لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١٢].

٣ يأخذ والد المتوفى ضعف زوجته هو إذا لم يكن لابنهما وارث، فيأخذ الأب الثلثين وزوجته الثلث.

٤ يأخذ والد المتوفى ضعف زوجته هو نفسه إذا كان عند ابنهما المتوفى ابنة واحدة، فهي لها النصف، وتأخذ الأم السدس ويأخذ الأب السدس (والباقي تعصباً).

 وفي المقابل نجد أن الإسلام أعطى المرأة في كثير من الأحوال مثل الرجل:

١ في حالة وجود أخ وأخت لأم في إرثهما من أخيهما، إذا لم يكن له أصل من الذكور ولا فرع وارث (أي ما لم يحجبهم عن الميراث حاجب). فلكل منهما السدس، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ﴾ [النساء: ١٢] أي لا ولد له ولا أب (وله أخ أو أخت) أي لأم ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢].

٢ إذا توفي الرجل وكان له أكثر من اثنين من الأخوة أو الأخوات فيأخذوا الثلث بالتساوي.



٣ فيما بين الأب والأم في إرثهما من ولدهما إن كان له ولد أو بنتان فصاعدًا: لقوله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١١].

٤ إذا ماتت امرأة وتركت زوجاً وأختاً شقيقة: فلكل منهما النصف.

٥ إذا ماتت امرأة وتركت زوجًا وأختًا لأب: فلكل منهما النصف.

٦ إذا ماتت امرأة وتركت زوجاً وأمًا وأختًا شقيقة: فللزوج النصف، وللأم النصف، ولا شيء للأخت (عند ابن عباس).

٧ إذا ماتت امرأة وتركت زوجاً وأختاً شقيقة وأختاً لأب وأختاً لأم: فللزوج النصف، والأخت الشقيقة النصف، ولا شيء للأخت لأب وللأخ لأب.

٨ إذا مات الرجل وترك ابنتين وأبًا وأمًا: فالأب السدس والأم السدس ولكل ابنة الثلث.

وهناك أيضًا حالات أعطى الشرع فيه للمرأة أكثر ما أعطى للرجل:

١ إذا مات الرجل وترك أمًا وابنتين وأخًا، فالابنة هنا ترث ضعف ونصف ضعف الأخ.

٢ إذا مات الأب وترك ابنةً وأمًا وأبًا، فتأخذ الابنة ضعف ونصف الأب أيضًا.

٣ إذا مات الرجل وترك ابنتين وأبًا وأمًا فالابنة هنا ترث ضعفين الأب.

٤ إذا ماتت امرأة وتركت زوجًا وأمًا وجدًا وأَخَوَين للأم وأخَّين لأب.

٥ إذا مات رجل وترك ابنتين وأخًا لأب وأختًا لأب: فلكل من الشقيقتين الثلث وسهم كل منهما ٣، والباقي يأخذ منه الأخ الثلثين وأخته الثلث.

وهناك حالات ترث فيه المرأة ولا يرث الرجل أصلاً:

١ إذا مات وترك بنتًا وأختًا وعمًا: فللابنة النصف وللأخت النصف، ولا شيء للعم.

٢ إذا ماتت امرأة وتركت زوجًا وأختًا شقيقة وأختًا لأب وأختًا لأم: فللزوج النصف، والأخت الشقيقة النصف، ولا شيء للأخت لأب وللأخ لأب.

٣ إذا ماتت وتركت زوجًا، وأبًا، وأمًا، وابنةً، وابنة ابن، وابن الابن: فللزوج الربع وسهمه ٣، ولكل من الأب والأم السدس وسهم كل منهما ٢، والابنة النصف وسهمها ٦، ولا شيء لكل من ابنة الابن وابن الابن، أي الابنة ورثت ستة أضعاف ابن الابن.

٤ إذا ماتت وتركت زوجًا وأمًا وأَخَوَين لأم وأخ شقيق أو أكثر. للزوج النصف وسهمه (٣) وللأم السدس وسهمها (١)، وللإخوة لأم الثلث وسهم كل واحد منهما (١) وتصح من (٦)، ولا يبقى للأشقاء ما يرثونه. (عمر بن الخطاب).

٥ إذا ماتت امرأة وتركت زوجًا وجدًا وأمًا وأخوة أشقاء وأخوة لأم: فللزوج النصف، وللجد السدس، وللأم السدس، وللأخوة الأشقاء الباقي، ولا شيء لأخوة الأم.



والمستقرئ لعلم المواريث في الإسلام يجد أن هناك أكثر من ثلاثين حالة تأخذ فيها المرأة مثل الرجل، أو أكثر منه، أو ترث هي ولا يرث نظيرها من الرجال، في مقابلة أربع حالات محددة ترث فيها المرأة نصف الرجل.. فهل يُعقل بعد هذا أن يأتي أحدهم فيقول: إن الإسلام ظلم المرأة في الميراث؟

نظرة على ميراث المرأة في الشرائع الأخرى

لكن دعونا في المقابل نطلع على ما أعطته الشرائع الأخرى للمرأة من حق في الميراث؟ فالميراث في الكتاب المقدس للذكور فقط: «١٥إذَا كَانَ لِرَجُلٍ امْرَأَتَانِ إِحْدَاهُمَا مَحْبُوبَةٌ وَالأُخْرَى مَكْرُوهَةٌ فَوَلَدَتَا لَهُ بَنِينَ المَحْبُوبَةُ وَالمَكْرُوهَةُ. فَإِنْ كَانَ الابْنُ البِكْرُ لِلمَكْرُوهَةِ ١٦ فَيَوْمَ يَقْسِمُ لِبَنِيهِ مَا كَانَ لَهُ لا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُقَدِّمَ ابْنَ المَحْبُوبَةِ بِكْرًا عَلَى ابْنِ المَكْرُوهَةِ البِكْرِ ١٧ بَل يَعْرِفُ ابْنَ المَكْرُوهَةِ بِكْرًا لِيُعْطِيَهُ نَصِيبَ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يُوجَدُ عِنْدَهُ لأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ قُدْرَتِهِ. لَهُ حَقُّ البَكُورِيَّةِ» (تثنية ٢١: ١٥-١٧).

ولا ترث الإناث إلا عند فقد الذكور: «١ فَتَقَدَّمَتْ بَنَاتُ صَلُفْحَادَ... ٢ ووَقَفْنَ أَمَامَ مُوسَى... قَائِلاتٍ:٣ أَبُونَا مَاتَ فِي البَرِّيَّةِ... ولَمْ يَكُنْ له بَنُونَ. ٤ لِمَاذَا يُحْذَفُ اسْمُ أَبِينَا مِنْ بَيْنِ عَشِيرَتِهِ لأَنَّهُ لَيْسَ له ابْنٌ؟ أَعْطِنَا مُلْكًا بَيْنَ أَعْمَامِنَا». ٥ فقدّم موسَى دَعْوَاهُنَّ أَمَامَ الرَّبِّ. ٦ فَقَال الرَّبُّ لِمُوسَى: ٧ (بِحَقٍّ تَكَلَّمَتْ بَنَاتُ صَلُفْحَادَ فَتُعْطِيهِنَّ مُلكَ نَصِيبٍ بَيْنَ أَعْمَامِهِنَّ، وَتَنْقُلُ نَصِيبَ أَبِيهِنَّ إِلَيْهِنَّ.٨ وتَقُول لِبَنِي إِسْرَائِيل: أَيُّمَا رَجُلٍ مَاتَ وَلَيْسَ له ابْنٌ تَنْقُلُونَ مُلكَهُ إلى ابْنَتِهِ. ٩ وَإِنْ لم تكُنْ له ابْنَةٌ تُعطوا مُلكَهُ لإِخْوَتِهِ. ١٠ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِخْوَةٌ تُعْطُوا مُلكَهُ لأَعْمَامِهِ. ١١ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لأَبِيهِ إِخْوَةٌ تُعْطُوا مُلكَهُ لِنَسِيبِهِ الأَقْرَبِ إِلَيْهِ مِنْ عَشِيرَتِهِ فَيَرِثُهُ). فَصَارَتْ لِبَنِي إِسْرَائِيل فَرِيضَةَ قَضَاءٍ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى» (عدد ٢٧: ١-١١).

وقد نصت المادة السابعة عشرة بعد المائتين من القانون الفرنسي على ما يلي: «المرأة المتزوجة -حتى لو كان زواجها قائمًا على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها- لا يجوز لها أن تهب، ولا أن تنقل ملكيتها ولا أن ترهن، ولا أن تملك بعوض أو بغير عوض دون اشتراك زوجها في العقد أو موافقته عليه موافقة كتابية».

وظلت المرأة في القانون الإنجليزي تباع من زوجها لآخر بست بنسات، واستمر هذا القانون ساريًا حتى عام ١٨٠٥م، فيما اعتبر قانون الثورة الفرنسية المرأة قاصرًا كالصبي والمجنون، ومنعها من التصرف في ممتلكاتها إلا بوصاية أحدهم عليها، واستمر ذلك حتى عام ١٩٣٨م.

وعندما أراد الغير أن يغير الظلم الواقع على المرأة رماها بظلم أكبر فجردها من أنوثتها ونفسيتها وكيانها وتميزها، فساواها بالرجل في الأعباء والتكاليف فجنى عليها أشد جناية جعلت منها جسدًا بلا روح وكيانًا بلا حياة، فشقاء المرأة يستمر ببعدها عن الإسلام لأنه وحده القادر على سياستها، وإرضائها ومواءمة فطرتها؛ لأنه وحده دين الله العليم الحكيم.



الشيخ إبراهيم بن عبد الله الدويش

فك الله أسره

تاريخ الصهاينة الأسود

الحمد لله عز وقهر، وعز واقتدر، ذي البطش والجبروت، لا محيد عنه ولا مفر...

مما هو معلومٌ مشهور أن من أسباب رفع الضعف والهوان الذي أصاب أمة الإسلام، معرفة حقيقة الأعداء، وطبيعة عداوتهم ومكرهم، وما يدور هذه الأيام مع الأنذال من بني صهيون، ومكرهم وحقدهم على الإسلام، وغرورهم وتكبرهم، وجرأتهم على الدم المسلم، وعلى مقدسات الدين.. لَيدعونا إلى التذكير بأصلهم وبتاريخهم الأسود، الذي يحاولون اليوم تغييره، يحاولون طمسه على لسان بعض أبناء جلدتنا، من منافقي هذا الزمان، وللأسف يحاولون طمسه بشتى الوسائل من ذاكرة الأجيال الحاضرة، بل والقادمة، مما دعاهم إلى

---

* موقع إلكتروني: طريق الإسلام، مقتبس من خطبة بعنوان: صهينة الصهاينة، للشيخ إبراهيم بن عبد الله الدويش، بتاريخ ٢٠١٤م.

محاربة الكثير من المناهج التعليمية في البلاد العربية، والتي تشير إلى شيء من مواقفهم المخزية مع كل الناس، وكل الأجناس، بل دعاهم إلى الحرب الإعلامية الضروس على وسائل التواصل اليومي، وعلى القنوات كلها يحاولون أن يُلمّعوا صورتهم.

لكن هيهات هيهات! هيهات هيهات! فهناك آيات! فهناك آيات! تتلى إلى يوم القيامة: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢]، وعداوة اليهود مبكرة، تشهد بخستها القرون الغابرة، وتؤكدها القرون اللاحقة، فأنبياؤهم فريقًا كذبوا وفريقًا يقتلون، بل أكّد القرآن -يا أمة القرآن- أنّ من أهم صفاتهم نقضهم للعهود: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦]، ويقول الحق عز وجل: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠]، هذه شهادة القرآن، فما هي شهادة الواقع على هؤلاء الأقوام؟

لقد عاهدهم الرسول ﷺ، وكتب بينه وبينهم كتاباً حين وصل المدينة، فيا ترى هل التزموا العهد، واحترموا الميثاق؟



كلا! فقد غدر يهود بني قينقاع بعد غزوة بدر وانتصار المسلمين على المشركين، والمعاهدة لم يمض عليها إلا سنة، وغدرت يهود بني النضير بعد غزوة أحد، وتجرأوا على المسلمين بعدما أصابهم في غزوة أحد،

وغدرت بنو قريظة ونقضوا عهدهم في أشد الظروف وأحلكها على المسلمين يوم الخندق، فإذا كانت هذه أخلاقهم مع من يعلمون صدقه، ويعتقدون نبوته، فيا ترى هل يُرجى منهم حفظ العهود مع الآخرين؟



هل يُتوقع صدق اليهود في معاهداتهم مع من يرونهم أضعف وأقل شأناً؟

إن اليهود قومٌ بهتٌ، كما قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه، الذي كان يهودياً فأسلم، فهم ينظرون إلى العهود وإلى المواثيق التي يوقعونها مع غيرهم على أنها للضرورة ولغرضٍ مرحليّ، ولمصلحة آنية، فإذا استنفد الغرض المرحلي أهدافه، نقض اليهود الميثاق، من غير استشعار بأي اعتبار خُلقيّ، أو التزام أدبيّ، أو سياسيّ، أو إنسانيّ.

فإذا كانت تلك شهادة القرآن، وتلك شهادة الواقع التاريخي على اليهود، فإن من الجهل أخوة الإيمان، بل والله من الحمق! الثقة بأي معاهدة يبرمها اليهود، وبأي اتفاق يتم معهم، وقد حكم القرآن فيهم وفضحهم، فعلى المسلمين ألا يطمعوا في ودّ بني إسرائيل في يوم من الأيام، أو في مسالمتهم، ولو تركت الأفاعي لدغها، لما تركت اليهود غدرها! إذ أنهم ينطلقون من صراعٍ عقائدي، حسداً من عند أنفسهم.

وما صنيعهم اليوم وأذنابهم، وللأسف ما مجازرهم اليوم في غزة وفي غيرها مع إخواننا في فلسطين، إلا من شواهد ودلائل ذلك الحقد الدفين في نفوسهم للمسلمين. ولقد اطلع العالم كله على خذلاننا لأهل غزة، ولكن الله ينصر من يشاء من عباده المؤمنين، إن الله تعالى هو الناصر.

إخوة الإيمان، إن الله تعالى هو القوي هو العزيز، هو الجبار، هو مالك الملك، هو المتصرف سبحانه، هو الذي إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون! فلا تطمعوا باليهود ولا بأذنابهم، ولكن ثقوا بربكم، اعتمدوا على ربكم، توكلوا على الله يا أهل القرآن، يا أصحاب سورة البقرة وآل عمران، والتوبة والأنفال، يا مرتلي الصف والقتال، أحسنوا التلقي عن كتاب ربكم، افهموا طبيعة يهود وأشياعهم فهمًا قرآنيًا، وليس فهمًا اقتصاديًا ولا سياسيًا ولا إعلاميًا، بل فهم القرآن وآيات القرآن.. تعاملوا معهم تعاملًا قرآنيًا، إنهم يحاربوننا باسم الدين، يحاربوننا باسم التوراة وقد سَمّوا دولتهم إسرائيل، وإسرائيل اسم نبي من أنبياء الله اسمه يعقوب بن إبراهيم الخليل عليهم السلام. وهم يجمعون شتاتهم باسم التوراة، حتى المدن، حتى الأقاليم في فلسطين أطلقوا عليها أسماء دينية توراتية.

فساسة اليهود وزعماؤهم وإن كان أكثرهم علمانيين لا يقيمون للدين وزنًا، إلا أنهم يعلمون تمام العلم أن قضيتهم لا يمكن أن تنجح أبدًا إلا إذا أعلنوها باسم الدين، وباسم التوراة، فيا ليت أن علمانيّ هذا الزمان يفهمون هذا الفهم! يا ليت علمانيّ المسلمين هنا وهناك يفهمون هذا الفهم الذي أرشدنا إليه القرآن..



فهل نقاتلهم نحن بعد ذلك باسم الأرض، أو باسم التراب، أو باسم العروبة؟

أي منطقٍ هزيلٍ هذا الذي يمكن أن يقف أمام منطق أمه ترفع راية التوراة والدين في وجهنا، ماذا صنعت الوطنية، يا ترى ماذا صنعت الترابية والقومية العنصرية منذ أكثر من ٥٠ سنة؟ ماذا صنعت في مواجهة الأمة اليهودية؟



لقد هُزمت هزائم متكررة متتالية، ولما وقفت هذه الأيام ثلة قليلة مؤمنة صابرة مجاهدة، فضحوا وهتكوا أسطورة اليهود، فضحوا وهتكوا أسطورة الجيش اليهودي الذي لا يُقهر، لنعلم أن النصر من الله: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، فقد أظهر الله رُعبهم، وأظهر الله فرقتهم، وصدق سبحانه وتعالى، إن كنا ننطلق من منطلق قرآني، صدق الله عز وجل: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

لا تظنوا أن يهود اليوم صفٌ واحدٌ، وبنيانٌ مرصوصٌ، كلا والله! فبنيانهم أوهى من بيت العنكبوت، لقد أثبت أهل غزة وأهل فلسطين هذه الأيام على مرأى ومسمع من العالم، رغم اختلاف القُوى، رغم تباين كل المعطيات على أرض الواقع، تلك المعطيات الحسيّة المادية التي غرق الناس اليوم فيها، ونسوا تلك الأدلة الإيمانية القرآنية البرهانية، نعم نسوها: ﴿وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ﴾ [العنكبوت: ٤١].



وما يخيل لبعض المسلمين اليوم من هيبة اليهود، ومن قوة اليهود، ومن اجتماع كلمة اليهود، إنما يبرز بسبب واقع المسلمين من الضعف والفرقة والشتات، وسيبصر المسلمون حقيقة الحال، سيتأكدون من وصف القرآن إذا صلحت أحوالهم، إذا عادوا إلى كتاب ربهم، إذا التزموا شريعته، هناك يزول السراب، هناك يزول السراب الخادع، تذهب الغشاوة عن العيون، ويأذن الله بنصرة المسلمين، ويفرّ اليهود كما تفر الفئران من أرض المعركة، يحتمون بالقصور وبالحصون، غير قادرين على مواجهة المسلمين، وحينها يعلم المسلمون مصداق قول الله تعالى، فيا ليت أننا نقرأه بقلوبنا لا بمجرد ألسنتنا: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

فيا الله! ما أعظم خطاب القرآن! يخاطب المسلم في وجدانه، يخاطبك في عقلك، يخاطبك في حسك وعصبك، وفكرك وجسدك، حكم قرآني لا تشوبه شهوات، ليست آراء، وليست أقوال فلان أو علان، إنما آيات، ليست شبهات، بل حقائق يا عباد الله، حقائق اليقين من رب العالمين: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ألا ترون كيف اجتمعوا يدًا واحدة على المسلمين من أهل السنة في كل مكان؟ أي بيوت تهدم؟ أليست بيوت المسلمين من أهل السنة؟! أي دول تُؤذى وتُفرق وتُقتل، أليست دول أهل السنة؟! أي إنسان

أو أي جماعات تُقتل هنا وهناك؟ تأملوا في بقاع الأرض في غربها وشرقها، في شمالها وجنوبها، من الذي يُؤذى؟ من الذي يُقتل؟ من الذي يُظلم؟ من الذي يُهدم بيته؟ من الذي يُساح دمه على الأرض؟ أليسوا من المسلمين من أهل السنة؟

 ثم يقولون إرهاب أهل السنة! فإنا لله وإنا إليه راجعون.



إذا اختلفت المفاهيم، وقِيست الأمور والوقائع بالآراء والأهواء، تغيّرت وتقلّبت، وإذا قيست الأمور بكتاب الله، وبسنة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، عرفنا الحقيقة إخوة الإيمان، عرفنا الحقيقة التي يجب أن لا نحابي أحداً فيها مهما كان: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧]، هكذا هي حقيقة القرآن: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].



د. حسام أبو البخاري
فك الله أسره*

هم من قَتل ونحن من استُشهد

١

إن أخطر وأعظم ما حدث للعقل المسلم في القرنين الماضيين، هو أنه أصبح ينظر لنفسه وللمسلمين من حوله من خلال نظرة أعدائه له ولدينه!

- أصبح يرى نقاب المرأة المسلمة غريباً! مع أن القرون الحوالي كانت فيها نساء مصر والعرب جميعاً منتقبات.. حتى جدة (نجيب ساويرس) كانت منتقبة!

- أصبح يرى الحدود شيئاً دموياً !مع أن هذه الحدود ليست من إنتاج صاحب (تمام المنة) ولا (البنا) في رسائله! إنما موجودة في كتاب رب العالمين!

* حسام أبو البخاري، مقال: هم من قتل ونحن من استشهد، ٢٠١٣م، موقع إلكتروني: منتدى حراس العقيدة.

- أصبح يرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقييداً للحريات وتعدياً على الحقوق الشخصية !مع أن خيرية الأمة التي ينتمي لها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!

- أصبح يرى سادة أمته من المجاهدين، في العراق وأفغانستان والبوسنة وفلسطين، على أنهم شرذمة متطرفة إرهابية الهوى تكفيرية النفَس !مع أنه في نفس الوقت ينظر إلى (جيفارا) و(كاسترو) بنظرة اعتبار واحترام!

إنه التوحد مع الخصم.. إنه التعاطف مع العدو!



يحدثنا النفسانيون عن (متلازمة ستوكهولم) ذلك المرض النفسي الذي يتوحد فيه المريض مع الذي يعذبه ويضطهده ! كان د. نصر حامد أبو زيد -على الرغم من كارثية أطروحاته- يتساءل: **هل الغرب مكترث بنظرتنا له كما نحن مهتمون ومولعون بنظرته لنا؟!**

والإجابة بالطبع: لا! الغرب لا يعبأ بتصوراتنا عنه ولا بالصورة النمطية التي في أذهاننا عنه.

ماذا حدث إذن؟! كيف أصبحنا نفكر بمنهج ليس بمنهجنا؟! نحلل بآليات ليست آلياتنا! مركزية تفكيرنا ليست ديننا وواقعنا ومشاكلنا إنما مركزية أخرى وهمية ومستوردة!

كيف استبدلنا الذي هو أدنى بالذي هو خير؟! إنه الاحتلال المباشر على الأرض.. إنّها النخب العسكرية الوظيفية -الاحتلال غير المباشر -إنّه احتلال العقول.. إنه الإعلام الإمبريالي.. إنه (ماسبيرو) وأتباعه.. إنها إذاعات (أحمد سعيد) وغيره.. إنها وزارات الثقافة.. إنهم النخب المثقفة -قالوا -إنه التعليم.. إنها كرة القدم.. إنها أفلام السينما.. إنها المسرحيات.. إنها المسلسلات.. إنها الجرائد الصفراء.. وكلها فاقعة ألوانها.

احذر! كل هؤلاء وغيرهم لا يتركونك.. لا يتركونك تفكّر لحظة واحدة منذ أن تولد !من الرحم إلى المقبرة أينما تكُن يكونوا!

تصوّر.. كل هذا من أجلك أنت؟! بالفعل إنه من أجلك!

من أجل أن تأكل (الماكدونالدز) وتشرب (البيبسي) وتشاهد (مِل جيبسون) ثم ترجع بظهرك للخلف على أريكتك الكلاسيكية تقول: لقد قتلنا أسامة!

استيقظ يا فتى.. هم من قَتل ونحن من استُشهد!



٢

استيقظَ الفتى على صوت داخله ينفض عقله ووجدانه نفضاً قائلاً له: «هم من قَتل ونحن من استُشهد».

سأل نفسه: كيف حدث له هذا؟ كيف أصبح يرى بمنظور الانجلوسكسونية؟ كيف أصبح يحكم على الأمور من خلال رؤية علمانية غربيّة؟ كيف أصبح المجتمع المسلم يقوم هو بنفسه بدور المستشرق والمتغرب على بنيته الإسلامية المعرفية؟

فوجد د. جلال أمين يقول له: «النظم الاجتماعية تتغير وتتحول ببطء وبالتدريج، قد تطرأ عليها من التطورات ما قد يجعلها في النهاية شيئًا مختلفًا جدًا عمّا كانت عليه في البداية، وقد يحدث هذا دون أي ثورة أو انفجار، بل وربما حدث هذا والناس مستمرون في إطلاق نفس الاسم عليها، وكأن شيئًا لم يحدث»[1].

وبالفعل هذا ما حدث للمجتمعات المسلمة؛ تغيرت تدريجياً في تصوراتها الكونية، وفي مصادر تلقيها، وفي تراكيب عقليتها، عبر مراحل من الاحتلال الفكري والغزو العاطفي والانسحاق الحضاري، وكان المنتج النهائي مبهراً للغرب..



- كان المنتج النهائي مسخاً مشوهاً اسمه عُمَر وفي داخله (هنري)!
- يصلي الخمس ولكنه ينتقد مَن يربي لحيته!
- يتزوج على مذهب أبي حنيفة النعمان، ولكنه كاثوليكي المذهب في تعدد الزوجات!
- يعتمر كل سنة، ولكنه ينظر إلى عملية تفجير القاعدة الإيطالية بالناصرية في العراق على أنه عمل همجي انتحاري!
- يتصدق على الخدامين والبوابين ولكنه ينزعج ممن يذكّره بالزكاة !

---

١ مستقبليات مصر والعرب والعالم في منتصف القرن، ص٢١.

منسحق أمام الغرب.. هذا المسخ يراهم قوة لا تُقهر، وإمبراطورية لا تُغلب، ويجهل هذا المسكين أن الطلبة (الطالبان) الحفاة العراة يؤرخون للعالم كيف هزم شعب أبيّ قوات أمم غازية سُميت سابقاً بـ(الناتو)!

كيف حدث هذا التحول؟!

كيف تغيرت الكيمياء العقلية والروحية والنفسية للمسلم؟!

إن الغرب أيقن أن الجدل الديني النظري حول الإسلام ومحمد ﷺ لا يجدي، وأن الاستمرار في هذا النوع من إنهاء الحالة الإسلامية لا يفضي إلا إلى انتصار للإسلام وهزيمة للمسيحية!

إذن فماذا نفعل؟

هكذا سأل الغربيون أنفسهم.. فتوصلوا إلى حل عبقري معجون بمكر الليل والنهار!

إذن نجعل المسلمين هم من ينهون تلك الحالة الإسلامية!

إن الصوت من داخل القلعة أكثر تأثيراً من الصوت من خارجها يا عزيزي!

صاح أحدهم: رائع! ولكن كيف هذا يا زويمر؟!

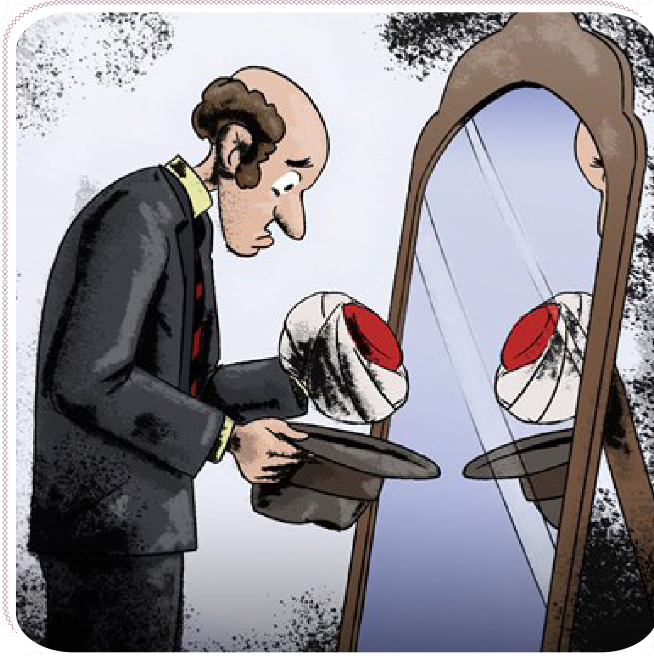


 وكانت الخطة:

- تغيير التركيبة العقلية والفكرية والعاطفية للمسلم، وجعلها هي بنفسها ترفض الإسلام!
- جعْل كل مسلم يحارب دينه بنفسه، حتى وإن اقتنع أنه لا يحارب دينه بل يحارب من أجل دينه !

- جعْل كل مسلم مستشرقاً في ذاته ومتغرباً في روحه.. يعرض الشرائع الإسلامية والأوامر والنواهي الإلهية على فلتر المسخ الداخلي، فيمرر ما هو مقبول طبقاً لاتفاقية (جنيف) لحقوق الإنسان، ويُخرج ما هو مسطور في صحيح البخاري!

وكانت النتيجة بدلاً من جحافل المبشرين وجيوش المستعمرين وقوافل المستشرقين، أصبح لدينا ملايين المسلمين الذين ينتمون إلى الغرب وروحه وثقافته!



وتحققت الغاية: المسلمون هم بأنفسهم يحاربون أنفسهم، سواء على المستوى الشخصي أو على مستوى المجتمع!

صاح أحدهم: لا تنسَ يا (كرومر) أن علينا أن نوجد العلمانية وثقافتنا؛ بل أحيانا وعقائدنا من داخل النص الإسلامي !

لماذا يا هذا؟ وكيف نتمكن من هذا؟!

فأجابه وقال: أما لماذا فلأنه أحياناً لا تقدر أن تخاطب بعض المسلمين بكتابات (جان بول سارتر) أو مقالات (ماكس فيبر) وأطروحات (أرسطو)! فعليك أن تخاطبهم بالسيرة الحلبية وأُسد الغاب والموضوعات لابن الجوزي !

أما كيف فاتركوها لي..



الشيخ بدر المشاري
فك الله أسره*

يا مسلمون..
القدس تستغيث بكم!

يقول الله جل وعلا: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء ١]، وقال رسولكم ﷺ: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم من خذلهم، ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة».

مررت بالمسجد المحزون أسأله •• هل بالمصلى والمحراب مروان

تبدل المسجد المحزون واختلفت •• على المنابر أحرار وعبدان

فلا الأذان أذان في منائله •• من حيث يتلى ولا الأذان أذان

---

* من خطبة للشيخ بدر المشاري، بعنوان: الأقصى والخونة، موقع إلكتروني: يوتيوب، بتاريخ: ١٧-٤-٢٠٢٢م.

 معاشر المسلمين: نظراً للظروف الصعبة التي يمر بها أشقاؤكم في دين الله، في أرض الرباط بيت المقدس في فلسطين، والحصار الاقتصادي من البحر والبر والجو، من قِبَل أعداء الدين، وأعداء الأنبياء، وأعداء الأمة الإسلامية، في هذه الأيام تتفجر فيها الدماء على أرض الإسراء، وتُبذل فيها الأرواح رخيصة في سبيل الله، ويقف فيها إخوانكم المسلمون في فلسطين، يقفون وقفة رجلٍ واحد، في وجه استباحة الحرمات، وانتهاك المقدسات، وتُرفع آهات الثكالى، وصرخات الأيامى، ما أظن يا عباد الله إلا وقد انتهت إلى مسامعكم هذه اللوعات والصيحات، فوقعت في آذانكم، بل وفي قلوبكم موقعها.. كيف لا والدماء على أرض الإسراء؟

المسجد الأقصى دمعةٌ في عين كل مسلم، المسجد الأقصى طعنةٌ في قلب كل مؤمن، المسجد الأقصى مصيبةٌ يعيشها المسلمون العرب، والمسلمون الهنود، والمسلمون الأتراك، والمسلمون الأفغان، وكل مسلم على وجه الأرض، لأن فلسطين إسلامية النسب، وليست عربيةً فحسب، لذلك: كان صلاح الدين فاتح القدس من الأكراد، والسلطان عبد الحميد ناصر فلسطين من الأتراك الأجواد، وبعض العرب أيام الصليبيين باعوها في سوق المزاد..

بعها فأنت لما سواها أبيع •• لك إثمها ولها المكان الأرفع

كيف يهون علينا.. كيف يهون يا عباد الله أن نبيع الأقصى؟ وقد صلى فيه محمدٌ ﷺ، وفتحه عمر، وكبّر فيه صلاح الدين، المسجد الأقصى قطعة من أفئدتنا، سُلب منا يوم ضعُفت في قلوبنا، يوم ضعُفت في قلوبنا لا إله إلا الله!

خلت فلسطين من أبنائها النجب •• وأقفرت من بني أبنائها الشهب
طارت على الشاطئ الخالي حمائمه •• وأقلعت سفن الإسلام والعرب

يا أخت أندلس ٍ صبرًا وتضحيةً •• وطول صبرٍ على الأرزاء والنوب
ذهبتِ في لجّة الأيام ضائعةً •• ضياع أندلس من قبل في الحقب
وطوحت ببنيك الصيد نازلة •• بمثلها أمةُ الإسلام لم تُصب

 **قال صاحب مقامات القرني:**



«زارنا رجل من فلسطين، فجلس على الطين، قلنا اجلس على السرير، قال كيف أجلس على السرير والقدس أسير بأيدي إخوان القردة والخنازير؟ قلنا هل عندك من القدس خطاب؟ قال معي من القدس سؤال يريد الجواب، قلنا ما هو السؤال؟ قال: ينادي أين الرجال؟ أين أحفاد خالد وسعد وبلال؟ أين حفّاظ سورة التوبة والأنفال؟ أين أبطال القتال؟ أين أسود النزال؟ قلنا له: هؤلاء ماتوا من زمان، وخلت منهم الأوطان، وخلف من بعدهم خلفٌ هممهم ضعيفة، واهتماماتهم سخيفة، وأحلامهم خفيفة، قال: لماذا تغيّر الأبناء على الآباء؟ قلنا الآباء كانت بيوتهم المساجد، ما بين راكعٍ وساجد، وخاشعٍ وعابد، وصائمٍ ومجاهد، أما الأبناء فبيوتهم المقاهي، ما بين مغنٍ ولاهٍ، ومن بماله يباهي، ومنهم من وقع في الذنوب والدواهي، إلا من رحمه إلهي..

كنا أسودًا ملوك الأرض ترهبنا •• والآن أصبح فأر الدار نخشاه



ثم قلنا للرجل في عجلٍ: «سلم لنا على القدس، وقل نفديك بالنفس، وقل له: متى العودة إلينا والسلام علينا؟ قال ذلك الرجل: إذا عدتم إلى الله عدنا، وإذا بعدتم عنه بعدنا».

أيها الناس: القدس تنادي:

أما ترون خدي تشوّه بالنجمة السداسية؟ داست على جبيني الدولة الإبليسية!

والأرض هناك تشهد، والجدران تنطق، والمآذن تصرخ، والمنائر تئن، والمساجد تشتكي إلى الله من تدنيس اليهود لها.

تسعة عشر مسجدًا في أنحاء فلسطين تحولت إلى حظائر للدواب والخنازير، ومخازن للأسمدة، وأندية للفنانين، ومتاحف للسياح، ومطاعم وحانات للخمور، ومراقص للهو، وخمسون مسجدًا تحولت إلى معابد لليهود يرددون فيها قولهم: «يد الله مغلولة! إن الله فقير ونحن أغنياء! وعزيرٌ ابن الله! ويقولون: تعب الإله فاستراح في اليوم السابع»! تعالى الله جل وعلا عما يقول الظالمون والمعتدون علوًا كبيرًا.

وما زالوا يرتكبون المذابح داخل المسجد الأقصى وخارجه، حيث قتلوا عددًا كبيرًا من المصلين، ولا تزال المحاولات واحدة تلو الأخرى تسيل فيها دماءٌ زكية للدفاع عن الأقصى، وما زالوا يحفرون تحت القدس الخنادق، يريدون أن يسقط وأن ينهد البنيان والأساس، حفروا حتى الآن ثلاثة عشر ألف متر تحت الأقصى..

يا مسلمون: القدس تستغيث:

أين أحفاد مصعب بن عمير؟ أين أحفاد مصعب بن عمير؟ ينقذونهم من أبناء جولدمائير، وأين أحفاد عمر بن عبد العزيز ليطلقونهم من بيرجيز؟ أين طلاب عبد الله بن مسعود يطردون إخوان القرود، ويفكون الأقصى من القيود؟



أيها المسلمون.. إلى متى واليهود ينقضون العهود، ويلعبون في الأرض ويفسدون؟

خمسون عامًا يا مسلمون ونحن نرى يتامى، ونشاهد أيامى، ونبصر آلامًا، وعن كل ذلك نتعامى، ولا يحرك فينا ذلك حتى إبهاماً..

وا أقصاه.. وا أقصاه..

أين الفاروق عمر؟ ما فارق المدينة إلا من أجل الأقصى المبارك، وما صدح بلال بن رباح بالأذان بعد وفاة الرسول إلا في بيت المقدس، وما هاجر الأصحاب الأوطان والزوجات والأبناء وما فارقوا الأحباب إلا فداءً للأقصى المبارك!

عذرًا يا إخواننا في فلسطين.. عذرًا لأمنا العجوز، عذرًا لأخينا الشاب.. عذرًا لطفلنا اليتيم، عذرًا لأختنا المسلمة.. عذرًا لك يا مسلمة، يوم انتُهِك عرضُك ونحن نتفرج.. إنك تنتظرين صلاح الدين، الشيخ

المجاهد الذي أقسم وربي ألا يبتسم وألا يضحك حتى وصلت ركائب النصر إلى الأقصى المبارك، يومها فقط برق ثغره بالابتسام، بعد أن فكّ قيد الأسر عن الأقصى المبارك.

عجباً لقلبك كيف لا يتفطر ●● وأسود حزنك في فؤادك تزأر
عجباً لعينك كيف لا تبكي دما ●● والحق يُسلب والكرامة تهدر



إن الشجب والاستنكار والبكاء لا يكفي وحده لنصرة المسلمين، ولو أن المسلمين الذين بكوا لما أُحرق المسجد الأقصى، ولمّا وقعت مجزرة دير ياسين، وصبرا وشاتيلا، لو أنهم عملوا عملًا جادًا، وحوّلوا عواطفهم برنامجًا عمليًا، أقله: تربية الجيل على الجدية، والشعور بالمسئولية والإنتاج، والاهتمام بمعالي الأمور، لو فعلوا ذلك لكنا نحصد اليوم ثمرة فعلهم..

لا عظّم اللهُ أجر الأفاكين، لا عظّم اللهُ أجر الكذابين، بل تبوؤا من الذلة منزلًا، ومن العار محلًا أرذلَ، وشكرًا لدموع السائحين الغالية، شكرًا للمغنين، شكرًا لأصحاب كرة القدم! شكرًا لدموع السائحين التي تكلفوا على أنفسهم وذرفوها أمام شاشات المحطات التلفازية! التي تحولت إلى حائط مبكى عربي، يعرض لقطات الألم والحزن والقهر والدموع والدماء من القدس، ما بين لقطة (فيديو كليب) ومسلسل مدبلج، فيرددون التحية دموع سخاء ساخنة ما بين وجبة طعام يلتهمونها، وحلوى يختمون بها!



يا لنا من أمة عاجزةٍ ذليلةٍ تجتر آلامها وجراحاتها، لا تمل وربي من الافتخار بالماضي المشرق، ولا تستحي من جلَد صلاح الدين كل يوم في قبره بمواقفها المخزية والخانعة، كيف لا وقد تملّكها حب الدنيا، وعمّها كراهية الموت، فصغرت وحقرت وذلّت، بعد أن نكّلت بالفئة المؤمنة، واعتقلت الجهاد، وصادرت أنفاس العباد، ومهّدت لمنكر، وترصدت لمعروف.

أمة هذا حالها، لا يُرتجى منها إصلاح، ولا يؤمّل فيها وربي فلاح، وصدق رسول الله ﷺ يوم قال: «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه».

يا لنا من أمة تدعو ربها بالنصر، وقد سلّمت قيادتها لمندوب سامٍ بزي وطني، أباحت فكرها لمستشرق مارق في زي مفكر، وسلّمت وسائل إعلامها في زي محطات إرسال، شعوب لاهية غافلة، كل آمالها بعد أن انتهت من التهام أنخاذ لاعبات الدورة الأولمبية، وكلٌ منها وربي خاسر، وكل همها أن تُرضي طغاتِها، الحلال ما أحلوا، والحرام ما حرموا، أصبح شعرها شعيرًا، وجهادها صفيرًا، يختفي منها أسماء عمر ومصعب وخالد، ويبقى في ذكرياتها بابل وجرس وقرطاج، مناطق ودول تمر في مخيلتنا، لم يبق منها في ذكرياتنا إلا ألم الذل والهوان والصغار، تذكر الواهمين بعولمة الجشع والاستحمار..

وتؤكد القاعدة الأبدية: أن الأمم المستعبدة تحرر بمنطق القوة، لا بمنطق القرار، والشواهد كثيرة وفيرة، وصدق رسولنا يوم قال.. اسمعوا ماذا قال.. «وجُعل رزقي تحت ظل رمحي»، وها كم سدنة المجتمع الدولي.. اسمعوا إلى أمريكا وإلى هيئة الأمم المتحدة.. اسمعوا إلى البيت الأسود، اسمعوا إلى الخونة واليهود ماذا يقولون.. يحلون ويحرمون كما يحلو لهم، وتلك لعمري قسمة ضيزى:

- فحلالٌ على الجبل الأسود أن يتحرر، حرامٌ ذلك على البوسنة!
- وحلالٌ على كرواتيا أن تعلن دولة، حرامٌ على كوسوفا!
- وحلالٌ على تيمور أن تنفصل، حرامٌ على الشيشان!
- وحلالٌ على الهندوس أن يمارسوا الإرهاب، حرامٌ على مسلمي كشمير أن يمارسوا الجهاد!
- وحلالٌ على اليهود أن يحتلوا فلسطين، حرامٌ على الفلسطينيين أن يرموا الحجارة!

معادلات كافرة، لا تستحق الاحترام، وازدواجية مقيتة لا تستحق الالتزام، وديون متراكمة تستحق الانتقام، فكيف يمكن أن تُجمع المتفرقات، وتنسجم المتناقضات، وتُفك طلاسم المفاوضات؟

أتدافع أوهن الأمم عن نفسها، ونغفل عن أنفسنا؟!

بالله عليكم.. هل لأمة العنكبوت أن تحارب دون بيتها ولم نحارب نحن دون مقدسنا؟

يا الله لأمة الدود تدفع عن نفسها وتضحي في سبيل غيرها، وقد تقاعسنا عن أن نضحي في سبيل ديننا ومقدساتنا؟!

كدودة القز ما تبنيه يهدمها ●● وغيرها بالذي تبنيه ينتفع!

يا لله لأمتنا! ويا لله لخيبتنا! ويا لله لنكستنا!



الشيخ الدكتور سفر الحوالي

فك الله أسره

ملحمة الشام (٤/٣)

يا فاتح القدس إن القدس قد سُلبت •• وغالها بعدكم «ليفي» و«دايان»

وباعها الزمرة المستسلمون كما •• باع الحطيم بزق الخمر «غبشان»

الله والناس والتاريخ يلعنهم •• فهم على الذل أعيار وأتنان

لا دينَ لا غيرةً لا عقلَ لا رشداً •• العار مكسبهم والدرب غيان

على اليهود هم الأغمار خانعة •• لكن على قومهم عبس وذبيان

الخزي والحسر والشحناء ديدنهم •• لا يستقيم لهم أمر ولا شان

محض العداوة للإسلام يجمعهم •• وهم من الكفر أصناف وألوان

ولا تراهم على خير قد اتفقوا •• وهم على الشر أنصار وأعوان

مما أراقوا ومما أهدروا وطغوا •• ضجت إلى الله أفواه وأوطان

---

* د. سفر الحوالي، من قصيدة: ملحمة الشام، موقع إلكتروني: طريق الإسلام، ٢٠١٣م.

كل القداسات داسوها بأرجلهم •• باسم السلام وكم ذلوا وكم هانوا

حادوا عن الرشد قصداً واستبد بهم •• في لجة التيه إيغال وإمعان

أعفّ عن ذكرهم إذ نحن في سمر •• عن الأُلى ذكرهم روح وريحان

صحابة المصطفى خير الورى أثراً •• ما رام منزلهم إنس ولا جان

لهم أحاديث في الإخلاص لو قرئت •• على الجلاميد أمست وهي كثبان

لولا الرسول لما كانوا أساتذة •• والناس من حولهم للمجد صبيان

هم زينة الدهر والتاريخ يلبسهم •• تاجاً يرصعه در ومرجان

لولا الرسول لما كانوا عباقرة •• فالوحي للفطرة الصماء بركان

هم الهداة الأُلى من نور حكمتهم •• عم الحضارة إنصاف وعرفان

إن الحضارة روح ليس ما نحتت •• من التماثيل يونان ورومان

أين التسامح أين العدل إن صدقوا •• أين المواثيق هل للكفر ميزان

تلك الشعارات زيف يخدعون به •• وهم على الظلم والعدوان أخدان

أين المآذن في أرجاء أندلس •• إذ ظل بالشام أديار وصلبان

إنا على العهد لا نختان ذمتنا •• ولا نجور وإن جاروا وإن خانوا

منّا تعلَّمتِ الدنيا كرامتها •• إذ الفرنجة قطعان وغيلان

متى رعوا حرمة أو راقبوا ذمماً •• روس وصرب وإيطال وأسبان؟!!

العدل في القول والأحكام شرعتنا •• إن الهوى للضمير الحي فتان

هم أمنع الناس من ظلم الملوك لهم •• إلا علينا فإن الظلم إحسان

وإن تر الروم فيما بينهم عدلوا •• فهم على غيرهم بغي وعدوان

فانظر لأذنابهم في الشرق إن حكموا •• روم ولكنهم سمر وسودان

وإنما اقتبسوا من ضوء سيرتنا •• ما أيقنوا أنه للملك أركان

لولا المساواة والشورى لما غلبوا •• ولا استقر لهم في الأرض عمران

ونحن لما انحرفنا صار حاضرنا •• في الجاهلية حالاً كالذي كانوا

نقدس «الفرد» أياً كان منهجه •• «الفرد» نصب وكل الناس سُدّان

فدينهم دينه والشرع شرعته •• ولغوه سنّةٌ والأمر قرآن

يا شام معذرة زاغ الحديث بنا •• والهم في النفس أشتات وأشجان

أَكْرِمْ بقوم شروا لله أنفسهم •• فالملك عارية والروح قربان

نالوا الشهادة إذ قامت وسائلها •• بكل جنب فطاعون وطعان

في المرج رهط وفي عَمْواس طائفة •• حُمَّ القضاء وما للقوم أكفان

ما مات قوم أبو الدرداء خَالِفُهم •• أنسى بحكمته ما قال لقمان

سل قلعة النصر والإصرار هل بقيت •• من آل حاميم أصداء وبنيان

إذ جاء من طيبة الغراء مصحفها •• لما اعتنى بكتاب الله عثمان

الله يجزيه خيراً ما سمى أحد •• وما تألق بالترتيل نعمان

لولاه كنا كأهل الدير إن قرأوا •• «متى» يكذبه «يوحنا» و«سمعان»

هذا الحكيم أبو الدرداء يقرؤه •• والناس للمشرع المورود زلفان

معلم الخير بالإحسان يذكره •• في البر نمل وفي اللجات حيتان

بكت دمشق زماناً من مواعظه •• وفي القلوب ينابيع وصلدان

وإن ألمت به في الرأي معضلة •• يمده خابر الأديان «سلمان»

القول إن قال أمثال مصرفة •• والفعل للمقتدي هدي وإحسان

يجلو قلوبا يغشِّي الران رونقها •• ويرتقي بالتي في نورها غان

والتابعون من الآفاق قد وفدوا •• أزد وقيس وأنمار وخولان

فللجوامع أحبار محلقة •• وللرباط صناديد وفرسان

حياك يا أمة التوحيد ما طربت •• ورق وما ثملت بالشدو أفنان

ولى هرقل وولاها معاوية •• فعلَّم الروم أن اليأس سلوان

الحلم شيمته والغزو همته •• أرسى السفين كأن البحر قيعان

ما بين شاتية تغدو وصائفة •• ما فل عزم ولا وافاه خذلان

والصافنات أبو أيوب يزجرها •• وللمنايا أخاديدٌ وخلجان

يا أشرف الصحب داراً طاب مضطجعٌ •• بساحة الروم نائي الدار ضحيان

جعلته معلماً يذكي عزائمنا •• إذا تخبطها دنيا وشيطان

ثم انبرى الخثعمي الشهم يوردها •• أصفى الموارد عزاً وهو نهلان

لله هذا الفتى ما كان أعظمه •• لانت صخور الرواسي وهو صوان

ستون عاماً قضاها في مرابطه •• لم توقد النار إلا وهو يقظان

وفي جنادة للأعداء مأسدة •• والغامدي الأبي القرم سفيان

وهل رأيت حبيباً حبه لهب •• إذا أديرت رحاها فهو طحان

يا شام ساء صباح الروم قد نزلت •• بساحة الروم أهوال وشجعان

ما أصبحت بالكماة الشم مترعة •• وعسها الليل إلا وهي جبان

وظل ديدننا هذا وديدنهم •• حتى اعترانا البلى والسعد ظعان

هنا استبدت بنور الحق غاشية •• وسنة الله أن الزيغ غشيان

ومن يزيد إلى الحجاج ما فتئت •• تشكو من الظلم أنحاء وأعيان

والظلم شؤم وشر الظلم ما ولغت •• فيه الملوك وأثرى منه سلطان

والناس إن بايعوا والسيف يخفقهم •• فلفظهم مادح والقلب لعان

والناس تخدع من بالزيف يخدعها •• تطيعه صورة والسر عصيان

والكسروية في الإسلام محدثة •• أكلما مات حرب قام مروان

وفي أمية للإسلام مأثرة •• كما لهم ثلمة والله ديان

إن كفَّر الله عنهم بعض ما عقدوا •• واستأثروا فبما أمضى سليمان

لكن للعدل كَرَّاتٌ وإن ندرت •• تذكر الناس بالشورى متى بانوا

وكان أول وعد صادق عمر •• تبارك الله عين العدل إنسان

الراشد الماجد الميمون طائره •• عليه من سمة الفاروق تيجان

فاعجب له عمراً يقفو خطا عمر •• كما همى صيِّبٌ يتلوه هتان

يا واعظاً وعظ الدنيا بسيرته •• روح من الرشد لا حيف وإدهان

والظالمون لهم يوم سيفجؤهم •• إذا تسربلهم نار وقطران

تاريخنا هكذا حيناً عمالقة •• غر وحيناً طواغيت وأوثان

هذا يبيت ثقيلاً من مظالمها •• وذاك للرد والإنصاف سهران

وكم توثب فينا ثعلب خَتِلٌ •• ودبر الملك قينات وخصيان

وكم تحكم باسم الدين طاغية •• وكم تحكم باسم العلم كَهّان

وكم رأيت دعاة الحق يقذفهم •• بلعامُ واستخدم الأشرافَ دهقانُ

إذا تأله فرعونٌ على ملأ •• فهل يلام على الإفساد هامان؟

وأغفلُ الناس من تغلي رعيته •• غيظاً ويحسب أن الصمت إذعان

والناس ينسون إلا من يجرعهم •• مرارة الظلم ما للظلم نسيان

يدسه الجد للأحفاد مستعراً •• والأم ترضعه والثدي لقان

إذا الفراعين سنوا الظلم فلسفة •• تلطخت فيه أقلام وأذقان

باسم السياسة حل الظلم بل نسخت •• من الشريعة أعلام وأمتان

الرعب يستلب الأحلام يقظتها •• وبهرج الزيف للأنظار دخان

ومرَّ دهر ودنيا الشام خاملة •• منذ استبدت برأس الأمر بغدان

حتى اقتضت سنة الرحمن أن طرقت •• أبوابها من جيوش الكفر صلبان

وما الفرنجة إلا معشر همج •• أخنى عليه دهور وهو وسنان

والدين للناس مفتاح يحركه •• باسم التعصب صديق وشيطان

وربما اعتذر الشيطان -سيدهم- •• مما افترى «بطرس» وافتات «أُربان»

والترك لما تخلى العرب قد ورثوا •• عبء الجهاد فما هانوا ولا لانوا

شجاعة الترك بالإسلام قد زكيت •• ليست كما ربها خان وخاقان

هم المغاوير لا ريث ولا وجل •• هم العماليق خيال وسفان

لا ترتوي من دماء الروم أنفسهم •• بل نابهم لهث عنها وإدمان

فإن شككت فسل عنهم عطارفة •• لما تعاورها روس وشيشان

هم وحدهم قد أذاقوا الروس ملحمة •• والروس للغرب كل الغرب أقران

والشام أبطالها من حاط ساحتها •• ولا تبالي متى جاءوا ومن كانوا

مفقودون.. حتى في نشرة الأخبار!

سميرة الأركاني

في اجتماعنا السنوي مع أفراد العائلة في منزل والدي على مائدة الإفطار يوم عاشوراء الفضيل، انتهى الجميع من الإفطار، فمنهم من جلس يحادث الذي بجانبه، ومنهم من يحتسي قهوة المساء، بينما الوالد منشغل بشاشة التلفاز يقلب بين القنوات، تارة بين قناة تنقل مظاهر الشيعة وتفاهاتهم في يوم عاشوراء، وتارة قناة أخرى تنقل أخبار حرب غزة وفلسطين، وأخرى عما يجري في القارة العجوز، أزمات وقضايا العالم من دول شتى، وأحداثها متنوعة كثيرة، تحكي صراعات البشر من أجل البقاء أقوياء في هذه الدنيا الفانية.

مهلاً مهلاً! كأني وأنا أراقب والدي لمحت في وجهه حيرة وذهولاً وكأنه يبحث عن شيء ما! وكأن الدمعة تلمع في عينيه!

كأنه يريد أن يستطلع بعض الأخبار من قنوات العالم عما يجري في موطنه.. أراه يبحث بين القنوات عن شيء مهم يشغل باله.. كأنه يريد قناة تنقل ما يجري لأناس فقدوا الأمان ولذة الحياة منذ سنين طوال، وكأن لسان حاله يقول: هل من مراسل ينقل للعالم ما يجري هناك، داخل بقعةٍ الحياةُ فيها مأساوية؟! أو مذيع يتكلم؟! أو سياسي يثير قلقه وما إلى ذلك؟!

للأسف حاول البحث عله يجد قناة تنقل خبراً أو شيئاً مشابهاً.. لكن صمت وتكتم العالم عن هذا الشعب المظلوم أصبح مألوفاً للأسف! أليسوا مسلمين، بل أليسوا من البشر لهم حقوق؟! تنقلون عن جميع الأمم والشعوب، فلمَ تكتمون أزمة الشعب الروهنجي المسلم؟!



بينما أرى وجه أبي وعينيه الدامعتين اللتين كنت أنظر للحياة من خلالهما، سرح بي الخيال بعيداً وأرجعني لعشرات من السنين الماضية، حيث أيام الصبا في المدرسة حين كنت طفلة لا تعي الحياة كثيراً، كنت أرى بعين والدي ألوان الحياة الجميلة، ومادة التاريخ التي كنت ولا زلت أعشقها جداً، درسونا في المدارس وحدثونا عن تاريخ حضارة الأندلس وكيف كان المسلمون حينها أقوياء، وعن فلسطين وكيف سلب اليهود أرض القدس، اعتقدت حينها أن هذه هي جراحات الأمة فقط، لم أكن أعلم أن جراحاتنا كثيرة وغائرة، لم يذكر لنا الكتّاب والأدباء والمؤلفون بأن هناك أندلساً أخرى في الشرق ينزف مذ ٨٠ عاما!

 إنهم الشعب الروهنجي المسلم في أراكان (بورما) فاقدو الوطن والأمان.. ثلة من أمة الإسلام نطقوا الشهادتين، ووحدوا الله عقيدةً وإيماناً، يقاسون مرارة الحياة، تُنتهك حرماتهم، وتُحرق بيوتهم، وتُزهق أرواحهم. كم من مناظر مفجعة رأيناها لهم كأنهم داخل مجازر بشرية تزهق أرواحهم في أي لحظة! لا قيمة لهم!

كم منهم أُزهقت روحُه بين ألسنة النيران وأصبح رماداً فحماً أسودَ؟

كم منهم طار رأسه بين الرماح والسواطير؟

ومَن حاول النجاة والفرار بروحه أصبح طُعما للأسماك في البحار والمحيطات، وأصبح المئات منهم أيتاماً وأرامل، مغتربين في بلاد الشتات، في الملاجئ والمخيمات، في وضع مأساوي وكارثة إنسانية، أمة مضطهدة بات الموت مترصداً لهم من كل النواحي، وأصبحوا أرضاً خصبة وفرصة سانحة لبني التنصير في محاولة لتغيير دينهم وعقيدتهم التي مورس ضدهم الويلات لأجل تمسكهم بها.

كل ذلك يحدث والأمة الإسلامية غائبة عنهم وعن الخطر الذي يحدق بهم، تصلنا أخبار مأساتهم قليلاً، ثم تعاود الاختفاء والصمت للأسف!

ثم نمضي في الحياة كأن شيئاً لم يكن! جُرمهم أنهم آمنوا بربهم وتمسكوا بدينهم، كأنهم ليسوا عضواً من جسد الأمة الواحدة لنتألم لألمهم، ونبكي لمأساتهم، ونحزن لمصيبتهم، أليس لهم حق علينا كبني الإسلام أن نشاركهم ونكون لهم عوناً، وأن ندعو لهم وننقل للعالم ما يحدث لهم والتعريف بقضيتهم كأقل واجب؟!

لِمَ هذا التهميش؟ أليسوا مسلمين؟! أليسوا من البشر لهم روح ونفس؟! لِمَ يُعاملون بهذه الطريقة؟!

سُلب وطنهم وشُتتوا بين البلدان، والآن يعانون تهميش العالم لهم وصمتهم عن معاناتهم.. وباتت قصة مأساتهم مألوفة في سجل النسيان والتهميش.

رئيس الهيئة

د. محمد الصغير

رئيس التحرير

محمد إلهامي

السنة الثالثة العدد ٢٧

أغسطس ٢٠٢٤ صفر ١٤٤٦

